

تسارنج

میل نخط الاستواء المصتر

من فخرها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م



الجزء الثاني



للأب

عمر طوسون



سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

سنة ١٨٨٠ م

من

حكمدارية أمين باشا

رحلته الى غرب المديرية وشرقها واستيلاؤه على بعض المحطات

التي كانت قد أخليت

ابتداءً عام ١٨٨٠ م والحكمدار أمين بك في دوفيليه . وشب حريق في
كوخ اثناء ايقاد الزينة التي أقيمت احتفالاً بيده هذا العام وأوشك
أن يلتهم الاخضر واليابس ويحدث اضرارا جمة إلا أنه لحسن الحظ
أطفئ في الحال .

وقدم الى هذه المحطة من لادو بريد مصدره الخرطوم وورد به أمر
من غوردون باشا بنقل هذا الحكمدار محافظا لمدينة سواكن . وكان
سبب صدور هذا الأمر عدم ارياح غوردون الى الحكمدار بسبب
الخطة التي كان قد اختطها وهي امتناعه عن اخلاء المحطات الجنوبية
حسب أوامر غوردون واصراره على معارضة تلك الاوامر باستمرار إذ كان
يرى بصائب رأيه ان إخلاء تلك المحطات ليس في مصلحة الحكمدارية التي
فوض اليه الاشراف على حكومتها .

واستاء أمين بك من هذا الأمر استياء شديدا لأنه كان ينجح

كثيرا للاقامة في مديرية خط الاستواء لما بذله من الجهود في دراسة الاشياء وما قام به من الابحاث العلمية في تلك المديرية ولكن سرعان ما تلا هذا الأمر خبر استقالة غوردون باشا من وظيفة حكمدار عام السودان وتعيين محمد رءوف باشا محله ذلك القائد الذي كان قد رافق سير صمويل بيكر في الحملة التي ضمت مديرية خط الاستواء الى حكومة مصر وتولى ادارة هذه المديرية قبل حكمدارية غوردون عليها .

وقد أثار تعيين رءوف باشا لحكمدارية عموم السودان مخاوف أمين بك وصار يترقب بين اللحظة واللحظة استدعاه غير أن مخاوفه لم تتحقق فقد ألغى رءوف باشا أمر غوردون وثبته في الوظيفة الشاغل لها .

وكانت المواصلات مع الخرطوم سيئة للغاية وبين كل بريد وما يليه آجال واسعة وهذا ما أوجب تواتر الشكاوى من الحكمدار . وكانت المراسلات تصدر أولا الى شمبي بحرا بالمراكب فتقطع هذه المسافة في ثلاثة أيام ثم من هذه تسافر برا فتصل الى « مشرع الرق » في ستة أيام أو بالمراكب فتصل اليه في ظرف عشرة أيام . وتسافر من مشرع الرق الى الخرطوم بطريق النيل اذا كانت المواصلات غير مقطوعة وإلا فترسل عن طريق دارفور وعندئذ تستدعى الحالة انقضاء شهور عدة قبل ان تصل .

وجاء في خطاب مرسل من الحكمدار أمين بك الى الطبيب « شوينفورث » Cheuinforth أنه كتب من عامين الى غوردون باشا وطلب منه أن يبعث له بعض بذور من مختلف أنواع المحاصيل ليزرعها في مديريته ويستغنى بمنتجاتها عما يطلبه من حاصلات البلاد الاخرى وكان

مع ذلك لم يصل اليه الى الآن جواب . وانه استورد بنأ وأرزا من أوغندة
فنجحت زراعة هذين الصنفين نجاحا تاما .

وسافر الحكمدار في بحر العام للتفتيش في الناحية الغربية من
المديرية غير انه ما كاد يصل الى موكرا كما بعد رحلة ثمانية ايام حتى
استدعى للرجوع الى لادو لوصول باخرة من الخرطوم تحمل البريد
قآب في ٧ ايام .

وكان هذا البريد يحمل له اخبارا سارة زرعت في نفسه آمالا كبيرا
بصدد مستقبل مديريته فقد بلغ له انه لم يبعد تابعا لمديرية بحر الشمال
بل صار مستقلا في احكام مديريته وخواول له فوق ذلك إقامة محطات
أينما أراد .

وسافر من لادو لتفتيش القسم الشرقي من مديريته بعد ذلك فوصل
الى مركزى « لاتوكا » Latouka و « شولى » Shouli لاستطلاع احوال
ساكنيها واحتياجاتهم . وكان يريد ان يذهب الى ابعده من ذلك ولكن
مشاغله الاخرى حالت دون ذلك .

وفي شهر نوفمبر عندما كان في وادلاى وردت له دعوة ودية من
رئيس من رؤساء قبائل النيام نيام يقال له السلطان « ميبو » Mbio
يرجوه فيها القدوم ليشرفه بزيارته . وقد لبث هذا الرئيس ممتعا وغير
مممكن الوصول اليه منذ ١٨ عاما . فقترح الحكمدار بهذه الدعوة وقرر
قبولها لا سيما ان هذا السلطان يملك قدرا كبيرا من العاج وكان جل
امانى الحكمدار ان يرتبط معه بالصلات الودية والتجارية . وكانت

الدعوة المذكورة قد وردت اليه بواسطة رجاله الذين كان قد سيرهم الى ناحية من النواحي الغربية يقال لها « لوجو » Loggo ليقوموا فيها محطة جديدة . وشيد الحكمدار عدا هذه المحطة في بحر هذه السنة محطتين آخرين في قسم لاتوكا احدهما في « برى » Berri والثانية في « فاديك » Fadibek وهذه المحطة الاخيرة لها فروع في « أجارو » Agarو و « فاجولى » Fajulli و « فاتانجا » Fatanga وكل هذه المحطات واقعة شرقي النيل .

ولم يتم بعمل ما في محطة فاديك السابق ذكرها سوى ان احتلها احتلالا جديدا لأنه كان يوجد بها في مدة غوردون حامية وكانت محطة زاهية نظرة للغاية من جهة الصحة والعمارة والموقع إذ انها كانت في بقعة ترتفع ٣٠٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر . ودخلها من العاج يتجاوز النفقات التي تلزم لصيانة حاميها . وعلى هذا كانت كل الاحوال تنرى باحتلالها . ولكن لما أمر غوردون باخلاء المنطقة الجنوبية شمل الأمر هذه المحطة أيضا . والنمس اجوك Agok رئيس القسم من الحكمدار ان يقيم في قريته محطة ويمين فيها جنودا نظامية وقد قدم هو بنفسه ليقدم اليه هذا الطلب وأحضر معه على نفقته قدرا من العاج الى محطة فاتيكو . وبادر الحكمدار في الحال وأجاب هذا الطلب الذي وقع في نفسه موقعا عظيما إذ انه كان متحقا ان هذه المحطة ستكون من أهبج محطات المديرية وأمرها لا سيما بعد سفر غوردون .

وسافر اليها هو نفسه من محطة لابوريه متخذا طريقا ذات تعاريج كثيرة وصاعدة بين أنحاء كثيرة النبات وافرته فاستقبله رئيسها اجوك الذي

كان قد ضرب بسهم في المدينة من وجهتي الزى والاخلاق وكان يتكلم اللغة العربية بلهجة وكيفية لا بأس بها وكان ايضا يحسن استقبال ضيوفه ويقدم لزائريه القهوة . ويحيط بفاديبك ضياع كثيرة يسكنها اناس من قبائل الشولى ولها سياجات من الخيزران حسنة الصنع وكذلك حقول ممتدة على مدى البصر زرعتها يسر الناظرين . وكل هذا يعد دليلا محسوسا على اليسار ورخاء المعيشة في هذه المنطقة .

ولما علم روشاما Rochama كبير رؤساء الشوليين جميعا بقدم الحكمدار الى فاديبك بعث بابنه ليلتمس منه الذهاب لزيارته معتذرا بحيلولة صحته وسنه دون الاتيان بنفسه . وكان الحكمدار يعرف شخص هذا الرئيس من أمد بعيد فلبى الدعوة مسرورا وذهب اليه .

وعندما دنا من قرية « بيايو » Biayo مقر روشاما وقع نظره على اكواخ جذيرة بريشة المصور أقيمت بأمر هذا الرئيس الاكبر ليتخذها الحكمدار مدة اقامته سكنا له . وكان لا يقصد الاقامة في هذه البقعة بل كان ينوى ان يتابع السير في نفس ذات اليوم ذلك الأمر الذى كدر روشاما الذى كان قد بلغ أرذل العمر كدرا ليس عليه من مزيد فألح على الحكمدار الحاحا شديدا بالبقاء عنده .

وبعد مناقشة طويلة أجاب طلبه مراعاة لصداقته القديمة معه فسر روشاما سرورا كثيرا وأرسل إليه على سبيل الهدية عنزة وكمية من شرابهم المعروف بالمريسة فأهدى اليه الحكمدار مقدارا من الخرز وبمض الحلى من النحاس وثوبا من النسيج .

فتحه بعض المحطات في الجنوب وربطه المواصلات مع أوغندة

وبعد أن قضى الحكمدار ليلته في الاكواخ التي أعدت له استأذن في الفسدة من روشاما وقفل راجعا الى فاتيكو وأقام بضعة أيام في هذه الناحية ثم قرر السفر الى الجنوب لكي يفتح ثانية محطة فويرا وكانت قد أخليت مع المحطات الأخرى التي تركت بأمر غوردون باشا . وكان يرمى من وراء هذا الى ربط وصيانة المواصلات مع أوغندة وكان قد مضى زمن طويل جدا ولم يأت من هذا البلد أى خبر . وآخر الاخبار التي وردت اليه كان يحملها رسل من قبل متيسا ملك أوغندة وهى عبارة عن خطابات وبعض هدايا أرسلها اليه هذا الملك إلا أن هؤلاء الرسل لدى وصولهم الى محطة مرولى وجدوها خالية خاوية فسلموا الاشياء التي كانوا مكلفين بتوصيلها لاتباع ريونجا وقفلوا راجعين الى ملكهم . وهؤلاء أرسلوها الى الحكمدار .

وبعد أن وصل الى فويرا واستولى على محطتها أطراها قائلا انها واقعة في بقعة حسنة على مرتفع يشرف على النيل ويحده به كثير من القرى الكبيرة والنباتات النضرة العامرة بالأشجار الكثيرة . وأرضها غاية في الخصب تجود بمحاصيل وافرة لا سيما الذرة . والنهر يموج بكثرة ما فيه من الاسماك وعلى جوانبه يوجد كثير من مختلف الافاعي الضخمة الحجم كالأصلة والتنين قد يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين قدما كالتى قتلت في هذه المحطة في شهر سبتمبر من عام ١٨٧٤ م وقت مرور شالييه لونج بها . ويقتنص الأهالى هذه الافاعي ويأكلون لحومها ويتخذون من شحمها دواء لوجع المفاصل .

استقبال رؤساء النواحي له وعودته الى لادو

وقدم ريونجا رئيس ناحية فويرا ليزور الحكمدار وكان قد مر زمن طويل على الحكمدار لم يره فيه فوجد أنه لم يطرأ عليه تغيير . ثم قرر الذهاب الى « پنياتولى » Panyatoli لزيارة اتقينا رئيس ناحية ماجونجـو وكان لم يره من عام ١٨٧٧ م فقبول في كل الانحاء وهو سائر في طريقه بالبشر والترحاب الى أن وصل الى قرية پنياتولى واستقبله فيها رجال اتقينا مصطفين صفوفا ومرتدين كساوى التشريفة الكبرى وهم يطلقون الأعيرة النارية وتحقق على رؤوسهم الاعلام المصرية . واستقبله بعد ذلك اتقينا ومشى به الى دار أعدت له مشيدة على طراز دور أوغندة . أما أعضاء حاشيته فنزلوا في مساكن خارج داره . وأرسل اليه في الحال على سبيل الهدية مقداراً من البطاطا والدجاج والبيض والموز والدقيق وستة أنياب من أنياب الفيلة وعنزة وقدم لرجاله بقرة وموزا . ولم يستطع الحكمدار أن يقدم له في مقابل كل هذا سوى شئ من الخرز وحلى نحاسى واعتبر هذه هدية تافهة بجانب ما قدم اليه ولكن ما العمل وهذا كل ما كان يمتلكه .

وقد قوبل الحكمدار من الأهالى على اختلافهم مقابلة بلغت الغاية في الترحاب والتودد وأقبل الكل يميونه وهم مرتدون جلودا جديدة وأقيمت الزينات في كل المساكن وعمت النظافة جميع ما حولها الأمر الذى ترك أثراً حسناً في نفس الحكمدار وسره كثيراً . وعلاوة على ما ذكر فإن اتقينا كان الرئيس الوحيد من بين الزوج الذى دخلت المدينة ربوعه وتوشجت فيها جذورها فكان يرتدى الملابس ويستعمل الصحاف والاطباق

والملاعى عند الأكل ويستعمل أيضا الكواب عند الشرب . وإن هى إلا أن أفلت الشمس حتى شرعت الجموع تترنم وتصدح بالغناء وابتدأت المراقص واستمر الراقصون والراقصات فى الرقص حتى مطلع الفجر .

ولم يكدر رؤساء النواحي المجاورة يعلمون بقدوم الحكمدار حتى أقبلوا من كل فج وتراحم حاملوهم القادمون من كل صوب وحدث وهم يحملون الهدايا واشترك هذا الجمع الحاشد فى الحفلات التى أقيمت تكريما له .

وتقع قرية بنياتولى الآتفة الذكر فى منطقة عامرة بالغابات غير أن أشجار هذه الغابات كانت قد اقتلعت من حول القرية بقصد أن يستعاض عنها بمفروسات من أشجار التين والمزروعات الأخرى . وفى هذا الحين كانت المين لا تقع إلا على مزارع التبغ والموز . وكان فى حيز الامكان الحصول على محصول جيد من الدخان وأن تجنى منه أرباح طائلة . ولكن العناية بزراعة وتحضيره للاستهلاك كانت سيئة . وكان نوع الموز جيدا وهم يأكلونه نجا ومغلى فى الماء . أما السمسم فكان يزرع طول السنة ولم يكن ميعاد زراعة الذرة قد حل بعد . ومع أن الأهالى كانوا يستهلكون قدرا كبيرا من الموز فى تغذيتهم فإن جل تمويلهم فى المؤونة كان على البطاطا ولذلك كانوا يزرعونها فى كل موضع وعلى مدى شهور السنة . وكان يوجد أيضا غير هذه الانواع المار ذكرها أصناف شتى من الخضر تكفى جميع حاجاتهم .

أما اللحوم فلم تكن كذلك . فإن الرؤساء هم وحدهم الذين كانوا يأكلونها وما ذلك إلا لأن الماشية يندر وجودها والموجود منها لا تفى لحومه بحاجات الأهالى . وكان يوجد عدد وافر من الماعز والشاء وهذه الاخيرة ذات احجام كبيرة وأعجازها وافية إلا أن لحوم الماعز فى الغالب

كانت أنغر وأكثر دسامة من لحوم الضأن في كل الناحية . وأما الدجاج فيوجد منه عدد وافر إلا أن أحجامه صغيرة . وصيد الاسماك في النهر منتشر انتشارا واسعا في تلك الارحاء ، ويوجد منها القديد في جميع الاكواخ تقريبا حتى على بعد بعض كيلومترات من النهر وهو في الغالب من الاسماك الكبيرة الحجم .

وتوجد طرائد القنص هناك بكثرة عظيمة ولا يمكن مطاردتها واقتناصها في القسم الاكبر من السنة بسبب ارتفاع الاعشاب ولكن عندما تجف وتمحرق يصير في حيز الاستطاعة مطاردتها واقتناصها . ويوجد من الافيال عدد وافر جدا .

وقد كان الحكمدار يود أن يطيل إقامته عند انقينا ويحضر في هذه الناحية الاحتفال بعيد الأضحى إلا أن الطريق كانت طويلة وكان السير فيها الى فاتيكو عسيرا . هذا ، وقد كان من المتعين عليه تفتيش الاكواخ المجاورة ليقم فيها محطة صغيرة لحماية عبور النهر وعلى ذلك بادر وسافر قبل الموعد الذي كان يريد هو وأنقينا أن يسافر فيه .

وبعد أن أتم الأعمال التي يجب عليه القيام بها عاد عن طريق فاتيكو الى لادو قبيل آخر العام .

١ - ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثاني

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

قيامه من الخرطوم الى فاشودة

علم الطبيب جونكر عند وصوله الى الخرطوم في ٤ يناير سنة ١٨٨٠ م أن المواصلات مقطوعة بينها وبين لادو منذ أكثر من سنة بسبب الحشائش المتراكمة في مجرى النيل في منطقة السدود . وقد اشتغلت في إزالتها من عدة شهور حملة مؤلفة من جملة مرآكب وبواخر وكثير من الرجال غير أنهم لم يصلوا الى نتيجة موجبة للارتياح . وكان من موجبات هذه الحالة أن يغير خطته التي كان قد اخطتها في بادئ الأمر وهذه الخطة كانت تقضى بذهابه الى بلد « ممتو » Mambettu عن طريق لادو ، لكي يجد رابطة بين هذا البلد وبين رحلاته السابقة في مكرাকা .

ولما كان يرى أن جميع هذه الظروف تستدعي امتداد زمن اقامته

(١) - راجع الجزء الثاني من كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

في الخرطوم استقر رأيه على أن يكتري دارا تعرف بدار « أبي الحمساية » وهذا الاسم كان رمزا الى ربها وهو أحد المديرين القدماء . وكان يأمر بجلد كل من ثبت عليه جريمته خمسمائة جلدة . واستقر به الرأي كذلك أن يسافر الى المنطقة التي كان يقصد الذهاب اليها عن طريق مديرية بحر الغزال وكانوا يترقبون بين يوم وآخر قدوم باخرة من هذه المديرية التي كانت المواصلات معها لا تزال مستمرة .

وعلم في غضون اقامته في الخرطوم أن غوردون باشا رجع من رحلته في بلاد الحبشة الى القاهرة عن طريق مصوع وأنه لن يعود الى الخرطوم بل سيعين فيها رعوف باشا بدلا منه .

وفي ١٨ يناير جاءه خبر سار ألا وهو وصول الباخرة « الاسماعيلية » من مديرية بحر الغزال تحمل من مديرها جيسى باشا أبناء طيبة وبها أيضا أخبار سارة من أمين بك . ومما زاده فرحا على فرح أن هذه الباخرة ستقلع على ما علم في مدى خمسة عشر يوما .

وبادر جونكر الى تجهيز لوازمه وبعث بجميع متاعه الى الباخرة « الاسماعيلية » التي أبحرت في ٣١ منه مع الباخرة « امبابه » تجران عدة مراكب كانت قد أعدت لجلب كميات كبيرة من العاج الى الخرطوم ولتنقل اليها عددا كبيرا من النوبيين والعرب كان جيسى باشا قد أمر بنفيهم من مديرية بحر الغزال .

وبعد الوقوف مرارا في مختلف المحطات وابتغاء تموين البواخر بما يلزمها من الوقود وصل الجميع الى فاشودة في ٩ فبراير وكان منسوب

مياه النهر لا يزال مرتفعا جدا بسبب الفيضان الذي بلغ في تلك السنة ارتفاعا قل أن يوجد نظيره . وكانت تمر كميات كبيرة من الحشائش من امامهم يدفعها التيار . وهذه الحشائش منها ما انزعه التيار في منطقة السدود ومنها ما قلعتة الحملة التي كانت تشتغل في تلك المنطقة .

سفره من فاشودة الى « ممتو »

ودعت الحالة للوقوف في فاشودة وقتا طويلا بسبب تخلف الباخرة امبابه في الطريق إذ لم يكن في قدرتها السير بالسرعة التي كانت تسير بها الباخرة زميلتها . وفي غضون هذه الاقامة وصلت الباخرة « بردين » قادمة من الجنوب حيث تشتغل الحملة المكلفة بفتح السدود لتنقل الآلات والادوات والمؤن اللازمة لتلك الحملة .

وفي ١٥ فبراير وصلت الباخرة امبابه والمراكب التي تجرها وفي الفد أبحرت البواخر الثلاث معا ووصلت الى مصب نهر السوبات في ١٧ منه . وبعد سفر عدة ساعات من هذه الناحية أفضت الى محطة أنشأها حديثا الجنود المرافقون لحملة قطع السدود وكانت الباخرة « المنصورة » التي استخدمت لذلك ملقبة مراسيها بجانب ضفة النهر .

وبعد الابحار من هذه المنطقة عانت المراكب كثيرا من المشقات في الملاحة بسبب سد النهر بالحشائش المائية ، وفي نهاية الأمر وصلت الى مشرع الرق في ٢٨ فبراير .

واضطر جونكر أن يطيل مدة اقامته أكثر مما كان يرغب لينتظر وصول جيسى باشا مدير مديرية بحر الغزال الذي تأخر قدومه بضعة

أيام وأحضر له بعد ذلك الممدد اللازم من المحالين وصار في إمكانه أن يسافر في ١٨ فبراير الى « چور غطاس » Jour Ghattas (١) ويدخلها في ٢٣ من الشهر المذكور . ووجد جونكر في هذه الناحية صديقه قديما احمد الأطروش بك حاكم مكرাকা سابقا الذي كان قد استقبله فيها حين رحلته السالفة في هذا المركز . وكان الأطروش بك وقت هذه المقابلة الأخيرة موقوفا بسبب ذنب اقترفه وكان يشكو من ذات الرئة ومرضه هذا آخذ في التفاقم بسرعة فلم يجد جونكر أية تعزية يقدمها اليه سوى بعض تسليات تخفف عنه لوعة المرض في آخر أيامه وذلك نظير ما لقيه منه من كرم الضيافة والمودة في المدة السالفة . وانتهز جونكر فرصة قدوم جيسى باشا وتشفع عنده ليسمح للأطروش بالسفر الى الخرطوم . وهذا أمر كان يتمناه المذكور من سويداء قلبه غير أنه لم يستطع لسوء الحظ ونكد الطالع أن يستفيد من هذه الشفاعة لأن منيته عاجلته في چور غطاس قبل أن يتمكن من السفر .

وكانت الخطة التي اختطها جونكر باديء ذي بدء ارتياد بلدة « ممبتو » Mambettu وذلك بأن يذهب إليها عن طريق لادو غير أنه كان مضطرا لانسداد النهر في منطقة السدود أن يقوم بدورة ويذهب الى ممبتو عن طريق مشرع الرق وچور غطاس .

وأكثر الطرق أمانا وأسهلها مسلكا للذهاب من هذه النقطة الى ممبتو تمر بناحية « رومييك » Rumbek وبادي « رول » Vallée de Rôl إلا أنه

(١) — هي إحدى نواحي مديرية بحر الغزال وقد نسبت الى غطاس الذي كان له بها مستودع للرقيق والعاج وريش النعام وهو أحد كبار تجار النخاسة المشهورين .

لما كان قد ارتاد قبلا هذه المنطقة لم يكن لديه تمت ميل للمرور بها مرة أخرى لا سيما أنه كان يريد أن يزور بلد النيام. نيام عند ذهابه الى ممبتو . وهذه الخطة لها أيضا مزية وهي سهولة تنفيذها لأن الحرب وضعت أوزارها بين سليمان بن الزبير باشا والحكومة وخضوعه لها حتى انه بلغ من أمر ولائه لها أن سعى في ربط العلاقات الودية بينها وبين بعض رؤساء بلد النيام نيام .

نعم قد يكون الطريق الأقصر والأكثر استقامة أن يتجه الى الجنوب مارا ببلاد « البنجوس » Bongos و « البنداس » Bellandas غير ان جونكر آثر أن يرافق جيسى باشا الى « ديم سليمان » Dem Soliman عاصمة مديرية بحر الغزال ومن هناك يشخص الى ممبتو مارا بناحية « ديم بكير » Dem Bakir ضاربا صفحا عما يلحقه من زيادة المشقة بسبب بعد هذا الطريق .

وفي ٥ أبريل سافرا من جور غطاس وبعد مسير اثني عشر يوما أفضيا في ١٧ منه الى « ديم سليمان » . وهناك أقام جونكر اسبوعا تحسنت صحته في خلاله كثيرا وعاودا الرحيل في ٢٣ من الشهر السابق ذكره .

وقد رافقه جيسى باشا بعض مسافات ثم ودعا بعضها الوداع الأخير وذلك ان جيسى باشا أدركته منيته فات في السويس في أول مايو سنة ١٨٨٢ م وكل منها سلك سبيله .

وقطع جونكر المسافة الى ديم بكير في ستة أيام فدخلها في ٢٩ منه وزاره فيها رئيس بلد النيام نيام المسمى « ندوروما » Nodoruma وكان جونكر ينوى زيارة هذا الرئيس . وبمناسبة هذه الزيارة منحه جونكر

بعض الهدايا وفي مقابل ذلك أكد له الرئيس بأنه سيلبي جميع رغباته ثم قفل راجعا الى مسكنه .

وبعد أن مكث جونكر اسبوعا في « ديم بكير » Dem Bakir رحل عنها في ٧ مايو ووصل في الغد الى محطة الترجمان عبد الله افندي وهو أحد وكلاء ومفتشى المديرية وقضى فيها الليل . وفي اليوم التالي وصل الى محطة ترجمان آخر يقال له عبد السيد . ويوجد تحت رقابة هذا الترجمان النقط الواقعة في نهاية المديرية الجنوبية على الطريق الموصلة الى أراضي « ندوروما » Nodoruma التي سبق ذهابه اليها بنفسه أكثر من مرة ليتسلم بعض مقادير من العاج . وكان جونكر قد قابل عبد السيد في ديم بكير ثم سافر منها عبد السيد قبل جونكر ليعمد المعدات اللازمة لاستقباله ويستحضر له الجمالين المطلوبين .

ولاحظ جونكر عند وصوله اليها أن عبد السيد لم يتم بعمل ما واحتج بأنه ما كان ينتظر قدومه بهذه السرعة . ولما كان يبدو منه ما يدل على عدم الاكتراث أو الاهتمام بقضاء الاشياء المطلوبة اضطر جونكر أن يتوعده بالشكوى الى الحكمدار وحصل في نهاية الأمر على مبتغاه . .

إنشاؤه محطة في لاكريما ومقابلته مامبانجا بممبتو

وشرع جونكر في الرحيل في ١٢ منه وبعد سفر بطيء أفضى الى محل إقامة ندوروما قبيل آخر الشهر المذكور وهناك أقام محطة في « لاكريما » Lakrema وظل في هذه المحطة الى آخر شهر أغسطس وسافر منها بعد ذلك فوصل في ١٥ سبتمبر الى ممبتو حيث يسكن « مامبانجا » Mambanga

وعانى في بادئ الأمر بعض مشقات في سبيل مقابلة مامبانجا. غير أنه بعد عدة مفاوضات استطاع في النهاية ان يحصل على المقابلة المتبغاة في يوم ٢٠ سبتمبر أى غداة وصوله الى نهر « وليه » Rivière Wellé .

وكان مامبانجا قد أغلق طرق بلاده في وجه البعثات التي كان يرسلها العرب لغاية هذا الحين وكان مشهورا ببغضه وشنأه للحكومة المصرية ولكن المقابلة تمت وجرت فيها الامور على ما يشتهي جونكر وحصل على ترخيص بدخوله في بلد مامبانجا .

وعلى ذلك رجع جونكر الى معسكره وفي الغد أى ٢١ منه حل مضاربه وأتى فمعسكر بجانب دار « مامبانجا » الذي أرسل اليه زادا وعامله معاملة الصديق لصديقه مدة إقامته في ضيافته إلا أنه كان يوجس خيفة وترتعد فرائضه من السلطة المصرية التي وطدت أوتاد سلطانها قرب حده الشرقى .

وبعد أن لبث مقبلا ستة أيام أرسل يطلب من مامبانجا حمالين ومؤونة حتى يتمكن من الرجيل ولكن هذا كان يعد وعودا لا تلبث أن تذروها الرياح ويقصد بذلك احباط سفره . ولم يرسل إليه مطلوباته ويسمح له بالسفر إلا بعد أن هدده جونكر وتوعده باشعار المحطات المصرية .

سفره الى محطة تنجازى

وفي ٩ اكتوبر شرع جونكر في الرجيل وفي ١٤ منه أفضى الى محطة يديرها شخص يقال له على افندى ومحطته هذه واقعة في أرض تابعة لمديرية بحر النزال .

واتفق جونكر في غضون مدة إقامته في « جور غطاس » مع شخص يقال له مولى افندى - وهذا الشخص من أقارب يوسف بك الشلالى كان قد كلفه جيسى باشا بأن يقوم بجولة في أنحاء المركز - على أن يقابله في هذه المحطة ليقوما بهذه الجولة معا . ولكن مولى افندى أخل بوعده واضطر جونكر أن يسافر بدونه . وعدا ذلك فان مولى افندى لم يحضر بالمرّة لهذه المحطة لأن بلدة ممبتو قد فصلت من مديرية بحر الغزال وألحقت بمديرية خط الاستواء تحت سيطرة أمين بك الذى لم يبعث إليها مرؤوسيه إلا بعد وقت . وعلى ذلك ظلت هذه البلدة بدون حكومة منظمة في برهة الانتقال من سيطرة مديرية بحر الغزال الى مديرية خط الاستواء وعانى جونكر كل الصعوبات التى تلازم مثل هذا الانتقال .

وفي ١٧ أكتوبر شخص جونكر الى محطة « تنجازى » Tangasi الواقعة جنوب نهر وليه وهى أهم محطات بلاد « النوبيين » Nubiens فدخلها في اليوم التالى واستقبله فيها بالحفاوة المعتادة رئيسها وهو شخص يقال له محمد ولد عبده وأرسل اليه مؤونة من الذرة والطيور حتى الطماطم وكان النوبيون قد أدخلوا زراعة هذا الصنف الأخير في هذه المنطقة في العام الماضى .

وأتى محمد في اليوم التالى وطلب من جونكر إبراز ما معه من المستندات فقدمها . ولما كانت ممهورة من سلطة بحر الغزال اعترض محمد قائلاً إن هذه المستندات لا قيمة لها لضم هذا المركز الى مديرية خط الاستواء . وفي الحال أبرز جونكر الفرمان الذى يحمله من لدن حكومة القاهرة وبذلك قطعت جبهة قول كل خطيب .

ويظهر أن موقف محمد المذكور نحو جونكر لم يكن متشربا روح المودة وكان جونكر يرى ان حركاته وعلاقته مع الرؤساء الأهليين موضوعة تحت المراقبة وهذه الأمور لم تقع موقع الاستحسان في نظره . وبعد أن أقام بضعة أيام أعلن رغبته في الرحيل لأنه ما كان يقصد في أول الأمر أن يطيل لبثه في تنجازى . وعندما طلب أيضا جمالين حتم محمد أن يستولى على أجورهم مقدما على حين أن الأمر العالى الصادر من القاهرة يقضى عكس ذلك . وعلى أن اطلاع محمد على ذلك الأمر انحل الاشكال .

رجوعه الى محطة لاكرىما

وحصل السفر في ٢٢ اكتوبر . ومر جونكر على المحطة التى يتولى إدارتها على افندى وهى المحطة التى زارها عند الذهاب وقابله فيها على افندى هذا مقابلة حسنة . وفي ٢٧ منه سافر جونكر بعد أن قدم له على افندى كل ما يلزمه واجتاز في اليوم التالى تخوم بلدة ممبتو وبلغ في ٣ نوفمبر المحطة الجديدة التى أنشئت فى أرض « حكوه » Hokwa الواقعة تحت رئاسة شخص يقال له محمد خير وهو الذى لعب فيما بعد دورا هاما بوصف أنه أمير على بربر فى إبان الثورة المهدية .

ومسقط رأس محمد خير هذا كسلا . وهو لم يوجد فى بلاد العبيد إلا من زمن يسير . وقد ظهرت فيها مواهبه السامية فى الإدارة وتفوقه فى الذكاء على مواطنيه فكانت المحطة مرتبة ترتيبا حسنا وتامة النظافة ومحاطة بحاجز مزدوج فى القسم الأول منه يقطن الجنود السودانيون وفى الثانى النوبيون .

وقدم محمد خير الى جونكر جميع حاجاته وألح عليه بالملكث عنده بعض أيام . وهذا جل ما كان جونكر يتناهى وذلك رغبة فى الاستفادة من الراحة أولا ، ولأن الناحية أعجبتة من ناحية أخرى .

وأقام فى هذه المحطة لغاية ٧ نوفمبر . وفى هذا التاريخ شرع فى السير مع محمد خير بعض مسافة ثم قفل هذا راجعا . أما جونكر فانه أخذ يرتاد فى طريقه البلد الى أن وصل فى أول ديسمبر الى دار ندوروما الذى خرج لاستقباله فى الطريق وسر كثيرا لرؤيته .

وفى ٣ منه أى بعد غياب أربعة أشهر رجع ثانية الى المحطة التى كان قد أنشأها فى لا كريبا فوجد جميع عمالها الذين كان قد تركهم فيها بخير وعافية وابتهج فؤاده عندما رأى بستانه حافلا بالأشجار الزاهية واستمر مقيا فى هذه المحطة الى آخر الشهر الذى كان آخر السنة أيضا .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول من السنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديريةية خط الاستواء

القسم الأول

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وصوله الى مصر وسفره الى مشرع الرق

ان رواية رحلة اليوزباشى « كازاتى » Casati فى مديريةية خط الاستواء لها أهمية كبرى فى تاريخ هذه المديرية وهى تعد الثانية فى الأهمية عند مقارنتها بالروايات الأخرى بعد رواية « فيتا حسان » Vita Hassan الصيدلى لأن ذلك اليوزباشى أقام بها مدة الثورات التى شبت فيها وانقطع فى غضونهما عن العالم المتمدين مع أمين باشا وعاد فى آخر الأمر برفقته مع حملة استأنلى .

وصل اليوزباشى كازاتى الى الديار المصرية فى أوائل يناير عام ١٨٨٠ م وبلغ سواكن فى ٢٣ من الشهر المذكور ورحل عنها ميمما بربر فى ٢٩ منه فدخلها فى ٧ فبراير ، ومن هذه المدينة ألق على سفينة شراعية فى ١٢ من هذا الشهر الأخير وبعد ابحار ١٤ يوما نزل فى الخرطوم فى ٢٦ منه . ووافق دخوله فى هذه المدينة رحيل غوردون باشا عنها وكان قد رجع من مأموريته فى بلاد الحبش وسافر بعد أن قدم استقالته من وظيفة حكمدار السودان العام للتخديو توفيق .



اليوزباشى كازانى

وكان يقوم بأعباء هذه الوظيفة مؤقتا « جيچر باشا » Giegler Pacha وكيل
الحكمدار الى أن يأتي رءوف باشا الحكمدار العام الجديد . وكتب كازاتى
الى جيچر فى غضون حكماريته الوقتية يلتمس الترخيص له بالسفر الى الجنوب
فوصل اليه الرد برفض طلبه قطعيا لأن الأوامر التى أعطيت له لا تجيز له
اعطاء رخص كهذه فاضطر كازاتى ان ينتظر قدوم الحكمدار العام . وعند
وصول هذا قدم له طلبا آخر وبعد قيام بعض صعوبات فى هذا السبيل أعطيت
له الرخصة المطلوبة .

وأقلم كازاتى من الخرطوم فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٠ م على متن الباخرة
« الصافية » وبعد أن مر بفاشودة ومحطة السوبات بلغ مشرع الرق فى
٥ اغسطس وقضى باقى العام بالقيام بريادة فى مديرية بحر الغزال .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨١ م

من

حكمدارية أمين باشا

تعيين فيتا حسان صيدليا لمديرية خط الاستواء

أشرفت شمس عام ١٨٨١ م وأمين بك مقيم في لادو . وفي ١٤ يناير
إبان وجوده فيها وصل اليها فيتا حسان الصيدلي المعين محل خليل افندى وسيم
صيدلي الحكمدرارية الذي كان قد تقرر رجوعه الى مصر .

وظل فيتا حسان مع أمين بك في مديرية خط الاستواء عشر سنوات
أعنى طول المدة التي قضاها منزلا عن العالم المتمدين الى ان عاد مع
حملة استانلي .

فكتب إذ ذاك سفرا سماه : « الحقيقة حول أمين باشا » وهذا
السفر ما هو في الحقيقة إلا تاريخ الحكمدرارية في كل هذه الحقبة ومنه استقيننا
أغلب الأنباء الآتية :

يمت فيتا حسان الى العنصر الاسرائيلي وقد ولد في تونس في ١٤ يناير
عام ١٨٥٨ م أى في نفس اليوم الذي وصل فيه الى لادو عام ١٨٨١ م .
وكان والده قنصلا لدولة ايطاليا في هذه المدينة فأرسله الى الاسكندرية ليتم
دراسته بها إلا أنه نظرا لفقر والديه اضطر لمفادرة المدرسة وهو في الخامسة
عشرة من سنه ابتغاء كسب قوته .



فیتا حسان

ووقع اختياره على مهنة الصيدلة وتوصل الى دراستها لما تحلى به من الذكاء في زمن قصير جدا حتى تسنى له وهو في سن التاسعة عشرة أن يأخذ على عاتقه لإدارة صيدلية لطبيب أرملة المرحوم عباس باشا الأول الخاص في القاهرة . وتوصل بما له من الصلات أن يحصل على وظيفة صيدلى في العريش بمصلحة الصحة ثم عينه صيدليا في السودان نيروتروس بك Neroutzos Bey مدير الصحة العمومية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٨٨٠ م .

وأقلع فيتا حسّان من السويس مزودا بخطاب من نظارة الداخلية الى رءوف باشا الذى كان في ذلك الوقت حكامدارا عاما للسودان مستقلا ظهر الباخرة « الحديدية » ووجهته سواكن ومن هذه شخص الى بربر فالخرطوم . ولدى بلوغه هذه المدينة مثل بين يدي الطبيب زربوهل Zerbuhl مدير الاعمال الصحية فعرض عليه هذا ان يختار « كلكل » Kolkol بمديرية دارفور أو لادو بمديرية خط الاستواء وهما المحلان المطلوب لكل منهما صيدلى . غير انه نصحه ان يختار المحل الثانى فعمل بنصيحته وأخذ يتأهب للسفر ليشغل وظيفته .

ولداعى عدم وجود بواخز جاهزة للإبحار اضطر فيتا حسّان أن ينتظر شهرين في الخرطوم وبعد ذلك أقلع على متن الباخرة « امياه » . وكانت تقطّر ثلاث سفن وماعونة بها نحو خمسين مسافر منهم ٢٠٠ من الخطرية و ٢٠٠ سجين وبها كذلك كثير من البضائع والذخيرة برسم الحكومة في لادو . واستغرقت الرحلة زمنا طويلا لأن الحالة

استدعت لإزالة الحواجز التي كوَّنتها الحشائش في منطقة السدود . ولم يستطع
فيتا حسن بلوغ لادو إلا بعد سفر دام ٨١ يوما وكان دخوله فيها في
١٤ يناير سنة ١٨٨١ م مع أنه من المعتاد قطع هذه المرحلة في ظرف
١٥ الى ٢٠ يوما .

ولدى وصوله وضع نصب عينيه أولا المشول بين يدي رئيسه الجديد
ووضع نفسه تحت تصرفه . وعلى هذا ولى وجهه شطر مقر المديرية ودخل
القاعة الكبرى فوجد فيها اناسا كثيرين يتسامرون وهم جلوس على أريكة
كبيرة . وما وقعت عينه على أمين بك حتى عرفه من الأوصاف التي قد
سبق أن استقاها عنه وكان عن يمينه لبتون بك Lupton Bey وكيل
الحكمدار وعن يساره نور بك محمد قائد الجنود وكان بصحبتهم كذلك قاضي
المديرية الحاج عثمان وبمض الضباط .

وقدم فيتا حسن أمر تعيينه صيدليا للحكمدارية الى أمين
بك فقابله بالبشاشة والايناس ودعاه فوق ذلك لتناول الطعام معه
لمدم وجود مطاعم في الجهة . فشكره فيتا حسن وانصرف قاصدا
الذهاب الى زميله خليل افندي وسيم الذي سيحل محله في الوظيفة . فقابله
هذا بأدب وعرض عليه كوخا ملاصقا لسكنه ليحل فيه لغاية اليوم
الذي رحل هو فيه .

وكانت لادو عاصمة مديرية خط الاستواء مشيدة على شاطئ النيل
الأبيض الشرقي ومؤلفة من ٢٠٠ كوخ مستدير يقال للواحد
منها « توكول » Tokoul مبنية من عيدان الخيزران ومغطاة بالقش

وقشور الاشجار وأرضيتها من الداخل مكونة من تراب وطين .
وسكن الحكمدار ومستودعات الحكومة هي وحدها المتفرقة عن بعضها
فهي إما منعزلة أو متجمعة تتكون من كوخين الى ثلاثين
كوخا . وكل مجموعة من هذه الاكواخ يحيط بها سور
ذو زوايا مستقيمة مشيد من ذات المواد السالف ذكرها . والشوارع
التي تفصلها عن بعضها واسعة للغاية غير أنها عارية من الاشجار ولا يوجد
بها حوانيت .

وتصلى الشمس قبيل الظهر بنيرانها المتقدمة تلك الشوارع فتتلظى
بشدة حتى تحترق حرارة الرمال جلود الاحذية . ويتخيل المقيم بتلك
النواحي لانعدام الحركة من هذه الشوارع أنها شوارع مدينة أخنى
عليها الذى أخنى على لبد فانت بموتهم . وقد يقع البصر فى بمض الأحيان
على سودانى يمر منها مسرعا كالبرق فيحدث بمروره هذا تغييرا فى ذلك المنظر
المضجر الثابت على حالة واحدة .

وفى اليوم التالى لوصول فيتا حسنّان قام ومعه زميله خليل افندى
الى المستشفى لتسلم مركزه وليزور المرضى لأن الصيدلى كان عليه أيضا ان
يقوم بأعباء الطيب .

وبعد أن أقام ثمانية ايام فى لادو استصحبه الحكمدار أمين بك للقيام
بجولة للتفتيش فى محطة بور وأقلعا على ظهر الباخرة « تلحوين » . وفى إبان
الثلاثة الأيام التى قضياها فى هذه الناحية فحص فيتا حسنّان المرضى وعالجهم
ووصف لهم الادوية التى تستلزمها حالاتهم بينما كان أمين بك يراجع دفاتر
المخازن ويوزع الكساوى على الجند ويستقصى الحالة ويستفهم من

كل انسان عما اذا كان يوجد لديه ما يوجب الشكوى . وهكذا كان عليه أن يجلس لسماع الشكاوى والطلبات وفحصها والبث فيها بطريقة عادلة اذا تراءى له ما يوجب ذلك . وعرض الجند وحضهم على الوفاء والأمانة وطاعة الحكومة وشجع المستحقين وحث الآخرين على الاقتداء بهم . وعلى وجه العموم كان يبذل كل ما في وسعه لاستتباب الأمن وعمل ما فيه راحة ومرضاة الجنود والأهالى .

وأقلم ثانية فى اليوم الثالث وسط اطلاق ثلاث طلقات مدفع اتباعا للعادة التى كان قد سنها غوردون وهى اطلاق ثلاث طلقات حين قدوم المديرين وعند سفرهم . ولدى صعوده الى الباخرة صاحت الجنود وهى مصطفة على الضفة وبأسطة أسلحتها قائلة : « نجيا الخديو » .

اهتمام الحكمدار بتوسيع نطاق الزراعة

وبعد مرور أسبوعين من رجوعها الى لادو فوض الحكمدار أمين بك الى وكيله لبتون بك Lupton Bey أمر إدارة قسم لاتوكا بمعاونة ابراهيم افندى حمر . وكان لهذا القسم أهمية لا تشاركه فيها الاقسام الأخرى وما ذلك إلا بسبب كمية ونوع العاج الذى كان يورده وهذا ما يفسر الباعث على تعيين موظف له هذه الشخصية البارزة لادارته .

وشرع فيتا حسان يعمل فى وظيفته مع ان سلفه خليل افندى كان باقيا فى لادو ولم يسافر بعد الى مركزه الجديد .

وكان الحكمدار منهمكا انهما كما شديدا فى السعى ابتغاء توسيع وسائل المعيشة

في مديريته وجنى أكبر محصول منها ليتسنى له على قدر الاستطاعة جعلها مستقلة من وجهة الارزاق ووسائل العيش والاستغناء عن استجلاب المواد اللازمة لاستهلاك الموظفين والجند وعلى ذلك كانت المسائل الزراعية لها بحكم الطبع المنزلة الأولى في مشاغله .

وكانت تحتوى البساتين التي كان قد أنشأها في لادو و مكراكا والمحطات الاخرى على أشجار البرتقال و الليمون و الجوافة و العنب . وتحتوى المزارع على شجيرات القطن .

وفي فبراير سطر مكتوبا الى الاستاذ شوينفورت ليسديه الشكر لامداده بمجواقين من تقاوى الأرز و البن وأنواع أخرى مختلفة . وقد حمّله على طلب الصنفين الأولين ما عاينبه في أراضي أوغندة و الاونيورو إذ رأهما هناك مزروعين في مساحات واسعة ولاحظ ما يصادفانه من النجاح . ويخبره أيضا بأنه يوجد لديه قصب السكر من نوع جيد وان تقاوى الذرة التي بعث له بها الفريق استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى وهو أمريكي الجنس أعطت محصولا وافرا وعرفه كذلك أن تربية الخيول لا تصادف نجاحا ولكن الأباعر و الحمير التي استوردها في العام السابق حالتها حسنة للغاية .

السفر من لادو الى لاتوكا وضم هذه المحطة وغيرها الى المديرية

وفي ١٤ أبريل سافر الحكمدار من لادو مستصعبا فيتا حسان ليقوما بجولة للتفتيش في اتجاه قسم لاتوكا القائم شرق النيل ولبثا في هذه الرحلة شهرين . وكان سير صمويل بيكر قد ضم هذا القسم الى مديرية خط الاستواء

ثم أخلاه ثم احتله غوردون باشا وبعد ذلك أمر باخلائه كما فعل مع باقى محطات الجنوب . وفى عام ١٨٨٠ م احتل الحكمدار أمين بك كل المحطات التى كانت قد أخليت وضم لآتوكا الى المديرية .

ومن لادو انتقل أولا الى غندوكورو التى كانت فى البدء قاعدة الحكمدارية ثم أخليت وانحط منزلها فصارت محطة صغيرة ليس بها إلا ١٢ جنديا . وفائدة الاحتفاظ بها وهى على تلك الحالة هى استخدامها تماما للمتاجرة مع قبائل البارين المجاورة ووسيلة لتسهيل زراعة الأراضى التى تكتنفها وتكون مع احتلال لآتوكا قاعدة حربية للطريق الموصل الى هذه المحطة .

وأول مرحلة قطعها بعد غندوكورو كانت مرحلة « ليريا » Liria وهذه وان لم تكن احتلت إلا من منذ عام واحد إلا أن حالتها كانت تسمح بإجتياز المسافة إليها بدون حرس ما .

وبنية سكان هذه المنطقة قوية للغاية مثل بنية جيرانهم البارين . وكذلك سمعهم فى اللصوصية تضارع سمعة هؤلاء . ويزرع الذرة فيها فى مساحات واسعة وبالعكس زراعة الدخان إذ لا يوجد منها إلا مقادير صغيرة . ويلوح من حالته ان زرعه غير ناجح . أما طرائد الصيد فوافرة ويعود على القناصين منها فوائد كثيرة . ويوجد هناك الفيلة والجاموس والزرافة وحمار الوحش والخنازير البرية وجموع كثيرة من الوعول وغيرها . وكان يوجد حول المحطة فقط ١٧ أخدودا معدة لاقتناص الصيد . وهذه الكثرة من الطرائد نعمة يتمتع بها الأهالى فى غذائهم إلا أنه من الغريب العجيب ان الحيوانات الأليفة مثل الثيران و الحمير و البغال لا تعيش

في ذلك الاقليم .

ومن هناك انتقل الحكمدار الى قرية « الشيخ لاتوم » Latome الواقعة على مرتفع في جوف سهل كثير المرتفعات والمنخفضات . ويبلغ الانسان ذلك المكان باجتياز سلسلة مرتفعات يكتنفها سياجات من الخيزران لا يستطيع الرصاص اختراقها لشدة كثافتها . ولقد قتل في هذه المنطقة من بضع سنوات نحو عشرين من الدناقلة .

وقابل لاتوم الحكمدار عند مدخل قريته واقتاده الى مسكنه وقدم له شهدا وعاجا هدية فنحه الحكمدار في مقابل ذلك هدية أخرى . وكان هذا الشيخ مشهورا بالبخل الشديد غير ان الحكمدار رأى منه دواما كل مجاملة واكرام .

وأفضى به السير في الرحلة التالية الى « ترانجول » Tarangole . وهذه كانت أم محطة في مركز لاتوكا وانشاؤها يرجع الى زمن بعيد والذين شيدوها هم الجنود الدناقلة التابعة لتجار الخرطوم واتخذوها قاعدة لتجارة العاج لأن طباع الأهالي الحريية حالت دون جعلها مركزا للمتاجرة في الرقيق .

وكانت أراضي مركز لاتوكا جبلية غزيرة الانبات وبها غابات كثيفة تكثر فيها الحيوانات والطيور على سائر انواعها كثرة لا مزيد عليها . ومناخها معتدل بل لطيف لدرجة كبرى لاذ ان متوسط درجة الحرارة فيها يبلغ ٢٥ درجة سنتجراد . ويجرى في جبالها ماء رائق فرات غزير . وغاباتها النضيرة ذات الاشجار الشائخة التي يتجاوز ارتفاع الواحدة منها

٥٠ مترا وتبسط ظلها الوارفة فوق عشب يشبه الفرش الخضراء . وجو مناخها البديع وماؤها النزير العذب ، كل هذا سير لاتوكا جنة لا تدع في نفس من يطؤها ميلا للرحيل عنها .

ولما كان هذا البلد جزيل الخيرات كثير الحاصلات كان يصعب ترضية سكانه بما يقنع به الزوج الآخرون من الاطعمة . فهم لا يأكلون إلا الذرة والجبوب الأخرى والشهد واللبن ولحوم الحيوانات المذبوحة . وكانوا يقتنون أيضا قطعانا كبيرة من الماعز يسرحونها ترعى في الغابات حيث تنمو مقادير كبيرة من الزهور بين الاشجار الأمر الذي يصير لحومها لذيذة الطعم . وقد قدم للحكمदार تيس فأكلت حاشيته من لحومه حتى امتلأت منها البطون وبقي بعد ذلك ٢٥ رطلا من الدهن أذابها طاهيه .

وكان لسكان لاتوكا شهرة كبيرة في الحروب مصحوبة بشيء من الشجع والترفع وكانوا يشتغلون بنوع أخص باقتناص الجاموس والافعال .

وانتقل الحكمदार وفيتا حسان من ترانجول الى محطات المركز الأخرى وهي « واتاكو » Walaku و « فاراجوك » Faragok حيث لبثا يومين وفي هذه المحطة الأخيرة غادرهما لتون بك مأمور المركز .

ومن ترانجول ذهب أمين بك الى مركز فاديبيك وهي بلدة الشوليين . وأول محطة زارها محطة اجبارو وهي المحطة الأولى وبينها وبين آخر محطة من مركز لاتوكا مرحلة ثلاثة أيام والمسافة بينها وبين فاديبيك تستغرق سفر يوم ونصف يوم وأربعة أيام من فاجولى . وفاديبيك هذه واقعة

في سفح سلسلة جبال في جوف سهل صغير كثير الخصب فيه المراعى النضرة
للانعام والنعيم .

وانطلق أمين بك بعد اجارو الى فاجولى وهي محطة قائمة في قلب
حوض وليس في موقعها شيء يستوقف النظر وتنحصر أهميتها في مبادلة المتاجر
مع اهالى اللانجو المقيمين في الجنوب والشرق . وأهم تجارتها ريش النعام ويأتى
بعده في الأهمية العاج .

وكانت المتاجرة في الريش قد أدركها الغناء وتركت في زوايا الضياع لغاية
ذلك الحين مع أنه من المستطاع الحصول على كمية كبيرة من هذا الريش من
هذه المنطقة لأنه يوجد بها النعام بكثرة وفيها منه أسراب هائلة العدد .
وعلى ذلك اتخذ أمين بك العدة ورتب الترتيبات اللازمة المؤدية لحث الأهالى
وتحريضهم على جمع الريش ونقله الى المحطة وانشاء حقول في مختلف المحطات
لتربية النعام .

وكان لا يوجد مجارى ماء في فاجولى وكان الاهالى يعترفون
ما يلزمهم من الماء من الآباز والصحاريح التى تتكون فيها مياه الامطار .
وأكبر صحريح هو الواقع على بعد ميل جنوب المحطة وطوله ٨٠٠ متر
وعمقه متران وكان مأؤه يكفى حاجات المحطة والقرى المجاورة
طيلة أيام السنة .

وانتقل أمين بك من أجارو الى فاديبك واستراح في هذه يوما
واحدا واستبدل فيها بحماليه آخرين . ومن فاديبك سار موليا وجهه
شطر قرية « عبو » Obbo وهي أبعد محطات مركز شولى شمالا .

وكان يوجد في عبو رجل ينزل المطر يسمى « راتشى » Ratchi . وهذا الرجل قضى نجه من زمن غير أن واحدا من أبنائه الذين كان يبلغ عددهم ١٢٠ نفسا حل محله في وظيفته وأهالى عبو يكرمون الضيف ورجبون بقدمه .

سفره الى محطة لابوريه وتفقدته الأعمال بها

ومن عبو سافر الحكمدار صوب الغرب ميمما محطة لابوريه القائمة على النيل الأبيض . ومر في طريقه بقرية أوغلى Ogilli التابعة لمركز « فانيكوارا » Fanyiquara . وفي أوغلى أبدل بمجاليه آخرين أيضا لكي يستطيع ان يجتاز بأكثر سرعة حقول الخنطة التي في طريقه . وعندما وصل الى قرية « دريتسو » Dereto تسلل جميع الجمالين الواحد تلو الآخر ولم يتيسر له ان يستمر في رحلته ويبلغ قرية « كيرو » Kero إلا بواسطة شيخ القرية الأولى المسمى « جوتا » Guta الذى أحضر له اناسا بدلا منهم . وكيرو السالفة الذكر واقعة على مسافة ثلاث ساعات من لابوريه وقائمة فوق تلاع ولهذا كان منسوبها مرتفعا كثيرا عن هذه القرية الاخيرة والطريق الموصلة بينهما منحدره انحدارا شديدا لغاية ضفة النيل الشرقية حيث توجد محطة لابوريه التى دخلها الحكمدار فى السادس والعشرين من شهر مايو .

وتفقد كماداته المحطة والاشغال التى أنجزت فيها ونخص الطرق المتبعة فى سبيل حماية الأهالى وتحسين حالة معيشتهم . وأودع لحسابه فى مخازن الحكومة عشرة قناطر من العاج وخمسة أرتال من ريش النعام . وهذه المقادير هى التى أهداها اليه رؤساء قبائل الزنوج

أثناء جولته .

رجوع فيتا حسان مع الحكمدار الى لادو وتولية عمله

وسار الحكمدار من لا بوريه متتبعا مجرى النيل وتفقد محطات موجى ، و كرى ، و بيدن ، و الرجاف عند مروره بها ورجع الى لادو في يونيه .

ووجد فيتا حسان عندما دخل لادو ان سلفه خليل افندى سافر ليتسلم مركزه الجديد وترك له المنزل الذى كان يسكنه . ولما كان مشيدا بالطين وعيدان الخيزران اتجهت افكاره للحصول على شيء أحسن من هذا فصنع قوالب للطوب بطول ٣٥ وعرض ٢٠ سنتيمترا وفي مدة شهر أنجز ٤٠٠٠٠ طوبة بنى بها بيته الجديد وساعده في ذلك صناع الحكومة إذ كان لها في المديرية بناء ونجار وحداد ونقاش وسمكري يتقاضون رواتب شهرية . وكان هؤلاء لا يعملون شيئا لحساب الأهالى . والموظف الذى يستخدمهم في أمر من الأمور ينبغى عليه أن يقدر ما يساويه عملهم بواسطة رئيس الموظفين والمبلغ الذى يقدره ينضم من مرتب ذلك الموظف .

وعندما نفى يديه من تشييد سكنه وجه فكره للمرضى وأراد أن يستفيدوا هم الآخرون من تحسينات كهذه فأعاد بناء المستشفى والصيدلية من الطوب وأوجد في الأول كل وسائل الراحة والصحة وأوجد في الثانية دواليب زجاجية وضع فيها أحقاق وأوانى الأدوية بأكل نظام وأتم ترتيب وأعد فيها كذلك معملا عمليا نظيفا .

وروى فيتا حسّان أنه لا يوجد أى مرض أو داء عضال فى لادو ولا فى محطات الحكمدارية الأخرى . وانه فى ابان إقامته فى لادو لم يتقدم اليه للعلاج إلا شخص واحد مصاب بالحُمى الخبيثة وآخر بالتيفوس واثنا عشر بالصفراء وبعض اناس مصابون بأمراض سرية . وكان الزوج لا يعرفون هذا الداء قبل أن تدخل العناصر العربية ديارهم . وهؤلاء العرب هم الذين نقلوه الى بلادهم . وقما تجد انسانا يشكو من ألم فى عينه فميون وأسنان السودانين ليس لها نظير فى كل بلاد العالم . والمرض الوحيد الذى خص به العنصر الزنجى هو داء دودة المدينة المسمى هناك بالفرائتيت Frantit . فهذا المرض لا يصاب به سوى الزوج ولا يحدث منه وفاة .

تاريخ احتكار الحكومة للتجارة بهذه المديرية

أورد فيتا حسّان فى الفصل الثالث من كتابه بياننا هاما بصدد كيفية دفع رواتب الموظفين والمعاملات التجارية الجزئية التى صارت تحصل من وقت احتكار الحكومة للتجارة .

ويرجع تاريخ هذا الاحتكار الى عهد ضم اراضى المديرية اما الواضع له فغوردون باشا واستمر معمولاً به من ذلك الوقت .

ولا توجد تجارة حقيقية بمعنى الكلمة فى لادو ولا فى محطات خط الاستواء الأخرى وبحر الغزال ابتداء من لادو . وكان يوجد فى لادو ثلاثة تجار وهم صبره وهو مصرى من اهالى الوجه القبلى ، وروفائيل وهو قبطى ، وديمترى يونانى . وكلف غوردون فيما بعد اثنى عشر يونانيا بينهم هذا الأخير بحراسة المستز « بور » Power قنصل انكلترا

في الخرطوم والذب عنه ومرافقته هو وأمير الألاى « استوارت » Stewart
ومسيو « هربن » Herbin قنصل فرنسا . وكان هذا الجمع كله على
ظهر الباخرة « عباس » التي كان قد أرسلها غوردون الى الديار المصرية
وشحطت بين أبى حمد ومروى حيث ذبحهم جميعا الدراويش .

وكان تجار لادو الثلاثة كلهم يمتلكون رأس مال يبلغ نحو ١٥٠٠
ريال . وهذا المبلغ هو قيمة ما لديهم من السلع التي تنحصر في بعض
مقاطع من الأنسجة القطنية والدامور وبعض زجاجات من المشروبات الروحية
وكية زهيدة من المواد الغذائية .

وكانت المواد الهامة المدة للتصدير هي وحدها المحتركة وترسل
الى الخرطوم وهى العاج وريش النعام وجلود الثيران . فالعاج
بلا امتراء من ممتلكات الحكومة ويجب على الأهالى جميعهم بدون استثناء
توريده لمستودعات الحكومة حالا عقب صيد الفيلة بدون مقابل . وربما
سأل سائل لماذا يتكلف الزوج غناء اقتناصها ما داموا لا يستفيدون فائدة
من وراء صيدها . والجواب على ذلك ان أولئك الزوج يصيدونها ابتغاء
الحصول على لحومها وشحومها اكثر مما يبنون الحصول على انيابها لاذ أنهم
يحصلون منها على مقادير وافرة من اللحوم والشحم للتغذية . وكانوا قبل
احتكار العاج يبادلون عليه بالخرز أو بزجاجة من الخمر المشوشة التي يجلبها
التجار . هذا اذا لم يتخذ منها كثير من مشايخهم سياجات يفتشونها حول
اكواخهم ويستثنى من ذلك سكان مملكتى الاونيورو والاوغندة إذ ان هؤلاء
كان يوجد بينهم وبين الزنباريين علائق تجارية .

وفرضت الحكومة فيما بعد ذلك على الأهالى توريد العاج بصفة

جزية فاضطروا أن يقتنصوا الافيال ليوردوا ايناها سدادا لما هو
مطلوب منهم لها .

وعاد الاحتكار على الاهالى بأضرار أقل كثيرا من التي وقعت على
العرب لأن هؤلاء كانوا يجرون مناجم كثيرة من وراء ييمهم العاج
في الخرطوم .

وكان من التمين أيضا تسليم ريش النعام في مستودعات الحكومة فتدفع
هذه نصف الثمن والجزء الباقي يحجز سدادا لضريبة الحكومة .

وهذه هي القاعدة المتخذة أساسا للدفع :-

١٨ ريالاً ثمن رطل الريش الأبيض بضاعة عالية ويقال لهذا الصنف
« العوام » .

١٢ ريالاً ثمن رطل الريش الأسود بضاعة متوسطة ويقال لهذا الصنف
« الأسود » .

٣ ريالاً ثمن رطل الريش الأشهب بضاعة عادية ويقال لهذا الصنف
« ريدا » Rebeda .

وكانت هذه الأثمان لا تدفع نقدا بل غلة . وكانت السلع تقوم مقام
النقود المتداولة في مديرية خط الاستواء فيدفع منها رواتب الموظفين والجنود
وكذلك الحال في باقي المعاملة التجارية .

وكانت البواخر التي تبصر الى الخرطوم تشحن بالعاج وريش النعام

والجلود وغير ذلك من الأشياء الصغيرة ولدى عودتها توسق بالمظلات و الاحذية و الطرايش و المنسوجات القطنية الغليظة و الخرز و الصابون و السكر و البن و الشاي و المشروبات الروحية و سلم من المدة للاستبدال من جميع الانواع .

ولم ير فيتا حسن طول المدة التي أقامها إلا شحنة واحدة من النقود تحتوي على ٥٢٠٠٠ ريال بعث بها رءوف باشا من الخرطوم ليدفع منها المعاشات المتأخرة ومرتبات المستخدمين الملكيين والعسكريين لغاية آخر عام ١٨٧٩ م . وكون هذا المبلغ القيمة التي استعملت للمبادلة عينا في جميع أنحاء المديرية زهاء عشر سنوات وكانت كل باخرة تأتي من الخرطوم تجلب سلعا بنحو ٣٠٠٠٠ ريال .

ولدى الوصول كان يضاف الى ثمن الشراء الذي كان مرتفعا في الخرطوم رسوم قدرها ١٠ ٪ تقريبا علاوة على نفقات الشحن . وهذه النفقات كانت تحتسب بواقع ١٢٠٠ قرش يوميا عن ٩٠ يوما أي طيلة مدة الذهاب من الخرطوم والعودة اليها فيكون مجموع ذلك ١٠٨٠٠٠ من القروش . وعلى هذا يزيد ثمن السلع زهاء ٣٠ ٪ والموظف الذي يستولى على راتبه غلات أي من هذه السلع لا يصل الى يده إلا ثلثا استحقاقه .

والحاصلات التي كانت تجبي من الأهالي مثل الذرة والسسم والفول والشهد والزيت والأشياء الأخرى كانت تعطى للموظفين بمقتضى قواعد معينة وتخصم من أجورهم . واثمانها الرسمية هي كالاتي :-

اليوزباشى حواش افندى منتصر الذى سيمهد اليه أمر قيادة هذه الحملة وتسلم المركز المذكور ، بالأشياء التى تلزمه . وأخبره فى الوقت ذاته أن وكيله لبتون بك عين حكمدارا لمديرية بحر الغزال بدلا من جيسى باشا الذى عزل من الخدمة وأدركته منيته فى السويس . وأخبره علاوة على ما ذكر أنه على وشك الحجى الى مكراكا ومن هذه يتوجه لتفقد مراكز أمادى ، و اجاك ، و روميك وغيرها من المراكز البحرية وأنه من المحتمل أن يذهب بعد شهرين للتفتيش على منطقة ممبتو ويتمتع فيها بمشاهدته .

وبعد أن تسلم اليوزباشى حواش افندى منتصر قائد جنود مكراكا أمر تكليفه بادارة مركز ممبتو سافر على رأس ٥٠ جنديا لا غير لينضم الى حامية ذلك المركز المؤلفة من عساكر خطيرة .

ووجد فى قرية « أنزيا » Anzia وهى آخر محطات مكراكا اليوزباشى كازاتى الرحالة الايطالى مريضا . فاهتم بأمره طيلة يوم وسافر فى اليوم التالى الى « برنجى الصغير » وهى أول محطة من محطات مركز ممبتو . وعلم وقت وصوله اليها ان الأهالى أبادوا الحامية الخطيرة التى فى هذا المركز المؤلفة من ٨٠ جنديا .

ولم يدع هذا النبأ اليأس يتطرق الى قلبه وكتب الى الحكمدار يقول : لقد قتلت حامية ممبتو وسأنطلق الى هنالك لأعاقب الزوج على ما جنت أيديهم وأنتقم لسمعتك . فاذا سلمنى الله من هذه الواقعة وظللت على قيد الحياة احطتكم علما بالنتيجة .

واتقل حواش افندى منتصر الى قرية « الطويل » وفيها قام بعملية مبادلة الدم مع شيخها . وبعد مضي ١٢ يوما استطاع أن يجمع ٣٠٠ زنجي مسلحين بينادق بقيت في حيازتهم من وقت أن كانت المتاجرة بالسلاح مباحة .

ومبادلة الدم بين شخصين هي عبارة عن اتحاد بينهما يحتم عليهما أن يتعاونوا في حالتى الهجوم والدفاع . وهذا الاتحاد الميث بتابع من دمها لا انفكاك له . وهذه هي طريقة مبادلة الدم عند رؤساء الزنوج :-

يحدث كل من المتبادلين الدم جرحا بسيطا في ذراع الآخر أو في جنبه بألة حادة وينمس في دم زميله حبة ما - ومن المعتاد أن تكون هذه الحبة من حب البن - ويتلما فورا . وبانتهاء هذه العملية يتم عقد مبادلة الدم . ومتى انتهى توقيع العهد بهذه الصيغة لا يخشى أى الفريقين خيانة أو غدرا من الجانب الآخر حتى ولو كانا قبل توقيع العهد عدوين لدودين بل يطرحان الماضى في زوايا النسيان ويلتزمان أن يشدا أزر بعضهما . ولم يحدث مطلقا في السودان ان أحدا من الموقعين عهد الدم نكث عهده ويصح أن يحتذى الرجال الذين يطلق عليهم كلمة متمدينين بمتوحشى افريقية في المحافظة على العهد .

وسافر حواش افندى منتصر موليا وجهه شطر « بنجيدى » Bengedi الواقعة على نهر وليه . وبعد أن علم شيخ هذه الناحية بما عقد عليه حواش افندى منتصر النية وقع معه معاهدة الدم وسمح أن يرافقه ١٨٠٠ رجل من رجاله مزودين بالحراپ . ودفعه الى ذلك عامل الطمع في

الحصول على غنائم . وسافر حواش افندى منتصر مصحوبا بهذه الامدادات الى ممبتو .

وغادر بلد النيام نيام وولج في ممبتو متخذاً طريق بلدة « بمبا » Bamba التي يرأسها الشيخ أزنجما Asanga أخو الشيخ چمبارى Jambari .

تأديب اليوزباشى حواش افندى للمامبانجا وأتباعه

وقام حواش افندى منتصر في بلدة بمبا بعدة مظاهرات بواسطة جنوده أطلق خلالها كثيرا من الطلقات النارية إرهابا للاهالى . وعقد معاهدة الدم مع أزنجما واصطعبه في مسيره مع ١٥٠٠ رجل آخرين تابعين له ودخل حواش افندى منتصر في أراضى « كوبي » Kobi التابعة لچمبارى أخى أزنجما على رأس ٣٦٥٠ رجلا . وكان چمبارى هذا أسيرا في مديرية بحر الغزال فأتى ابنه جمعة لمقابلته وعقد معه معاهدة الدم وطلب منه أن يتوسط لدى الحكومة لاطلاق سراح أبيه .

وعلم حواش افندى منتصر عند ذاك أن الحماية قتلها مامبانجا في تنجازى . ومامبانجا هذا هو رئيس ممبتو وأن القتل حصل بتحريض واغراء الرئيس الحاكم جنجارا Gangara . وأراضى مامبانجا واقعة خلف تنجازى . فزحف على هذه الناحية الأخيرة وقاتل جنجارا وأخذه أسيرا وأجرى تحقيقا بشأن إهلاك الخطرية وسار من أجل هذا الغرض في طلب مامبانجا الذى كان نازلا عند تخوم بلدة « ابرامو » Abramo وهاجمه على غرة منه واضطره أن يرحل الى داخلية البلد . فاقضى أثره حواش افندى منتصر وطارده مدة سبعة عشر يوما . ولما لم يستطع اللحاق به ألقي عصا

تسياره في عاصمة مامبانجا القديمة على مسافة قريبة من قرية الشيخ مبورو Mboro وعقد مع هذا معاهدة مبادلة الدم وأقام في تلك الربوع محطة حصينة وعين فيها خمسين رجلا . وأرسل بقيادة الضابط محمد افندي عبده جنود الزوج ليقم محطات بمبتو ويحصنها . وتربص حواش افندي منتصر لمامبانجا وشددت عزيمته في ذلك مخالفة مبادلة الدم التي عقدها مع مبورو . وعمل مامبانجا كل ما في وسعه بل بذل ما هو فوق ذلك لإرهاب حواش افندي منتصر وحمله على الإقلاع عن مطاردته .

وقدم ذات يوم رسول وقدم الى حواش افندي منتصر الهدايا حسب المعتاد وأراه أربع سلال مفعمة بالتبن المقت وقال : « ان سيدى يخبرك ان لديه رجلا يضارع عددهم التبن الموضوع في هذه السلال التي أمامك . وهو يؤثر أن يكون صديقك على أن يكون خصمك وينصحك مراعيًا في ذلك مصلحتك أن تكف عن مطاردته » .

وما أتم الرسول كلامه حتى أخرج له حواش افندي منتصر من جيبه علبة صغيرة بها عيدان من الكبريت وبعد أن أعطاه هدايا لسيدة مامبانجا قال : « حال وصولك لسيدك افعل مثل ما أنا قادم على عمه تحت بصرك وجاوبه بالذى سأقوله لك » .

وقلب حواش افندي منتصر سلال التبن وأشعل ما كان فيها بعمود من الثياب وقال له : « بعد ما تكون قد قت بعمل ما أريتك أمام سيدك قل له إنه وإن كانت جنودى ليست أكثر عددا من عيدان الكبريت التي في هذه العلبة إلا أن واحدا منهم يكفى لملاشاة وإفناء جيشه مثلما اكتفى الحال بعمود واحد من هذه العيدان لتحويل هذا

التبن رمادا .

وقد يكون في هذا الزعم شيء من المغالاة ولكن يلزم ألا يفوتنا أن حواش افندى منتصر كان يواجه اناسا تعمل فيهم الجرأة في القول والاقدام على العمل ما لا يعمله التروى والتبصر في العواقب .

وبعد شهرين من ذلك عاد مامبانجا . وعلم حواش افندى منتصر وكان وقتها في « مבורو » Mboro ، أن ذلك الرجل أرسل في الطليعة جيوشه المساعدة . ولما كان لدى حواش افندى منتصر من الذخيرة ما يكفيه رتب عساكره وسط المحطة خلف حصن مؤلف من حاجز من الأعمدة الخشبية كان قد أعده من قبل احتياطا للطوارئ وأحاط ذلك من جميع الجهات بزئوج مبورو .

وكان مامبانجا في أثناء هذه المدة قد جمع لفيق قبائل « الأبرامو » Abramoss ولم يتخلف عنه من جموعهم إلا قبيلة مبورو وشرع في الهجوم على المحطة . وكان ذلك قبيل الظهر . وأعطيت لزنوج الأوامر المشددة بأن لا يغادروا الحصن وأن يدعوا العدو يقترب متلاحم الصفوف . وهذا ما حصل فعلا . وعندئذ صوب عليهم حواش افندى منتصر نارا حامية متواصلة أخذت تحصد صفوفهم فكان يسقط عقب كل طلقة تصوب الى جموع الأعداء المحتشدة رجل بينما كانت عساكره مع حلفائهم متحصنين خلف المتاريس . وقبيل الساعة الثامنة مساء انسحب العدو بعد أن خسر ٣٦٠ رجلا ونزل على بعد بمض مسافة .

وأضرم حواش افندى منتصر في أثناء الليل النار في جانب من

اكواخ القرية وأخفى رجاله خلف الأشجار وأمر بعدم إطلاق النار على العدو إلا بعد أن يعطى هو إشارة بطلقة نارية . وظنت رجال مابانجا أن هذه النار شبت بالقضاء والقدر فانقضوا صوب هذه المنطقة المفعمة بالأخطار والأمل يساورهم بأنهم سيرجعون منها محملين بالغنائم . ولدى وصولهم الى مسافة مرمى البنادق أعطى حواش افندى منتصر الاشارة وفي الحال أحيط بالأعداء من كل صوب وناحية وهلك منهم عدد كبير . وقد وجد بعد انقضاء المعركة زهاء ٤٠٠ قتيل في ميدان الوغى .

وجمع مابانجا رجاله وانسحب من الميدان ممتلئا خوفا ورهبة في اتجاه أبرامسو . والرؤساء الذين كانوا ملتفين به لنهاية تلك الساعة انقضوا هم وتوابعهم من حوله وقدموا الواحد تلو الآخر الطاعة للحكومة وعقدوا عهد الدم مع حواش افندى منتصر . وقد بلغه في هذه الآونة أن الطيب جونكر وقع أسيرا في قبضة يد الماديين فأرسل خلفه في الحال من يقص أثره وأوصله الى ممبتو .

الانعام على اليوزباشى حواش افندى منتصر

وكتب الطيب جونكر الى أمين بك كتابا لحمته وسداه الشناء المستطاب على حواش افندى منتصر لما اتخذ من الاجراءات في معاينة الرئيس جنجارا ولما بذله في سبيل استرداد متاعه . ومن العجب العجيب ان اليوزباشى كازاتى الذى كان حينذاك في ممبتو أيضا ورأى فيها الطيب جونكر كتب خطابا الى أمين بك في نفس ذات البريد الذى أرسل معه هذا الطيب خطابه يتهم فيه حواش افندى منتصر بارتكاب سلسلة من الخطايا وبأنه هاجم جنجارا هجوما لا مبرر له سوى لإرادة

السلب والنهب .

وبعث أمين بك بالخطابين السابقين الذكر الى رهوف باشا حاكم دار
عموم السودان وهذا رفع حواش افندى منتصر الى رتبته صاغقول أغاسى
ممولاً فى ذلك على ما أبداه الطيب جونكر الذى كان قد طلب لحواش
افندى منتصر مكافأة .

سفر الحكمدار مع فيتا حسان لتفقد الأحوال

وبعد أن أدمج أمين بك مركزى رول ، و ممبتو فى مديرية خط
الاستواء عقد النية أن تفقد أحوالها بنفسه لكى يتمكن من تنظيم
إدارتها فاستصحب فيتا حسان معه فى هذه الرحلة . وعلى ذلك انتهز
هذا الفرصة لاستطلاع أحوال هذين المركزين ومركز مكرাকা أيضا الذى هو
أهم مناطق جميع المديرية وأكثرها ثراء وخصبا .

وفى ١٥ سبتمبر اتجهوا نحو الغرب ومعهم سكرتيره و رجال
حاشيته الثلاثة و خدمه و ١٤ جنديا . وفى ظرف ١٥ يوما أفضوا
الى زريبة « كانجو » Kango فى لادو فكانوا يسرون طيلة النهار
ويحطون رحالهم عند المساء فى أول قرية تصادفهم اذا وجدوا فيها
حاجاتهم وكانت أهاليها تقابلهم بالترحاب . وكانت زريبة كانجو مأهولة
بالدناقلة وقائدها رجل يقال له مولى افندى . وحال وصولهم الى هذه
الزريبة تقدمت امرأة زنجية الى أمين بك وشكت له سوء معاملة ربه
لها وهو شخص من أولئك الدناقلة . وكان أمين بك يعرف استبداد
هؤلاء فلم يتردد لحظة فى تصديق صحة دعواها وحقيقة شكواها فسامها

رخصة تحريرها من الرق وسمح لها بالعودة الى مسقط رأسها . وانتشر هذا الخبر في البلد بسرعة البرق وفي الحال انكشف الخبأ وظهر عدد كبير من الرجال والنساء الواقمين في الرق وحذوا حذو الزنجية السالف ذكرها وطلبوا مطالبها .

وجلس أمين بك يوما ليستمع شكاوى أولئك البائسين فخر منهم زهاء أربعين نفسا ورجعوا الى أوطانهم .

وكان قد ألم من قبل بأحوال الدناقلة فكان اذا ذكرت سيرتهم لا يذكرهم بخير . وهؤلاء القوم يتمتعون بامتيازات تخول لهم ألا يدفعوا أية ضريبة للحكومة وكانوا يخلقون لها غناء ومشاغل أكثر مما يوجد له الأهل . وحدا هذا كله الحكمدار أمين بك الى أن يضع حدا لهذه الامتيازات ولإبطال هذه الانعامات التي لا يستحقونها والتي لا يوجد لها أى مبرر . وعلى ذلك أصدر أمرا بدفع الضرائب أو النزوح عن الديار فاختاروا الرجوع الى الخرطوم . نعم لأن الدناقلة لم تشرح صدورهم لهذا الأمر إلا أن الزوج بالعكس ارتاحوا له جد الارتياح .

وبعد أن أقام ثمانية أيام في زرية كانبجو غادرها هو وفيها حسّان وبما « بوفى » Bufi وهي محطة من أعمال مركز رول ورئيسها شخص من الدناقلة يقال له عزب افندى .

وتفقد الحكمدار العام أمين بك لإدارتها ونخص دفاتها وزار مخازنها واستعرض حاميتها ولم يفته شاردة ولا واردة من الاشياء التي تهم رئيسا من الرؤساء .

وانتقل الاثنان من بوفى الى أجاك فبلغاها فى ظرف ثلاثة أيام وذلك بعد أن ألقيا رحلتهما للاستراحة فى بعض المحطات الصغيرة . وبلغ الحكمدار أمين بك قبل أن يصل الى القرية أن دناقلة هذه المحطة أصروا على قتله خلال عرضه لحايتها انتقاما لرفاقهم الذين كانوا فى زريبة كنجو حتى لا يتعرضوا هم الآخرون لمثل ما وقع عليهم . ولم يثر هذا الخبر بلايل الحكمدار ودخل أجاك هادئا مطمئنا بدون أن يتخذ أقل حيلة . وهذه القرية هى أهم قرى مركز رول وكان قائدها وقتئذ رجلا من الجميلين يقال له ضيف الله ركاجا . وقد أعد له هذا بيتا نظيفا وقابله مقابلة حماسية . وفى اليوم التالى انطلق الحكمدار يتفقد ويفتش مثلما عمل فى المحطة السابقة وفى الوقت نفسه كان فيتاحسان يزور الجنود والمرضى . وعرض الحكمدار الجنود بدون أن يدع نفسه تخالجها عوامل الخوف والرهبه على أثر ابلاغه خبر المؤامرة التى عقدت لاغتياله . وفملا ناقض قيام الجنود بالاستعراض بمجد خبر المؤامرة المزعج الذى اتصل به . وقد أقام فى أجاك زهاء أسبوعين .

ولا بد لنا هنا من أن نخص بالذكر مجهودات المسيو ماركو جىسبارى Marco Gaspari التاجر اليونانى واهتمامه بتوسيع وسائل الزراعة وانتشارها . فقد غرس جىسبارى فى جزء من قطعة أرض تبلغ مساحتها نحو ٢٠ فداناً ويحيط بها سياج كثيف من التين الشوكى اشجارا من اشجار الفاكهة المختلفة الانواع وزرع فى جزء آخر منها خضرا والباقي منها خصه بزراعة الذرة والبطاطا والفول والسهم والفول السودانى . ويوجد فى بستان الفاكهة غير التين الشوكى الكثير العدد الذى يكتف المزرعة من كل جانب أشجار من أشجار الموز المختلف الأنواع والتين والبلح والخوخ

والرمان والليمون . وهذا مما يبرهن على أن الارض صالحة لكل أنواع المزروعات والمفروسات وأنه في حيز الاستطاعة تمويد مفروسات أوربا على مناخها .

وزراعة الفول السوداني منتشرة في اجالك انتشارها في سائر انحاء بلاد الدنكاويين المقيمين في مركز رول . وتبلغ مساحة كثير من الحقول المزروعة هذا النوع بعض كيلومترات وتمتد من قرية الى أخرى . وعندما اجتاز الحكماء أمين بك تلك الحقول استدعى الأهالي واستعلم منهم عن سر عدم إقدامهم على استخراج الزيوت من هذا النبات . وحسبهم كثيرا على عصره وأكد لهم بأنهم يحصلون منه على زيت يفوق الشيرج كثيرا دسامة و طعما . وفرض على كبير الناحية توريد مقدار من زيت الفول السوداني بصفة جزية وهكذا ألزم الأهالي أن ينكبوا على هذه الصناعة فجنوا منها فيما بعد أطيّب الثمار وأجزل المنافع .

وبعد مسيرة يومين من مبارحة أجالك أفضوا الى روميك قاعدة مركز رول وكان معهودا بإدارتها الى شخص من الخطرية يقال له ابراهيم غطاس . وأقاموا في هذه الناحية مدة يومين تفقد الحكماء في خلالها الأحوال كالعتاد بل بدقة تفوق الحد المعتاد في رحلات تفتيشه الماضية . وأمر بنوع أخص بالاعتناء بدفاتر الحساب وإصلاحها ابتداء من تاريخ تعديل لإدارة هذا المركز . وأعطى تعليمات صارمة تتعلق بإدارته ونبّه مشددا على كبير الناحية بأن يخاطب في كل الاحوال حكومة لادو مباشرة .

المودة الى لادو عاصمة المديرية

وتلقى الحكمدار قبل مغادرته روميك خطابا من موسى بك شوقى (١) وكييل مديرية بحر الغزال يدعوه فيه للمجيء الى مديريته ليعينا بالاتفاق تخوم المديريتين . واجتاز أمين بك « خور التمساح » بعد أن مر بناحية « جوك مختار » Go'k Moukhtar وهي آخر محطة من محطات رول . وعلى بعد كيلومترين من عبور الخور المذكور قابل هو ومن معه موسى بك وكان قادما لمقابلتهم بالنيابة عن لبتون بك الذى كان قد توجه الى الخرطوم ليزور حكمدار السودان العام . وانتقل موسى بك وأمين بك معا الى « جوك حسن » حيث أقاما يومين وبعد أن عينا التخوم الفاصلة بين المديريتين قفلا راجعين .

وسلك الحكمدار أمين بك فى الاياب نفس الطريق التى سلكها فى الذهاب لفاية جوك مختار ومن هناك قرر السير فى طريق آخر ليمر بمحطات شتى ويستطلع أحوالها . فبدلا من أن يـمـروا بروميك ولوا وجوهم شطر محطة « ليجى الصغيرة » Liggi الواقعة جنوب روميك . وأقاموا يومين فى ليجى ثم شخصوا منها الى « جوزا » Goza التابعة لمركز مكرাকা . ومن جوزا اتجهوا الى « جندا » Ganda الواقعة ناحية الشرق . ولبت الحكمدار فيها ثمانية أيام لأنها وقعت من نفسه موقعا حسنا . وكانت هذه المحطة الصغيرة قائمة على مرتفع تصبو النفس كثيرا من أجله

(١) — أصله ضابط سوارى وأرسل الى السودان وتقلب فى عدة وظائف هناك ونال أخيرا رتبة الباشوية وكان فى الخرطوم مدة حصار المهديين لها وقتل عند سقوطها .

للاقامة فيها لاعتدال مناخها وطيب نباتها وعذوبة ماء جدولها وصفائه .
ومن تلك المحطة انتقلوا الى « واندى » فبلغوها في ظرف خمسة أيام ونزلوا
فيها في الكواخ من الكواخ الزوج . ورحلوا بعد ذلك الى « أمادى »
Amadi وهي محطة تابعة للادو وأقامو فيها يومين . وفي هذه المحطة ورد
الى الحكمدار أمين بك خطاب من لبتون بك يخبره فيه بوصوله الى
بحر الغزال وتعيين مركوبولو أخى مركوبولو بك سكرتير رءوف باشا
وكيلا لمديرية خط الاستواء . وأطنب في التشاء على هذا الوكيل .
ومما قاله في هذا الخطاب ان شخصا يقال له محمد احمد ادعى بأنه المهدي
ونشر راية المصيان في وجه الحكومة وان محمد احمد هذا يسكن جزيرة
أبا من اعمال مركز « كوى » Kawa ولديه عدد كبير من الأتباع
يأمرون بأمره .

وفي مساء قبل سفرهم من أمادى حدث خسوف جزئى للقمر وقبل
دخول لادو بزمن يسير وردت له الانباء بوصول الباخرة « بردين »
وعلى ظهرها مركوبولو وكيل المديرية الجديد . وقد أتى لمقابلة امين بك
الذى كان قد قدم في ١٩ ديسمبر . وعند وصوله قدمت له الجنود التحية
المسكينة المعتادة .

وبعد أن استقر به المكان اطلع على المراسلات الواردة بالسبريد
فوجد بينها خطابا من رءوف باشا يدعو فيه للحضور الى الخرطوم .
هذا ، ولما كان الحكمدار امين بك ليس لديه شيء يجمهله على الاسراع
في السفر ظل زهاء شهر في لادو مشغلا بتوزيع السلع التى وردت مع
الباخرة « بردين » الى مختلف المراكز وتأدية الاعمال المعتادة في

أنحاء المديرية .

وفي ٢٥ ديسمبر كتب امين بك رسالة الى الطيب جونكر أحاطه فيها
بوصوله الى لادو وبلغه ايضا الاخبار التي وردت له مع الباخرة « بردين »
وأخبره ايضا بوصول وكيل المديرية الجديد وذكر ان هذا الوكيل غير
متحل كليا بشيء من الأهلية والجدارة وانه لم ينل مركزه إلا بسبب
منصب أخيه الذي كان فيما سلف أمينا لمخازن حملة سير صمويل بيكر .
وطلب أيضا الحكمدار أمين بك من جونكر أن يتكرم بمراقبة بحيث
بك بتراكي وقال انه غير مرتاح لأعمال هذا الرجل وأنه لم يبعث به
الى ممبتو إلا لأنه لم يجد لديه شخصا أكثر منه كفاءة . وسأله
عن ال ٤٠٠ رقيق الذين استولوا على أوراق عتقهم في ممبتو وكانوا
ضمن الزوج الذين في زريبة مولى افندي في « كانجو » Cango هل رجعوا
الى أوطانهم أم لا .

تقسيم الادارة والاراضي في مديرية خط الاستواء

وذكر فيتا حسّان في الفصل الخامس والسابع من كتابه الآنف
الذكر التقسيم الاداري في هذه المديرية وكذلك تقسيم أراضيتها
وترتيب قواتها العسكرية وسكانها وحالتها المالية . وهذه ترجمة ما قاله
في هذا الصدد :-

كانت مديرية خط الاستواء مقسمة في عام ١٨٨١ م الى ١٠ مراكز
أو إدارات وكل إدارة منها تحتوي على جملة محطات . وهذه الادارات
كانت تسمى مديريات من عهد حكمدارية غوردون باشا وكانت

قاعدتها العمومية لادو . وكان الرئيس يلقب بمدير عموم خط الاستواء .
وكان عدد المحطات يبلغ ١٧٠ محطة . وهذا عدا القرى التي ليست بها حامية
والقبائل التابعة للمديريات وكذلك القبائل المفروض عليها جزية .

وهذه هي إداراتها العشر :-

بور وهي قائمة على الضفة النيل الأبيض الشرقية .

لادو ، وكري ، و دوفيليه وكلها قائمة على الضفة النيل الأبيض الغربية .

فويرا ، و لاتوكا ، و فادييك وكلها قائمة في شرق النيل الأبيض .

رول ، و مكراكا ، و ممتو أو جرجورو وهي واقعة غرب النيل
الأبيض .

ويقع الحد الشمالى للمديرية عند محطة السوبات المسماة بالتوفيقية من عهد
حكم سير صمويل بيكر . ولم تنشأ هذه المحطة إلا ابتغاء توريد الاحطاب
التي تلزم لوقود مراحل البواخر . وانفصلت هذه المحطة فيما بعد هي و محطة
ناصر من مديرية خط الاستواء وألحقها بمديرية فاشودة .

والمركز الأول (١) « بور » قاعدته في القرية المسماة بهذا الاسم
وموقعه شرق النيل الأبيض . وأرضه تحتوى على غابات فسيحة الأرجاء

(١) — ويعلم من هذا التقسيم ان المركز كان يسمى ادارة وان هذه المديرية كانت
تسمى مديريات خط الاستواء .

مترامية الأطراف من خشب الابنوس وهي عامرة بسائر أنواع الحيوانات البرية . وهذا المركز ممتد كثيرا ويتصل بمركز لاتوكا غير ان سكانه قليلو العدد . وفيما عدا بور لا يوجد به أى محطة عسكرية أخرى . ويسمى سكانه « البوريين » Bòrs وهذا هو اسم نفس ذات البلاد . إذ ان المادة المتبعة على وجه العموم في السودان هي تسمية كل بلد باسم القبيلة التي تسكنه .

والبوربون هم فرع من الدنكاويين Dinks بخلاف جيرانهم التويتشين Tuitchs وهم أصحاب بطش وبأس في الحرب والمجاعة . ويشغلون بحراة الأرض للزراعة وعلى الأخص زراعة الذرة والسهم والتبغ والقرع . ويميلون ميلا خاصا الى تربية المواشى لاسيما البقر ولهم قطعان كبيرة جمالها يلفت الانظار . أما عاداتهم واخلاقهم فهي مثل عادات الدنكاويين وأخلاقهم .

والمركز الثانى هو « لادو » وموقعه في جنوب المركز الأول . و لادو هذه هي في الوقت ذاته قاعدة الحكمدارية برمتها . وتتألف أرض هذا المركز بنوع أخص من سهل رملى قائم عليه جبلان أحدهما على مرحلة ٢٥ كيلومترا شمال غربى المدينة ويقطنه قبائل مستقلة . والثانى قرب محطة الرجاف ويقال له جبل الرجاف . وتبتدىء قرب محطة بيدن سلسلة جبال صغيرة تنتهى عند دوفيليه . وسكان هذا المركز هم من البارين ويتعاطون من الأعمال الزراعة وتربية الحيوانات على الأخص . وشأنهم في ذلك شأن قبائل البور . وأنواع زرعهم هي الذرة الحمراء و السهم و الفول و الفول السودانى ونوع من القرع يسمونه « اورچور » Urdjour . وعلاوة على

ما ذكر يقتنون قطعانا كثيرة من الضأن والثيران والماعز . ويقطن
الباريون ضفتى النهر ابتداء من لادو لغاية محطة « خور ايوو » Khor Ayu
أى مدى ١٤٠ كيلومترا . والوان بشرتهم أقل سوادا من بشرة الدنكاويين .
ومن عاداتهم اقتلاع الاربع الشيا كالدنكاويين وأهالى مكرাকা
و مادي و شولى و ماجونجو و اللانجوس .

ورجال البارى الماديون لا يتزوجون إلا بامرأة واحدة أما كبراؤهم
فيتزوجون بعدة نساء . وعندما ينوى احد منهم المييت عند احداهن
يفرس حريته امام بابها فتفهم المرأة وتستعد لمقابلة سيدها وربها . ويعقد
عندهم الزواج بدون حضور موظف أو رجل من رجال الدين بل مثل
جميع الزوج بواسطة شبكة زواج وهذه الشبكة عبارة عن ماشية من
مواشى الانعام عددها يزيد أو ينقص بحسب ثروة الاسرتين . وهذه الشبكة
يهدمها الرجل لوالد الخطيية . ويجب على هذا الاخير ان يرد هذه الشبكة
الى صهره أو قيمتها اذا ماتت الزوجة بدون اولاد ولم يكن لديه ابنة أخرى
يهدمها لصهره بدلا من المتوفاة . ولا تتألف شبكة المخطوبة من ماشية
فحسب بل كثيرا ما تشتمل على بعض حراب وسهام حسب نص الشروط
التي يكون قد اتفق عليها الطرفان . وتعتبر النرية من البنات عند الباريين
اعظم من البنين خلافا لعادة الشرقيين لأن البنت عند زواجها تجر
لأهلها مغنما وعلى التمييز من ذلك الذكر فان أهله لا يربحون
من ورائه شيئا .

ولا بد من ذكر ملح الطعام بين حاصلات مركز لادو فهو يوجد
فى « أونجاتى » Unjati الواقعة قرب لادو . ولا يوجد فى سائر اراضى

خط الاستواء إلا ثلاث ملاحات هي : « أونجاني » وهي في المديرية المصرية ، و « كيبيرو » Kibiro ، و « أوزونجورا » Usongora وهما في بلاد الأونيورو .

ويستخرج من ملاحه أونجاني مقادير وافرة من الملح تفي بحاجات جميع سكان مديرتي بحر الغزال وخط الاستواء . ويستبدل الأهالي بسائر الحاصلات وجميع أنواع المشاية الملح وهو مصدر لإيراد هام للحكومة .

ويوجد كذلك بكثرة في محطات كري الشجر الذي يستخرج منه الشمع النباتي . وأهم محطات مركز لادو العسكرية هي : غندوكورو ، و الرجاف ، و بيدن .

والمركز الثالث كرى وموقعه شرق النهر بين لادو و دوفيليه وهو عبارة عن سلسلة جبال متصلة تقريبا ببعضها ويقطنه الباريون السود . ويعمل هؤلاء نفس الأعمال التي يشتغل بها سكان لادو . ولا بد أيضا من التنويه بذكر الزيت النباتي ثم النرة والسسم والفول بين مختلف حاصلات هذا المركز .

ويلحق بالمركز السالف الذكر ثلاث محطات عسكرية كبرى وهي : خور أيو ، و لابوريه ، و موجي .

والمركز الرابع وهو دوفيليه واقع شرق النهر في جنوب المركز السابق الذكر . وقريبة دوفيليه التي بها قاعدة المركز هي أهم سائر محطات مديرية خط الاستواء بعد لادو وهي النقطة التي يتبدى منها الابحار

لغاية بحيرة البرت نيازنا . وتيار شلالات فولا السريع يحول دون نزول المراكب أبعد من هذه النقطة ويوجد في دوفيليه ترسانة للباخرتين النهريتين « الخديو » و « نيازنا » وهذه الترسانة معدة أيضا لتصليح الباقي من المراكب . وأراضى هذا المركز بنوع أخص جبلية ويتألف سكانه من الشوليين ومقرم شرق النهر ومن الماديين والكوتويين والكوكويين ومقرم في الغرب . ويشغلون على الأخص زراعة الذرة والسمسم والتبغ . والماشية في هذا البلد قليلة . وتضم أراضيه في شرق النيل كل بلاد الماديين وقسا من أراضى الشوليين . وفي غرب النهر يقوم جبلا ميتو Mitu و كوكو Kuku .

وأولئك الأقوام الرحل وإن كانوا يختلفون اختلافا بينا في الجنس واللغة فهم يتباينون تباينا قليلا في الشكل . فصورة المادى تشبه صورة البارى إلا أنه أضخم منه جسما ولا يستعمل الحلاقة وهو أيضا مكسال ومتواكل . ومحصوله من الزراعة تافه قليل لا يكاد يفى بحاجته بل لا يمكنه من سداد الجزية المضروبة عليه للحكومة والماديون لا يميلون للحروب إلا قليلا . وهم في ذلك على النقيض من جيرانهم الماتويين ذوى البسالة والاقدام ولا بد من ملاحظة بون شاسع بين هؤلاء ورجال الكوكو مع ان المسافة الفاصلة بين هاتين القبيلتين تكاد تنحصر في بعض كيلومترات قليلة . فصورة الرجل الكوكو أحسن في الظاهر من صورة الرجل الميتو وهي تذكر المرء الذى يقع بصره عليها بصورة الدنكاوى غير ان طباعه توافق طباع القبائل الاخرى وفي الحروب لا يمتاز عن هذه القبائل ويتفق الجميع في الاخلاق والعمادات . وكانت هذه الأقوام الرحل ميلسير ولديهم من قطعان الأنعام الشيء الوافر الجزيل وذلك قبل

أن يظهر في بلادهم التجار الذين قدموا اليها قبل احتلال المصريين للمديرية .

وكانت الثيران تعد عندهم بالالوف في أصغر قرية . وفي أول عهد الفتح كانت الجنود تعود من غزواتها للقبائل المتمردة ومعها من الاسلاب ١٠٠٠٠ ثور تحصل عليها بلا عناء . إلا أنه من وقما عملت في تلك الأقسام يد التاجر سلبا ونهباً متواصلاً وقمت في أنياب الفقر والمترية . ويمهر رجال الطبقة الفقيرة خطيأتهم بشيء من السمك اذا لم يكن لديهم ماشية ولا سلاح . وعندئذ يتعهد الخاطب بخدمة حميه ويشغل في صيد الأسماك زمنا ما لسداد ما عليه من المهر .

وتنحصر صناعة أهالي مركز دوفيليه في استخراج المعادن وتنقيتها ومع ذلك لم يصلوا الى درجة الباريين أو سكان ممبتو في المهارة . ولم تعد مصانهم دور الطفولة . ويشغل الصانع تحت سقف تحمله أربع قوائم . ويحمى الحديد في نار وقودها الخشب وتظل هذه النار موقدة على الدوام ويخرجونه منها بواسطة كباشات مصنوعة من الخشب الأخضر ويترقونه بين أحجار ضخمة يستعمل واحد منها سندانا وآخر مطرقة . وصير الزنجي وأناته حلا محل نقص الآلات ومكناه من انجاز اشغال كان يقدر استحالة انجازها بالآلات بسيطة كهذه . وتوصل السوداني الى اتقان كثير من الادوات مثل السلاح ومواعين الطبخ اتقاناً لا بأس به .

والحطات العسكرية الأكثر أهمية التابعة لمركز دوفيليه هي : فابو ، وفاتيكو ، و وادلاي . ويعمر هذه المحطة الأخيرة قوم يقال

لهم اللوريون .

والمركز الخامس فويرا وهو واقع شرق دوفيليه وأعلى منها مسافة قليلة ويكون تخوم مديرية خط الاستواء الجنوبية . وفيما وراء هذه التخوم يوجد بلد الأونيورو وملكه كباريجا . وقاعدة هذا المركز فويرا . والمحطة الحربية الوحيدة الملحقة به هي فودا . وكان هذا المركز في الزمن الذي سلف أكثر امتدادا نحو الجنوب وكان ملحقا به بصفة محطات عسكرية مرولى ، و مازندى ، و اوروندوجانى ، و ماجونجو ، و كيروتو ، و فاكوفيا ، و كييرو إلا أن هذه المحطات صار إخلاؤها بأمر غوردون باشا ولم يعد احتلالها بعد ذلك مرة أخرى .

وأكثر أراضي فويرا جبلية ويمررها قبائل الماجونجو و الماميرا . أما مزروعاتها فهي التبغ بكميات وافرة والبقول والعدس والذرة . وهذا النوع الأخير هو أهم المحاصيل للأراضي في كل ناحية . وتقتنى هذه القبائل كثيرا من الثيران ويربون النحل . وشرعوا في زراعة الموز في أراضي فويرا وهذا النوع لا يعد نمرة جزيلة تعم الأهالي فحسب بل فائدته تعود أكثر على عابري السيل .

والمركز السادس لاتوكا . وهذا المركز تفقد أمين بك حالته في خلال هذا العام . ويكفى هنا القول إن لاتوكا بلا مرآة جنة افريقية . وأراضيها أكثرها جبلية إلا أنه إنما ذهب الانسان لا تقع عينه فيها تقريبا إلا على ترب مجال بالنبت الوافر . وأهم المحطات العسكرية التابعة لهذا المركز هي : أوكلو Okello ، و ترانجول ، و ابوريه Oburè ، و عبو .

والمركز السابع هو فاديبك وموقعه بين لاتوكا و فويرا . وأراضى هذا المركز جبلية ويسكنها قبيلة الشولى . وحاصلاته هي تقريبا نفس حاصلات المراكز الاخرى . ويمتاز سكانه الشوليون بالجرأة والاقدام فى الحروب والقتنص والمهارة فى الزراعة . ويزرعون الأرض بعناية خاصة فتدر عليهم الخيرات الوفيرة . وتموض عليهم جزاء مجهوداتهم ثمارا لا يتوصل الى جنى نظيرها أية أمة اخرى . وقد يحصدون فى بعض المرات محصولا كبيرا فيزيد عن حاجاتهم وينسد فى البيادر فيضطرون الى رميه . ولا يقتنى الشوليون كثيرا من الحيوانات الأليفة إذ انهم يمتارون باللحوم التى تسد حاجاتهم من قطعان الزرافى والجاموس البرى والغزلان والافئال والاوزال التى تعيش فى الغابات وذلك باقتناصها وتقديد لحومها وحفظها .

ولازم الشوليون على الدوام الاخلاص للحكومة من وقتما احتلت جنودها بلادهم وقاما كانت ترى نفسها فى حاجة الى اخاد ثورة فيها . وهذا على النقيض من جيرانهم اللانجويين الذين التزموا خطة العصيان ولم تتمكن الحكومة من اخضاعهم . وكانت تحمل عليهم من وقت الى آخر بجنودها بدون أن تجنى من وراء ذلك ثمرة اللهم . إلا الاستيلاء على بعض الحمير من مراعيها . وتنحصر انعام اللانجويين فى قطعان هائلة من هذه الحمير ولون هذا الضرب من الحمير أشهب ويمتد على طول ظهورها خط اسود . وتحمل عندهم محل البقر الذى يوشك أن يكون معدوما فى بلادهم . ويتخذ اللانجويون حاجاتهم من اللحوم والألبان من تلك الحمير . ومن غير المستطاع ركوب هذه الحيوانات وذلك لعدم تعويدها على هذا الأمر .

ولقد أمكن استعمال الحمر الصغيرة السن فقط من بين الحمر التي غنمها الجنود في غزواتها فأتت بخدمات جليظة بعد تدريبها . أما جميع المحاولات التي بذلت في سبيل ركوب المتقدم منها في السن فقد ذهبت هباء منثورا ولم تأت بفائدة ما . فلا المهاز ولا العصا استطاعا أن يجملها تخطو خطوة حتى لكأنها كانت تفضل الموت وهي واقفة في أماكنها على أن تنزحزح .

واللانجويون هم قوم ينجحون للحرب والكفاح الى أبعد حد . ورغمما عن الغارات المتعددة التي قامت بها جنود الحكومة لقصاصهم لم تتوصل قط الى اعتقال واحد من محاربيهم . ومع أنه كان يوجد في صفوف جنود الحكومة زوج من سائر القبائل فما كان يرى حتى ولا واحد من اللانجويين بين الجنود أو الأسرى .

ولا يلحق بمركز فاديك هذا من المحطات العسكرية إلا محطتان اثنتان هما « لا بور » و « جاللي » Galli .

والمرکز الثامن وهو رول يشتمل على الأراضي الواقعة غرب النيل الأبيض لغاية مديرية بحر الغزال . وهذا المركز أهم مركز في المديرية وهو حافل بعدد كبير جدا من السكان . أما العشائر الضاربة في وديانه فهي قبائل الاجارية Les Agars ، و الجوكية Les Goks ، و الاتووتية Les Atwots ، و اليلوية Les Belus ، و التوتية Les Netus وكل هذه القبائل تابعة لقبيلة الدنكا أو جانجيه Jangés الكبيرة .

والسلالة الدنكاوية هي أجمل سائر سلالات الزوج ذاتا واشرفها حسبا . وتنقسم هذه القبيلة الى قسمين . الدنكة أو الجانجيه وهؤلاء نازلون

في شمال مديرية خط الاستواء وفي مديرية بحر الغزال . والدنكة السجيحة Sagiha ويسكنون مع النوير و الشلوك في مديرية فاشودة .

والدنكة قوم أصحاب حرب وجلاد وهم نوابغ في الصيد والتقنص ولهم ولع بالأعمال الزراعية ومن مزروعاتهم الفول السوداني وأنواع منوعة من الذرة والفول . ويتألق الدنكاويون في ملابسهم وطعامهم وهم في ذلك على نقيض جيرانهم . وأخص غذائهم اللبن والشهد والديقق والذرة والفول والزيت المستخرج من الفول السوداني و قليلا ما يتناولون اللحوم . وترعى النساء في طهي الطعام النظافة والترتيب .

وذكر فينا حسان انه كان لا يخشى أن يقيم بمنزل رجل من رجال هذه القبيلة بل كان لا يهاب من أن يتناول الطعام مع أحدهم . وتنشع النساء المتزوجات بجلد مدبوغ من جلود الأغنام فيوارين به سواتهن . أما قبل الزواج فتعيش الفتاة عارية . وإذا خانت زوجة بعلمها فهذا يقتل الذي انتهك حرمة ويرد زوجه الى أهلها بدون أن يلحق بها أى أذى حتى ولو كانت شريكة الجاني في الجريمة لأنه يعتبرها مخلوقا ضعيفا قد يستسلم أمام القوة أو يسقط أمام نرغات النفس وعلى ذلك يمدها أهلا للمعذرة .

وقد صيرت المزارع الشاسعة المتنوعة المحصول والقطعان الكبيرة التي لا عدد لها وحاصلات العاج الجسيمة مركز رول من مراكز خط الاستواء الكبيرة الاهمية . وأراضى هذا المركز هي عبارة عن سهل فسيح الارحاء تقطعه جداول عديدة مأوها رائق سائغ الشراب . ويشتل الأهالى بالزراعة وتربية الماشية واقتناص الفيلة .

ومحطات هذا المركز العسكرية المهمة هي : اجاك وهذه قاعدة المركز وشمبي ، ورومييك ، و بوفى Bufi ، و صيادين Sayadin ، و ليسى Lessi ، و أفارد Affard ، و الجوك مختار El Gök Moukhtar .

والمركز التاسع وهو مكركا يشمل جميع البقعة الواقعة جنوب مركز رول لغاية ممبتو (جورجورو) . وهذا المركز كثير الجبال غزير الماء وافرها لدرجة خارقة للعادة . واسم الأهالى كاسم الناحية . وهم منقسمون الى قبائل صغيرة كثيرة العدد ولا يشبه رجال قبيلة منهم رجال القبيلة الاخرى . وتنحصر أعمال أهالى مكركا تقريبا فى الزراعة ولا يميلون الى القنص إلا قليلا . أما الأنعام فليس لديهم منها إلا الشئ التافه . ويتغذون بأقل من القليل حتى أنهم ليقنعون بقبضة من النرة . وهم قوم لطاف دمثو الاخلاق ينجحون الى الطاعة .

وذكر فينا حسان انه لم يطرق مسامحه طيلة المدة التى أقامها وهى عشر سنوات ان أهالى مكركا كدروا مرة صفو الحكومة أو جروا عليها متاعب . والمكراكويون يمتون فى الجنسية الى النيام نيام جيرانهم ، واجسامهم وطباعهم تعيد الى الذاكرة ذكرى هؤلاء . والمكراكويون هم ايضا من آكلى لحوم البشر مثل النيام نيام إلا أنهم يقلون عنهم فى ذلك درجة لتدخل الحكومة واستعمالها الشدة مع آكلى لحوم الانسان . وتلتزم النساء بحراسة اولادهن ورعايتهم بعين ساهرة عندما يسلم جمالو مكركا كاجوبيا أو عاجا الى محطة من المحطات حتى أنهم ليتركهم رهن أكواخن الى ان يسافر أولئك الجمالون . وكان يلاحظ اختفاء أولاد فى كل مرة يقدم فيها جمالو مكركا كادغما عن السهر الشديد على أولئك الاولاد

ولا تتمكن الحكومة من العثور على الجناة . وكان يكثر في بعض الاوقات على نخذ أو ذراع في جراب رجل من المكاركة . وكان كثيرا ما ترى عظام بشرية معروقة في المحال التي كان ينزل فيها هؤلاء . ولما كانت الحكومة تجند منهم عسكريا كان اقبالهم على التغذية بلحوم البشر يقل بسبب وفرة اللحوم من جهة وصعوبة الحصول على اللحم البشرى في محطة من محطات الحكومة من جهة أخرى . ورغمما عن ان المكاركة هم من آكلى لحوم البشر يوجد فيهم الحياء أكثر من الزوج الآخريين ولهذا يبذلون كل ما في وسعهم للحصول على بعض أطهار يسترون بها عوراتهم . وعندما يأتون الى محطة من محطات الحكومة لدفع الجزية المضروبة عليهم يجاملون قبلة انظارهم الحصول على شئ يمكنهم استبدال قطعة من النسيج به يوارون بها سواتهم في الحال . وهم لا يميلون لتكبد متاعب الاشغال ولا لأخطار القنص غير أنهم مع ذلك لم يكونوا معدودين من سقط الجند . نعم ليس لهم ذلك النشاط الذى يمتاز به الزوج الآخرون إلا أنهم لم يكونوا أقل من هؤلاء حركة وهم يكلفون أنفسهم بأى عمل كان . ولهذا الأسباب كون أمين بك جنود الحكمدارية من المكاركاويين دون سواهم تقريبا .

وأهم محطات هذا المركز العسكرية هي : كبايندى وهذه عاصمة المركز ، و واندى ، و كودورما Kudurma ، و مديرفى Mdirfi ، و ريمو Rimo ، و مكراكا الصغيرة ، و جوزا Gosa ، و كاليكا Kalika ، و واتاكو Watako ، و كورويك Korobek ، و جاندا Ganda ، و أومبمبا Ombimba ، و نوجوما Muguma ، و دانجو Dango ، و دانجو الكبير .

والمركز العاشر وهو ممبتو أو جورجورو واسع ممتد الأطراف يتصل تقريبا ببلاد نهر الكونجو ولا يفصله عنها سوى لسان تعالوه الغابات عرضه عشرون كيلومترا . وتمتلك الحكومة المصرية فوق ذلك جزءا من هذا اللسان ، وأخضع حواش افندى منتصر أقزام أككا Akka لغاية مسيرة خمسة عشر يوما في الغابة . وهذا المركز هو الوحيد في خط الاستواء الذى لم تطأه أقدام فيتا حسان . أما ما رواه عنه فاستقاه من صديقه ورفيقه حواش افندى منتصر الذى أقام فيه ثلاث سنوات متوليا رياسته واستفاد الطبيب جونكر من رياسته حواش افندى لهذا المركز أكبر فائدة .

ويعمر هذا المركز النيام نيام و المبتو وهم من آكلى لحوم البشر . فالأولون ضاربون فى القسم الشمالى وفى جنوب مديرية بحر الغزال . أما المبتو فيشغلون جميع جنوب المركز لغاية حدود الغابة . وهذه هى الغابة الكبيرة التى سيجتاز أرضها استانلى عند توجهه لخراج أمين باشا من المديرية كما سير ذكره فيما بعد . وتنقسم هاتان القيلتان الى فصائل شتى كل طائفة منها تسمى باسم كبيرها . وأهم طعامهم الموز ولديهم منه غابات ويزرعون أيضا الذرة الصفراء والبيضاء غير أنهم لا يزرعون منها إلا قليلا بحيث ان ما يحصلون عليه من محصولها يكاد لا يكفى إلا ما يلزم لصنع المريسة . وتستدعى زراعة الذرة البيضاء قليلا من العناية ومنع هذا تأتى بمحصول يزيد عشر مرات على محصول الذرة الصفراء . ويرجع الفضل فى استيراد ذلك النوع الى البلاد الى نشاط حواش افندى منتصر المتواصل وتوقد ذكائه وأصالة رأيه وهو الذى أدخل كذلك إليها زراعة أشجار

البرتقال والليمون ومختلف أنواع الخضار والتبغ الذى استحضر بذوره من القضايف من أعمال مديرية كسلا .

ونوع الثيران ليس له شبح فى هذا المركز وسكانه لا يعرفون له شكلا ويتخذون طعامهم من اللحوم مما يذبجونه من الضأن والماعز . ونوع هذا الحيوان الأخير هو غير النوع الموجود فى باقى أراضى خط الاستواء ويمتاز على الخصوص بطول شعره .

.. ومع ان الحيوانات نادرة الوجود فى هذا المركز فان الاهالى لا يتمنعون عن الاستمتاع باكل لحومها . ورغمما عن الصرامة والشدة التى تستعملها الحكومة فان أولئك المخلوقات لا يفلحون عن أكل لحوم الانسان .

ولا يقتل اناس النيام نيام وممبتو ثناياهم مثمما . يفعل أغلب زنوج السودان بل يبقونها ويردونها ويتركون لها رؤوسا مديية حاده . وهكذا يفعل أيضا بمض المكاركة .

وأهم محطات هذا المركز العسكرية هى : تنجازى ، و كوبى و أونيبورون Uniboron ، و مپيريا Mperia ، و جانجا Ganga ، و رينسى Rensi ، و مسوه Maswa .

القوات العسكرية

كان يوجد على رأس كل مركز من مراكز مديرية خط الاستواء رئيس ملكي أو عسكري يلقب بأمور الإدارة وله حامية يختلف عددها باختلاف أهميته أو مقدرة سكانه في الحروب . وتتألف هذه الحامية من ثلاثة عناصر وهي :-

١ - جنود نظامية من السودانيين .

٢ - الخطرية (المتطوعون) .

٣ - التراجمة وكان هؤلاء في الأصل زنوجا يقومون بوظيفة الترجمة أو يتخذون وسطاء فيما بين الحكومة والاهالي وآل الأمر فيما بعد الى أن يؤلف منهم جنود منظمة .

وكان عدد القوات العسكرية في المراكز عام ١٨٨١ م وتوزيعها كالاتي :

تراجمة	خطرية	جنود نظامية	
٤٠	٠٠٠	١٢٠	بنور
٧٠	٠٠٠	٣٠٠	لادو
١٠	٠٠٠	٧٠	كري
٣٠	٠٠٠	١٧٠	دوفيليه
١٥٠	٠٠٠	٦٦٠	

تراجمة	خطرية	جنود نظامية	
١٥٠	٠٠٠	٦٦٠	ماقبله
٢٠	٠٠٠	٦٠	فورا
٢٠	٢٠٠	٠٠٠	لاتوكا
٤٠	١٧٠	٠٠٠	فاديبيك
١٠٠	١٠٠	٦٠	مكراكا
٤٠	٠٠٠	١٣٠	رول
٣٠	٧٠	٨٠	مبمتو
٤٠٠	٥٤٠	٩٩٠	

وتجنّد المساكر النظامية من بين الأهالي ويتلقون دروسا في النظام العسكري وأصول الحرب وكسوتهم ومؤونتهم على نفقة الحكومة ويصرف لكل منهم غير ما ذكر ٢٠ قرشا شهريا .

أما الخطرية فهم من متطوعي العرب ويقال لهم أيضا الدناقلة لأن أغلبهم من رجال مديرية دنقلة . وهؤلاء مسلحون ببنادق بكبسول تصرف لهم من الحكومة وراتبهم الشهري ١٠٠ قرش غير أنهم لا يأخذون جراية ولا كسوة .

والستراجمة هم من متطوعي الزنوج . وسلاحهم كسلاح الخطرية ولا يصرف لهم من المؤسسة إلا اللحم والذرة ويستولون كذلك على مرتب قدره ٢٠ قرشا شهريا . ويوكل الى هؤلاء على الأخص حراسة البريد والمواصلات بين مختلف المراكز والادارة العمومية في لادو . وفي حالة

حدوث خطر تنضم جنود التراجمة الى المساكر النظامية فيمتازون بالبلاء الحسن والشجاعة العظيمة . ولما أغار الدراويش بعد بقيادة الأمير كرم الله دعت الحالة للانسحاب نحو الجنوب وتجمعت الجنود في بعض المواقع وزيد عدد النظامية فبلغ ١٦٠٠ وقسم هذا العدد الى أورطتين .

وكانت هذه الجنود تكفى لحفظ النظام واستتباب الأمن بين سكان مديرية خط الاستواء الذين يقدر عددهم ب ١٥٠٠٠٠٠ نسمة - وكان من بين هؤلاء ٥٠٠٠٠٠ خاضعين لسيطرة الحكومة . وهذا أمر يمكن ادراكه بسهولة اذا علمنا ان الأهالي منقسمون الى عدد عديد من القبائل المختلفة الأجناس وان الحروب لا تنقطع بينها .

الحالة المالية

أما حالة الحكمدرية المالية فكانت ميزانية المصروفات كالاتى :-

راتب الحكمدار	٦٠٠	جنيه مصرى
» وكيل الحكمدار	٣٦٠	»
» قائد الجنود	٣٦٠	»
» القضاى	١٢٠	»
» رواتب موظفين ملكيين	٤٣٠٠	»
» موظفى الأمور الصحية	٢٠٠	»
» الجنود	٥١٠٠	»
	<u>١١٠٤٠</u>	

وهذه القيمة البالغة ١١٠٤٠ جنيها مصريا تنزل فى الواقع ونفس الأمر الى ٨٠٠٠ جنيه اذا أؤخذنا كيفية احتسابها بل فى الاستطاعة اعتبار كل هذه المصروفات صفرا إذ أن اللوازم الاكثر أهمية وكذلك وسائل المعيشة كانت ملقاة على كاهل الحكمدرية بصفة جزية أى تؤخذ مجانا وكأنها مبيعة من الحكومة للموظفين ورجال العسكرية . حتى لو قدرنا ان هذه الاحد عشر الف جنيه منصرفه حقا وصدقا فان الإيرادات تغطيها وتريد عنها زيادة كبيرة وأيضا لأنها كانت تأتى من كل جانب والفضل يرجع فى ذلك الى التنسيقات الجديدة التى أجراها الحكمدار أمين بك .

وميزانية إيرادات كل مركز من صنف العاج كانت كالآتي :-

المقادير بالقنطار	اسماء المراكز
١٠٠	بور
٦٠	لادو
٢٠	كوري
١٥٠	دوفيليه
٢٠	فورا
٢٠٠	لاتوكا
٥٠	فاديبيك
٥٠٠	مكراكا
٢٠٠	رول
٤٠٠	مبتو
١٧٠٠	

وتمن ال ١٧٠٠ قنطار هذه بواقع ثمن القنطار الواحد ٣٠ جنيهها يبلغ ٥١٠٠٠ جنيه مصرى وبطرح مبلغ ١٠٠٠ جنيه منه وهو ثمن بضع هدايا للزواج يكون الصافي مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه مصرى .

ويجبى من مراكز بور ، و دوفيليه ، و فورا ، و لاتوكا ، و فاديبيك بصفة جزئية المبالغ الآتية على وجه التقريب :-

ثمن ٤٠٠ رطل من ريش النعام بواقع ثمن الرطل

٨٠٠ جنيه مصرى

الواحد ٢ ج. م

ما قبله	٨٠٠ جنيه مصرى
ثمان ٥٠٠٠ جلد من جلود الثيران بواقع ثمن	
الجلد الواحد ٤ قروش	٢٠٠
الجملة	١٠٠٠

وهذه الأثمان حددتها حكومة لادو . وقد يجوز لدى بيع هذه السلع سواء أكان ذلك فى الخرطوم أم فى ديار مصر أن يحصل من بيعها على أثمان تزيد على هذه الأثمان .

ويمكن إضافة المطاط وزيت النخل الى حاصلات هذه المنطقة . ويرد هذان الصنفان من ممبتو . وعندما سافر أمين بك فى مايو سنة ١٨٨٢ م الى الخرطوم عرض عليه المستر ماركيت ٤ ج . م ثمنًا للقنطار من المطاط و ١/٤ ج . م ثمنًا للقنطار من زيت النخل . وكان قصده من شرائها تصديرهما الى بلاد الانكايز لصناعة الصابون المعطر الجيد من الصنف الأخير . ولم يحصل من المطاط إلا على ٤٠٠ قنطار غير أنه كان فى حيز الاستطاعة الحصول على أزيد من ١٠٠٠ قنطار سنويا لو لم تكن التجارة قد اعتراها الكساد لانقطاع المراسلات مع الخرطوم بسبب الثورة المهدية .

وكانت الذرة قبل تعيين أمين بك حكمدارا عاما توردها لموظفى الحكمدارية حكومة الخرطوم فرفع هذا مقدار الجزية النوعية وعلى وجه أخص ما كان يورد من الذرة . وعلى ذلك لم تكن الحكمدارية فى غير حاجة الى الحصول على ما كان يرسل اليها منه من الخرطوم فحسب بل أصبح فى استطاعتها أن تصدر حبوبا اذا لم تكن تكاليف النقل باهظة

لدرجة قصوى .

ومما تقدم يتضح أن الحكمدارية كانت تحصل من باب الجزية علاوة على العاج وریش النعام على جزية نوعية من الفول والسسم والشهد والزيت النباتي والفول السوداني والتبغ وبوجه أخص على قدر كبير من النرة .

وهذا بيان موجز للحاصلات النوعية التي ترد لها من كل مركز :-

الحاصلات				المركز
فول	سسم	فول سوداني	ذرة	
اردب	اردب	اردب	اردب	بور
٢٠٠			١٢٠٠	
١٠٠	١٥٠	١٠٠	٣٥٠٠	لادو
٥٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	كري
٣٠٠	٣٠٠		٤٥٠٠	دوفيليه
	٥٠		٤٠٠	فويرا
			١٠٠	لاتوكا
١٠٠	١٢٠		١٠٠٠	فاديك
٣٠٠	٧٠٠		٧٠٠٠	مكراكا
٢٠٠	١٠٠	٢٠٠	٤٠٠٠	رول
			٢٠٠	مبتو
١٧٠٠	١٧٠٠	٧٠٠	٢٢٤٠٠	الجملة

(تابع) المحاصلات النوعية

المحاصلات				المركز
تبغ	زيت نباتي	زيت	شهد	
قنطار	رطل	رطل	رطل	بور
		٦٠٠	٦٠٠	لادو
	١٢٠٠	٦٠٠	١٢٠٠	كروي
		٩٠٠	٦٠٠	دوفيليه
٢٠	٦٠٠	٢٤٠٠	١٨٠٠	فويرا
				لاتوكا
	٦٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	فادبيك
		٢٤٠٠	١٢٠٠	مكراكا
		١٨٠٠	١٨٠٠	رول
	٢٤٠٠			مبتمو
٢٠	٤٨٠٠	٩٩٠٠	٨٤٠٠	الجملة

وتمن هذه الحاصلات كالاتى :-

الصفة	المقدار	السعر	جملة الثمن بالقروش
ذرة	٢٢٤٠٠ اردب	٣٠ قرش الاردب	٦٧٢٠٠٠
فول سودانى	٧٠٠ »	٣٠ »	٢١٠٠٠
سمسم	١٧٠٠ »	٦٠ »	١٠٢٠٠٠
فول	١٧٠٠ »	٢٥ »	٤٢٥٠٠
شهد	٨٤٠٠ رطل	١ ١/٤ قرش الرطل	١٢٦٠٠
زيت	٩٩٠٠ »	١ ١/٤ »	١٢٣٧٥
زيت نباتى	٤٨٠٠ »	١ ١/٤ »	٦٠٠٠
تبغ	٢٠ قنطارا	٣٢٥ قرش القنطار	٦٥٠٠
		الجملة	٨٧٤٩٧٥

وعلى هذا يكون اجمال ايرادات الحكمدرية كالاتى :-

جنيه مصرى	
٥٠٠٠٠	عاج
٨٠٠	ريش النعام
٢٠٠	جلود ثيران
٨٧٥٠	حاصلات نوعية
٥٩٧٥٠	الجملة

وقد كان اجمال ايرادات ومصروفات الحكمدارية عام ١٨٨١ م كالآتى :-

	جنيه مصرى
ايرادات	٥٩٧٥٢
مصروفات	١١٠٤٠
صافى الدخل	<u>٤٨٧١٢</u>

وهذه المبالغ خاصة بالزمن الذى كانت فيه العلائق مع الخراطوم لم تزل منتظمة . ولقد كان فى حيز الامكان مضاعفها بدون مغالاة اذا كانت هذه العلائق لم تنقطع وتمكن الحكمدار أمين بك من تحقيق مشروعه الذى يرى الى امتداد أطراف مديريته .

ويستطيع المرء لدى فحصه هذه الارقام أن يدرك بسهولة السر فى كيفية تمكن هذه الحكمدارية من سد حاجاتها من نفس حاصلاتها زهاء ست سنوات عند انقطاع المواصلات مع باقى العالم . والارقام المذكورة آنفا تبين المقادير المفروضة على الاهالى بصفة جزية . وبهذه المقادير وبما يتسلمه الموظفون من الحاصلات الزراعية فى مختلف المحطات تسد الحكمدارية حاجاتها على ما يرام . وعلاوة على ما ذكر فانه لو فرض على الاهالى جزية تربو على التى فرضت عليهم لاستطاعوا أن يؤدوا أربعة أمثالها بسهولة .

والمقادير التى سلف ذكرها هى التى كان رؤساء القبائل يوردونها جهارا الى ادارة المركز الذى هم تابعون له .

والارقام التي سبق تدوينها برهان ساطع على الرخاء والعمار الضارب اطنابه في أرجاء مديرية خط الاستواء . ويستطيع المرء أن يذكر علاوة على ما سبق أنه لو كانت حكومة أمين بك قد وجدت الوقت الكافي لتنفيذ مشاريع الإصلاح والتحسين الخاص بانتشار الزراعة وحياء الصناعة لاستطاعت هذه الحكمدارية على كل حال تموين سكان يزيدون عن الموجودين بها ثلاث أو أربع مرات إن لم نقل انه قد يكون في استطاعتها امداد أسواق اخرى بمحاصلها . ويتكون نصف هذه المديرية المتسعة الأرجاء المترامية الأطراف الذي يبلغ مسطحة تقريبا مساحة القطر المصرى برمته . من أراض صالحة للزراعة والفلاحة بل يزرع في جبال لاوكا و بارى ذات الأراضى الصخرية أجود انواع الذرة والدخن .

وأينما سرت في أرجاء هذه المديرية تجدد الماء وعلاوة على روافد النيل الأبيض المتعددة يوجد عند الحفر تحت سطح الأرض في بعض المواضع ماء عذب فرات رائق غزير على عمق مترين أو ثلاثة . وعلى هذا لا يستلزم الحال أكثر من إيجاد الأيدي العاملة والادارة الحكيمة لتعمير هذا البلاد بالزراعة وتحويل أراضى خط الاستواء الى أراض غاية في الخصب .

ومن الاجحاف والظلم عدم الاعتراف بالمجهودات التي بذلها أمين بك في سبيل تحسين حالة حكمداريته فقد كان يجلب من سائر نواحي العالم انواعا متنوعة من الفسائل والبذور ويحاول تعويد جملة أصناف من الخضر وأشجار الفاكهة على مناخ الاقليم فتكلت مساعيه بالنجاح . وأنفع وأفيد النباتات التي أدخل زراعتها القطن والأرز . ويرجع الفضل في

نجاح زراعتها نجاحا باهرا الى ما بذله حواش افندى منتصر من عظيم المساعدة والمهنة التي لا تعرف الكلال أو الملل ، كما نجحت زراعة الذرة والفضل في نجاحها يعود على أمين بك . وقد أفاد القطن افادة عظيمة جدا فيما بعد وذلك عندما استدعت الاحوال أن يزاول رجال الحكومة وجنودها هم أنفسهم صنع ملابسهم عقب انقطاع المواصلات مع الخرطوم .

ولم تنتشر زراعة الأرز بهذه الدرجة مع ان زراعتها نجحت . وما ذلك إلا لأن هذه الزراعة تستوجب اشغالا كثيرة بينما الحبوب الأخرى كالذرة والدخن والبقول والسهم التي يمكن ان تقوم مقامه كانت توجد بكثرة متناهية فتستدعى الحالة رميها تخلصا من تعفنها في المخازن . ومع ان ضواحي شبي و لادو التي تعمرها الغدران والبقاع التي تعمرها المياه في زمن الامطار هي من الاراضي الاكثر صلاحية لزراعة الارز مما عداها وكان في الامكان جنى محصول جسيم منها إلا أنه كان يلزم للقيام بجميع هذه التحسينات والاصلاحات أوقات يسود فيها السكون واليسار . وهذه احوال كانت معدومة مع أشد الأسف في سنة ١٨٨١ م في ديار مصر والسودان في آن واحد نظرا للانقلاب الذي احدثه بهما المراييون والمهديون وبسبب عسر الحالة المالية التي وقعت فيها مصر في ذلك العصر .

وقد جاوب الجنرال استون باشا على آخر رسالة من أمين بك ان الخديو يقدر مشروعاته حق قدرها غير ان الحوادث تضطره أن يؤجل تنفيذها الى وقت أكثر ملاءمة وهذا الوقت لسوء الطالع لم يحن بعد ابدا .

١ - ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثالث

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى محطة حواش افندى منتصر

غادر جونكر مدوروما Mdoruma في أوائل شهر يناير سنة ١٨٨١ م وقضى النصف الأول من هذا العام في القيام برادات خارج حدود أراضي خط الاستواء . وعلم في ٢٣ يوليو لدى اقترابه من بلدة ممبتسو ان الحكومة المصرية أعلنت الحرب على رئيسها مامبانجا Mambanga وان ضابطا مصريا يقال له حواش افندى منتصر وهو قائد الحملة أسس هو وجنوده النظامية محطة لدى الرئيس ابرامو في « مبورو » Mboro . وكانت الحرب الى هذا الوقت لم تضع أوزارها . وكان حواش افندى منتصر على يينة من رابطة الصداقة التي تجمع بين الطبيب جونكر ومامبانجا فأرسل رسولا الى الأول يرجئوه القدوم لكي يستعمل نفوذه لدى الثاني لانهاء الحرب ووضع حد لها . وكان رسول حواش افندى منتصر ضابطا

(١) - راجع كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

يقال له تنظيم افندى وكان رفقة ٤٠ جنديا نظاميا و ١٢ مترجما
وجميعهم مسلحون .

وكان جونكر يريد أن يلبي طلب حواش افندى منتصر ويجيبه
الى مرغوبه غير انه كان يوجد لديه بعض موانع تحول دون القيام بذلك
في الحال فأرسل اليه الرد يقول له فيه انه سوف يأتي لزيارته في الأيام
القادمة . وبلغ جونكر أيضا ان رائدا ايطاليا اسمه كازاتي قدم الى بلدة
مبتسو . وبعد ذلك ببضعة أيام جاءه خطاب من هذا الرائد مؤرخ من
« تنجاسى » Tangasi أعرب له فيه عن رغبته في أن يراه في محطة حواش
افندى منتصر وأخبره حامل هذه الرسالة علاوة على ما ذكر ان رحى الحرب
ما زالت دائرة مع مامبانجا .

وفي ٢٨ اغسطس وجه الطيب جونكر وجهه شطر محطة حواش افندى
منتصر . وفي خلال سفره اتصل به خبر غارة قام بها مامبانجا على المحطة
وارتد بجسائر فادحة . وربما كانت هذه الغارة هي التي أشار اليها فيتا
حسان . واستحث هذا الخبر الطيب على الأسراع في السير غير أن
تهطل الامطار وشدتها منعتة عن المسير بالسرعة التي كان يريدتها وفي نهاية
الأمر وصل الى المحطة المذكورة في ١٠ سبتمبر .

وتم استقبال جونكر بحفاوة كبرى وحيته الجنود مصطفة خارج المحطة
وأطلقت عند قدومه المدافع وأدخل حال وصوله في قاعة الاستقبال وقدمت
له المرطبات . وشعر الطيب بانسراح زائد من المقابلة التي قوبل بها ومن
نظافة المحطة ونظامها وترنحت اعطافه سرورا لوجوده مرة أخرى بين عالم متمدين
يتكلم معه بدون واسطة تراجم .

الحوادث التي جرت في أثناء غيبته

وقد حدثت حوادث ذات شأن خلال غيابه . وها هو ما اتصل به
بصد هذه الحوادث :-

بعد أن بارح جونغكر ناحية تنجازى هاجم رجال السلطة الذين كانوا
مقيمين في ممبتو مامبانجا وطرده من زريته وأقام بها المأموران عبد المين
و عبد الله . وغرتها لذة النصر فواصل هجومها مندفعين الى الامام فلاقها
مامبانجا وأتباعه وذبحوها كما ذبحوا معظم جنودها واستولوا على ٤٠ بندقية .
ومن نجا منهم احتفى في الزرية ورجع الى تنجازى تحت جنح ظلام الليل
بقيادة نظم افندى الذى كان قد ذهب لمقابلة جونغكر عندما كان في الريادة .

وهذا هو سر المسألة التي رواها فيتا حسان عن مذبحه الخطرية
الذين كانوا معينين بصفة حامية في بلدة ممبتو والذين أرسل اليهم أمين
بك - وكانت هذه الناحية قد أُلحقت بحكمدارته - حواش افندى منتصر
ليقتص من الأهالي ويسترد منهم البنادق .

وقصة هذا القتال الذى لم يحضره جونغكر بصفة شاهد عيان سبق
ذكرها فلا حاجة لاعادتها بل نقف عند ذكر الحوادث التي حضرها ورآها بعيني
رأسه والحوادث التي تدخل فيها بصفة واسطة .

توسطه للصلح بين مامبانجا وحواش افندى منتصر

ورأى جونغكر عند قدومه الى المحطة أن الاصوب أن يتوسط بين
الفريقين ابتغاء الوصول الى نشر راية السلام وعقد الصلح بينهما . وكان

مركزه بالطبع لما بينه وبين مامبانجا من الصداقة والولاء أحسن من مركز أى إنسان آخر يؤدي هذه المهمة . وأحاط حواش افندى منتصر علما بما جال بخاطره فوافق عليه تمام الموافقة لاسيا أنه لم يبق لديه من الذخيرة التى أخذت فى النفاذ إلا ثلاثة آلاف ظرف من طراز رمنجتون .

وأرسل الطيب ساعيا الى مامبانجا ليخبره بما اعتزمه ووقر فى نفسه وليقول له انه اذا قبل أتى جونكر لمقابلته فى منتصف الطريق ومعه خادم ومترجم لاغير . واتخذ جونكر هذا الاحتياط حتى لا يثير فى نفس مامبانجا عوامل الخوف وليمحو من رأسه كل مظنة سوء .

ورجع الساعى فى غد يوم سفره أى فى ١٢ سبتمبر ومعه بعض رجال مامبانجا وقال ان هذا قبل الشروط . وأرجع جونكر هؤلاء الرجال وقال انه سيسافر فى اليوم التالى وعين موضعا فى منتصف الطريق ليتقابل فيه الفريقان .

وذهب جونكر الى ذلك الموضع وأتى اليه مامبانجا حسب الاتفاق إلا أن جونكر رأى هذا مكتشا حزينا متخيلا أن شركا قد نصب تحت اقدامه . ولما كانت الشمس قد قاربت على الغروب وأخذ ضوء النهار يتقلص عرض عليه جونكر تمضية الليلة فى الموضع الذى هما فيه فامتنع مامبانجا أولا ثم انتهى بالقبول وأخذ رجاله يشتغلون فى اقامة الاكواخ التى استلزمت الظروف عملها .

وتحدث جونكر أثناء الليل معه طويلا وبين له الفوائد التى يجنيها من وراء تحالفه مع الحكومة . وبعد جدال استطال آل الامر الى قبول

مامبانجا ارجاع البنادق التي استولى عليها وزيارة المحطة . ومع ارتياب
جونكر في قيام مامبانجا بوفاء وعده عقد معه معاهدة تبادل الدم ليث في روعه
روح الطائفة .

وعاد جونكر بعد ذلك الى المحطة ليحيط حواش افندي منتصر بنتيجة
مأموريته . ثم انقلب راجعا الى مامبانجا ليحمله على نجاز وعده . فوجده على
غير متركه فقد انقلبت افكاره بطنا لظفر وأخذت تساوره الشكوك من
كل صوب وناحية وأبدى مخاوفه من وقوعه في الهلاك . وأكد له
جونكر أنه ليس هنالك شيء يستوجب هذا الارتياب وأنه هو نفسه
يكفل سلامته ولكن ذهبت كل محاولاته عبثا ولم تكن فتىلا واضطر
أن يطرح كل أمل في الوصول الى أى وفاق معه . وفي أثناء
اقامة جونكر لدى مامبانجا قدم اليوزباشى كازاتى الرحلة الايطالى
ليزوره . وبعد أن لبثا اسبوعا وليا وجهيهما في ٢٢ سبتمبر شطر محطة
حواش افندي منتصر وذلك بعد أن نبأ مامبانجا بسوء مصيره والمصائب التي
ستحل به في القريب العاجل .

وقوبلا لدى وصولهما الى المحطة بأكبر مظاهر التجلة والتكريم ومزيد
الارتياح إذ ان القوم كانوا يتوجسون خيفة على حياتهما بسبب
طول غيابهما .

وسر جونكر سرورا لا مزيد عليه إذ وجد رسالة من الحكمدار
أمين بك يخبره بها انه من المحتمل ان يزور نواحي ممبتو التي ألحقت
بحكمدارته . وأحاطه أيضا بوفاة جيسى باشا في ثغر السويس وبما حاق
به بسبب ذلك من الأسى والأسف .

وقضى جونكر مع كازاتي في المحطة المذكورة اسبوعا في رغد من العيش .

إخفاقه في عقد الصلح وتفاقم الحالة

وفي ٢٩ سبتمبر سافر كازاتي . وكان جونكر يريد أن يسافر هو كذلك غير أن الجنود استعطفوه وطلبوا منه البقاء لأنه لم يبق لديهم إلا شيء يسير من الذخيرة وكانوا يخافون ان تنقض عليهم الأهالي واستشفوا من خلال ذهاب جونكر وإيابه من و الى مامبانجا ان للأول بعض النفوذ على الثاني وان هذا الاخير لا يهاجم المحطة طالما يكون جونكر مقبلا بها . وشكوا له أيضا من حواش افندي متتصر وقالوا ان المذكور وان كان جنديا عنك وله المام تام بمسالك البلد إلا انه شديد صارم لا يغتفر تواتر الزلل . وكان لهم شكاية أخرى موضوعها انهم يرغبون الرجوع الى مكرراكا حيث وسائل المعيشة متوفرة وبذا يتخلصون مما يقاسونه في محطته من عذاب الحرمان على تعدد ألوانه . فوبخهم جونكر توبيخا شديدا وقال لهم : إنكم لو كنتم جنود أمة أخرى لأعدم منكم واحد من كل عشرة وان أحسن ما يمكنكم عمله هو الصبر على الشدائد التي اتم فيها واحتمال ما تكابدونه من المشاق كما هو الواجب على كل جندي . وقرر جونكر تجاه هذه الظروف أن يظل بالمحطة وكتب الى الحكمدار أمين بك ليخيطه علما بالموقف .

وفي هذه الاثناء راجت اشاعة في المحطة مصدرها تنجazy فخواها ان القائمقام بحيث يتراكي بك قادم في الطريق من مكرراكا ومعه جنود لمحاربة مامبانجا وحسم المشاكل معه حسما نهائيا .

وفي ٢٢ أكتوبر ورد خطاب من بجيت بك مثبت لتلك الاشاعة
مذكور فيه انه قادم ومعه جيش عرمرم وبرفته عبد الله أفندي أبو زيد مأمور
بمركز التابعة لمركز مكركا . وفيه يطلب استحضار اكبر عدد
يمكن الحصول عليه من المراكب ليعبر عليها نهير كيبالي Kibbali .
وما انتشر هذا الخبر في المحطة حتى راجت اشاعة فخواها ان مامبانجا
يتأهب للهرب .

وجال في خاطر جونكر في تلك الساعة الرهية التي فيها حياة مامبانجا
معرضة لأشد الاخطار أن من واجباته ان يحاول لآخر مرة حمله
على ان يسلك مسلك التعقل والتبصر فأرسل اليه بموافقة حواش افندي
منتصر مندوبا يخبره بما يحيق به من الاخطار ويدعوه للمجيء الى المحطة
ليسلم البنادق ويقول له ان جونكر كفييل بأن لا يصيبه شيء من الاذى ،
ولانه سيأتي لمقابلته في منتصف الطريق اذا قبل هذه الشروط .

وفي اليوم التالي ٢٣ أكتوبر عاد المندوب يحمل جوابا سليا ويعتذر
بالحكاية التي طالما ردها وهي مسألة الخوف على حياته . وهمس الرسول
في اذن جونكر بأن مامبانجا يريد الشر والعدوان ويقول ان في حيازته
عددا كبيرا من رجال الحرب والطعان ويمكنه أن يناسب الحكومة
العداوة سنينا طويلة .

وأرسل جونكر يقول له آخر مرة انه بذل أقصى مجهوده لينجيه
من هلاك محتم ونباه بما سيحل به من البلايا والرزايا قائلا انه سيصبح بلا
مأوى ولا وطن وانه سيطارد في الغابات كما تطارد الطباء والأيتل وانه لن

يجد من يلومه على ما يجتاحه من البلايا والرزايا إلا نفسه .

وفي ٢٦ أكتوبر دوى صوت التفارية على مسافة بعيدة . وهذه لا تدق إلا لإيدانا بالشروع في الحرب ومباشرة القتال . ولما كان الصوت آتيا من صوب مسكر مامبانجا تصور الناس أن الهجوم على المحطة أضحي قريبا فضوعف الحرس واشتدت المراقبة طول الليل غير انه لم يحدث أى شيء ولم تكن هذه الاصوات إلا بقصد الارهاب .

ووقع عيد الاضحى في أول نوفمبر فاحتفل به كل من بالمحطة احتفالا عظيما وفرح الناس بمقدمه فرحا كبيرا وتسربلوا بأفخر ملابسهم والذين استطاعوا الاحتفال به ذبح كل منهم خروفا أو عزة كما هي العادة .

وارتقب الناس يوما بعد يوم قدوم بنحيت بك وحملته بلا جدوى . وعلم في نهاية الأمر انه ذهب اولا الى تنجازى .

ولم يكن حواش افندى منتصر راضيا عن قدوم بنحيت بك وذلك لأن هذا تقضى عليه رفعة رتبته عن الأول بتسلم زمام قيادة المحطة وبهذه الكيفية تذهب أتعاب حواش افندى منتصر مع الرياح وتمسى نسيا منسيا . وحمل هذا السبب حواش افندى منتصر على مفاخرة مامبانجا وحاول الدخول معه في مفاوضة ليقتنعه بالجنوح للسلم ونبذ الحروب ولكن محاولته هذه لم تأت بفائدة ما واستمرأ كبير الزوج مرعى عناده وجعل اصابعه في آذانه وأصر على عدم استماع أى كلام . وحاول كذلك بنحيت بك من تنجازى أن يرده الى الصواب ويهديه الى الصراط المستقيم وذلك بأن رد اليه واحدا من ابنائه الذين كان اسرهم العرب فكان جوابه على ذلك

أن أرجع اليه بعض البنادق ولم يزد على ذلك خطوة الى الامام بل وقف عند هذا الحد . ونقل من جهة اخرى الى حواش افندى منتصر جواسيسه ان مامبانجا أرسل نساءه ومتاعه الى مسافات قصية ليكن في مأمن من كل اعتداء وانه يتأهب للقتال .

الحملة على مامبانجا

وفي نهاية الأمر وردت في ١٥ نوفمبر أنباء الحملة وعلم منها انها انقسمت في تنجazy الى ثلاثة أقسام لتتاصر مامبانجا من ثلاثة طرق متباينة . القسم الأول بقيادة عبد الله أبو زيد أفندى وعليه أن يسلك الطريق الممتدة الى جهة اليمين . والقسم الثاني بقيادة الترجمان محبوب وعليه أن يسلك الطريق الممتدة شمالا . أما القسم الثالث وهو الأخير فيسير مباشرة الى مامبانجا بقيادة بجيت بك نفسه .

وبما ان مامبانجا كان على بينة من حركات وسكنات جيوش الحكومة التي كانت تنقلها اليه جواسيسه تطلق بأذيال الفرار وتخلص من حركة الاكتناف التي كانت على وشك أن تحدث به وذلك رغما من مسير فرق بجيت بك الثلاث السريع التي وصل رسالها الى المحطة في ١٧ نوفمبر حاملين خبر احتلال أراضى مملكة مامبانجا وفرار هذا واستيلاء الجيوش على أكواخه وخبر آخر من بجيت بك انه ستنشأ هناك عما قريب محطة مستديمة ويترك بها حامية مؤلفة من ٦٠ جنديا وان مقتنيات كبير الزوج صودرت وأنه خلع من عرشه ونصب بدلا منه رئيس آخر وبذلك تمت نبوة جونكر وصبت على رأس مامبانجا كل الملهمات والكوارث التي كان تنبأ له بها .

وقبل أن يشرع بنحيت بك في مطاردة الهارب قدم بمفرده الى المحطة .
وانشرح صدر جونكر وفرح فرحا لا مزيد عليه لرؤيته لانه من أعز أصدقائه
الذين تعرف بهم في رحلته السابقة وقطع معه مرارا المرحلة الواقعة بين
لادو و مكرাকা . وكان لدى كل منهما أشياء كثيرة عليه أن يئنها للآخر .

وكانت مقابلة الضابطين بنحيت بك وحواش افندى تقل كثيرا في
الصفاء والمودة عن مقابلة جونكر وبنحيت بك لأنه كان لدى هذا وحواش
افندى ما يستوجب المؤاخذة ولذلك قامت بينهما مشاحنات تجحف بالأعمال التي
هما قادمان على إنجازها معا . وشاهد جونكر البعض من اجتماعاتها إلا انه
عمل على أن لا يحضر هذه الاجتماعات إلا نادرا ومع ذلك ذكر أن
تصرفات بنحيت بك كانت أقرب للصواب من أعمال زميله . ومن الأشياء
التي وافق عليها موافقة تامة توييح بنحيت بك للجنود توييخا شديدا على سلوكهم
الشائن وطلباتهم المنافية للمنطق .

وفي ٢١ نوفمبر وصلت جنود الحملة فتجمع مئات من الأهالي ليشاهدوا
أولئك الجنود المجندة التي لم يروا لها من قبل مثيلا . وكان يمشى في مقدمة
الفرقة الجنود السودانيون النظاميون مسلحين بسلاح رمنجتون بقيادة ضباط
من جنسهم . ثم حامية محطة ريمو التابعة لمكرাকা المؤلفة من عسكر
خطرية تحت إمرة عبد الله افندى أبي زيد مأمور هذه المحطة . وعبد الله
افندى هذا هو أيضا من أصدقاء جونكر القدماء . ويأتي بعد هؤلاء
المساعدون وهؤلاء من رجال القبائل الزنجية الخاضعة لسيطرة الحكومة
ويعدون بالثبات ويسيروا بقيادة كبارهم كل منهم على رأس قبيلته .
وينبغي أن يضاف الى أولئك المساعدين عدد كبير من الحمالين الذين يستخدمون

في نقل متاع كل هذه القوة المتنوعة الوحدات .

وتأثر الأهالي كثيرا من هذا المنظر الذي لم يسبق لهم قبل رؤية نظيره وقد أتر فيهم أكثر وأكثر منظر الكسايى الجديدة التى وردت من ديار مصر ولبستها المساكر النظامية .

ولم تف الأكواخ التى نصبت للجنود التى وصلت أخيرا بمجاهاها ودعت الحالة الى عمل أكواخ اخرى . وتناول جونكر من أمين بك خطبا يخبره فيه انه ما زال عاقدا النية على الحضور الى ممبتو بعد زمن قليل وبث اليه صندوقا مملوءا بالاشياء المفيدة النافعة بصفة هدية . وأولم حواش افندى فى تلك الليلة وليمة حضرها جونكر والضباط والرؤوس الذين قدموا مع الجيش .

وعقد الضباط عدة جلسات لاختيار الخطة التى يسرون عليها فى الحرب القادمة لأن فصل الامطار كان قد انتهى وأضحى المناخ صالحا للأعمال الحربية التى هم قادمون على مباشرتها فتقرر السفر مع ترك حامية فى المحطة مؤلفة من ٧٥ جنديا .

مسير الحملة لمقاتلة مامبانجا
وتقديم رؤساء النواحي الطاعة

وفى ٢٥ نوفمبر تحركت الحملة للمسير بقيادة القائمقام بنيت بك العليا والصاغ حواش افندى منتصر بصفة قائد ثان وكان الجيش مكونا من عدة آلاف وكان السير فى اول الامر شاقا مضميا لاختلال النظام الذى ساد الصفوف بسبب كثرة المساكر غير النظاميين والحمالين المرافقين

لهم . ولكن كان كلما تقدم في السير تعلم كل ما عليه من الواجبات وانتظمت الاحوال واستتب النظام .

وبعد أن قطع مرحلة يومين وردت الانباء على حين فجأة أن مامبانجا وأتباعه على مقربة من الحملة وان من اللازم الاسراع في السير وعلى ذلك تقرر ان ينطلق في الحال عبد الله افندى أبو زيد وبشير ومعها ١٦٠ جنديا وثلة من المساعدين في سبيل البحث عن مامبانجا ويحاولا أخذه أسيرا . وظل جونكر في المسكر مع بخت بك و حواش افندى وباقي الحملة والحمالين .

وفي خلال اقامتهم في المسكر قدم رؤساء القبائل الضاربة في الجهات المجاورة ليقدموا الطاعة للحكومة وكانوا يحملون معهم جميع انواع المؤن ومن ضمنها الطيور الداجنة . وقدم بخت بك لكل منهم قميصا أحمر من نسيج القطن وأوصاهم أن ينهوا على مرءوسيهم أن يرجعوا الى ديارهم ويتفرغوا لأعمالهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة ويخلصوا للحكومة .

وفي مساء ٢٩ نوفمبر وردت رسالة من سكرتير الحملة منبئة أنها شنت شمل الأعداء واستولت على كثير من الغنائم إلا أن رئيسهم مامبانجا تمكن من الفرار وان الحملة سترجع بعد قليل .

وفي ٤ ديسمبر عادت الحملة الى المسكر . واتضح ان العدو بوغت بالهجوم مباغتة تامة إذ أن الجيش المساعد لما كان في المقدمة حسب اتباع مامبانجا من غير المعادين لاسيا أن افتراده من الاهالي مثلهم ولم يدركوا ان هذا الجيش المساعد يجد في طلبهم إلا عندما وقع

نظرهم على العساكر النظامية وعندئذ حدث ذعر عام في صفوفهم وأخذ كل منهم يعمل في سبيل نجاته وأخذ الجيش المساعد يطاردهم زمنا الى أن تشتتوا وذهبوا شذر مذر . واستوى عبد الله افندى أبو زيد وبشير في معسكرهم واستوليا على جميع موجوداته وهي زهاء المائة من نساء مامبانجا وولدان من أولاده وابنته وكثير من الاشياء التي تخصه هو نفسه وأسرا خلقا كثيرا . وقد أتى في اليوم التالي عدد كبير من الأهالي وقدموا الطاعة .

وبما أن رجال قبيلة الابرامو Les Abramos أتوا وقدموا الخضوع صار في حيز الامكان القيام بتقديم آخر ولهذا عقد حواش افندى النية على أن يحتل بمعاونة جنود الحكومة جميع أراضيهم بالتدرج ليضمها الى مصر . ويقول جونكر إنه وافق على هذا الترتيب لأن من شأنه أن يلم شمل جميع قبائل الابرامو الصغيرة تحت إدارة حكومة واحدة .

احتلال حواش افندى أراضي الابرامو وضمها الى الحكومة

وفي ٩ ديسمبر شرع حواش افندى في المسير وبرفته جونكر وبشير . ومشى معهم في الحملة بصفة مساعدين لها خلق كثير من قبائل الابرامو الضارين في المراكز التي أضحت احتلالها وشيكا والذين قدموا الطاعة . وكانوا يسرون مع الاحتياط إذ أنه كان يوجد أمامهم جمع كبير من رجال قبائل الابرامو الذين لم يقدموا بمد الطاعة وقيل أنهم عقدوا الخناصر على الاغارة على الحملة غير أنه لدى الاقتراب منهم أخذوا يفرون .

وبلغت الحملة في ١١ منه الجهة المولية وجهها شطرها . وهي الجهة

التي وقع الاختيار عليها لتدار منها موقتا حركات مفاوضات الصلح .
وروى جونكر أن جنود الحملة اقترفوا اعمالا من أعمال السلب والنهب
ولكنه يقول علاوة على ما ذكر أن هذا العمل وان كان في حد ذاته
لا يدل على الجنوح للسلم إلا أنه كان عملا لازما يستشعر الزوج
منه أنهم يواجهون قوة دونها قواتهم فيخضعون وتلين قناتهم لقبول
ما يفرض عليهم من النظام الذي كانت الحكومة تنوى ادخاله في
بلادهم . ومع هذا وفي حواش افندى حقه إذ قال انه أعطى أوامر في
نهاية الصرامة لرجاله بالألا يمساوا الأهالي بسوء وألا يستعملوا معهم الشدة .

وعندما استقر بحواش افندى المكان بعث برسه الى رؤساء القبائل
ليدعوهم للدخول في طاعة الحكومة فأتي كثير من الذين كانوا لم
يزالوا يناصبون الحكومة العداء وقدموا الطاعة وأحضروا معهم عاجا
وما ذلك إلا لأنهم أدركوا ان ليس هنالك أية فائدة من وراء الاستمرار في
عداوة قوة تفوق قوتهم .

وفي بدء السنة عندما قام جونكر برحلته في هذا القطر سرقت عدة
أشياء من متاعه وهذه الاشياء استرجعت في ذلك الوقت بنفوذ حواش افندى
وهتمته ونال المجرمون عقابا جزاء ما كسبت أيديهم .

وفي هذه الآونة وردت الأوامر من بجيت بك بناء على ما تلقاه
من أمين بك برجوع حواش افندى الى مركزه السابق بمكراكا . وهذا
الأمر اعتبره جونكر خبرا مكذرا لأن العمل الذي بدىء به لم ينته بعد
ولم يزل جزء من اراضى قبائل الايرامو ناشرا الى ذلك الوقت راية العصيان .

وحضر في غضون هذه المدة رؤوس آخرون ومعهم عاج وقدموا الطاعة .
وعلى هذا تراجع حواش مسافة قليلة ووقف غير انه ورد له أمر ثان مع حرس
مؤلف من ٣٠ جنديا فقوض مضاربه وسافر .

وقد غادر جونكر الحملة في ذلك الوقت لارتياح أقطار أخرى .

ولهذه الرحلة تنمة نذكرها في الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ - ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

القسم الثانى

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استمر كازاتى فى ريادته فى بحر الغزال طول القسم الاكبر من عام ١٨٨١ م ووصل الى محطة تنجازى فى ٣ أغسطس . وتنجازى هذه تابعة لمديرية خط الاستواء . وأقام كازاتى فى هذه المحطة مدة . وفى ١٨ سبتمبر وردت له رسالة من الطيب جونكر يقول له فيها إنه وصل حديثا الى بلاد الابرامو وانه عقد العزم على الذهاب قريبا الى الرئيس مامبانجا الذى كان فى حرب مع الحكومة المصرية فسر سرورا عظيما لهذا النبأ وشجذ غرار العزم على السفر للقياه والتعرف به .

وسافر فى ٢٠ منه وبعد مرحلة يومين وصل الى مقر الرئيس السالف ذكره وهناك وجد جونكر وقضى معه ثلاثة ايام فى هناء وسرور ورغد من العيش ثم زايله وقصد ناحية بحر الغزال للقيام بزيادة فيها وقفل راجعا الى تنجازى فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

وقابل كازاتى فى خلال هذه الرحلة مامبانجا وكان قد غلب وخذله

اتباعه ولم يبق معه منهم إلا عدد يعد على الاصابع وكان آخذاً في البحث عن مكان يأويه . وكان أمين بك قد أرسل عليه حواش افندى منتصر فقاتله ونجح في قتاله غير انه نظراً لمقاومة مامبانجا وتصلبه في المقاومة وجد الأول نفسه في مركز حرج امام الأخير فطير جونكر خبر هذه الضائقة الى أمين بك فبعث في الحال ببخيت بك ومعه مدد ذو بال فقام هذا بمركات سريعة وهجمات فتاكه شتت سريعا شمل عصابات مامبانجا وفاز بجميع أنواع الظفر في حرب جرت الخراب والدمار على رأس هذا الرئيس .

وبعد ان استراح كازاتي بضعة أيام سافر مرة اخرى ليحضر حملة جديدة في بحر الغزال .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها في الملحق الثاني للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٢ م

من

حكمدارية أمين باشا

سفره الى الخرطوم لمقابلة رءوف باشا

قام أمين بك في خلال الشهرين الأولين من سنة ١٨٨٢ م ببعض جولات قصيرة حول لادو للتفتيش . تم شرع بعد ذلك في القيام بتحضير معدات السفر الذى نوى ان ينهض به الى الخرطوم .

واستفهم من فيتا حسان قبل رحلته عما اذا كان ينقص صيدليته بعض العقاقير . فأجابته انه ينقصه من الادوات الضرورية الشيء الكثير . وبناء على ذلك نبه عليه بأن يرافقه في رحلته الى الخرطوم ليتسلم من قاعدة الحكومة العقاقير التى تلزم ويتفرغ هو لمقابلة رءوف باشا .

وأقلما قبيل أواخر شهر فبراير على ظهر الباخرة « بردين » ومعها ٤٠٠ رجل من الدناقلة . وهؤلاء هم الذين كان الحكمدار أمين بك قد نبه عليهم بمبارحة خط الاستواء اذا لم يخضعوا لدفع الضرائب أسوة بالأهالى . وكان وجهة أولئك الدناقلة أيضا الخرطوم . وكانت الباخرة تحمل علاوة على ما ذكر ٥٠٠ قنطار من العاج وعرجت في طريقها على بور و شمبى لتمتار بالوقود . واضطرت للوقوف في مركز « قاوا »

Kawa لأن الأمر كان قد صدر بعدم السماح لأية باخرة بالمرور بدون رخصة خصوصية وذلك بسبب وجود المهدي في جزيرة « أبا » Abba . غير أنه رخص لها بالمرور لمغادرة المذكور للجزيرة وانسحابه هو واتباعه الى جبل قدير الواقع في مديرية فاشودة .

واتصل بها وهما في قنوا ان الحكومة استدعت رءوف باشا وعينت محله عبد القادر حلمى باشا وان الأول قد سافر فعلا ووصل الى بربر فبعث له الحكمدار أمين بك برسالة برقية يخبره بها أنه قدم لزيارته في الخرطوم وأنه يأسف لسفره فجأوبه رءوف باشا برسالة برقية كذلك يقول فيها انه يسوءه هو أيضا عدم استطاعته مقابلته قبل سفره ويؤكد له ما تكنه جوائحه نحوه من عاطفة الصداقة .

ووصلت الباخرة الى الخرطوم في ٧ مارس فاستقبله فى الموردة كبار الموظفين وأعيان المدينة ومن بينهم جيكلر باشا Giegler وكيل الحكمدار العام و بوساتى بك مدنى Bussati Madani السكرتير القديم لغوردون باشا وكان وقتئذ مديرا للمالية و ماركو بولو بك Marcopolo سكرتير الحكمدار العام ثم قنصلا النمسا واطاليا .

مقابلته لحاكم السودان العام الجديد

وكانت الخرطوم حينئذ قد بلغ فيها القلق والاضطراب أشدهما . وساد الكدر جميع النفوس من جراء ثورة المهدي التي كانت غير متوقعة ولا منتظرة وتواتر بصدها ورود اخبار غريبة فى بابها متضاربة ومتباينة فى مرماها ومنزاها . وكانت الحكومة تعد فى ذلك الحين معدات حملة يوسف

باشا الشلالى التى باءت بالخيبة والخسران .

وتلقى جيكر باشا فى العشى مكتوبا من الحكمدار الجديد عبد القادر باشا يبنه فيه بتعيينه مفتشا عاما للرقيق ويأمره فى الوقت نفسه بأن يستمر على القيام بشؤون مركزه بوصف أنه وكيل للحكمدارية الى ان يصل من يخلفه فى هذه الوظيفة .

ونزل الحكمدار أمين بك ثانى يوم قدومه فى دار جميلة أعدها له مكاتبه بطرس سركىس . واستغرقت مدة اقامته هو وفيتا حسان فى الخرطوم زهاء أربعة أشهر ترقبا فى الشهرين الأولين منها مجيء عبد القادر باشا وكان أمين بك قد طير له برقية يطلب فيها منه امداده بما يلزم من التعليمات فورد له الرد بأن ينتظر الى حين قدومه الى الخرطوم .

وتراكت على الحكمدار العام الجديد عند قدومه الاشغال من كل صوب وحذب بسبب رفع المهدي راية العصيان واحتدام نار الثورة وبسبب تنظيم خطط الدفاع ايضا ونشأ من هذه المشاغل ان انقضى زمن قبل ان يتمكن من رؤية أمين بك .

وقابله هذا فى نهاية الأمر وفحص ميزانية دخل وخرج الحكمدارية وأنظمة قواتها الحربية وأشار على أمين بك - الامر الذى كان قد تم تنفيذه - ان يسرح جميع الخطرية الذين فى حكمداريته لعدم ثقته بهم ولانه يؤثر عليهم تنظيم هيئة نظامية من الجنود السودانية . وأمره كذلك بأن يبعث الى الخرطوم بالقائمقام نور بك محمد قائد جنود الحكمدارية وبخيت بك

بتراكي مأمور مركز مكرامكا .

عودته الى حكمداريته

وقدمت في اللحظة التي ازمع أمين بك الرجيل فيها من الخرطوم
بأخرة تقل ٣٥ ضابطا مصريا من أولئك الذين اشتركوا في الثورة
العرايية وجرى بهم ليندجوا في جيوش السودان فاستدعى عبد القادر
باشا اليه مرة اخرى أمين بك وأراه الضباط وكانوا قد نزلوا توا من
الباخرة وقال له :

« تخير من بين هؤلاء الضباط اثني عشر ضابطا وخذهم في الحال
الى حكمداريتك » . فأجاب أمين بك قائلا . « يا صاحب السعادة ان هؤلاء
الضباط جاءوا في التو والساعة فدعهم اذن قليلا يتعودون مناخ الاقليم قبل ان
يطوح بهم في جهة أبعد من هنا » .

فدججه عبد القادر باشا بعينيه ولاحظ عليه أمارات التأثر وقال :
« كفى كفى يا أمين بك ان الساعة ليست ساعة ابداء الشعور فساغر وخذ
العدد الذي ذكرته معك » .

وعلى ذلك اضطر أولئك المنكوبون الذين كانوا قد نزلوا توا من
الباخرة هم واسرتهم وأنزلوا معهم متاعهم ان يلقموا في الحال الى
جهات خط الاستواء .

وهؤلاء الضباط على حسب تعريف عبد الرحمن رحى (١) افندى نجمل
البكباشى عثمان لطيف افندى وكيل مديرية خط الاستواء الذى كان
مع مديرها أمين باشا وكان فى هذه المديرية مع أولاده طول مدة العزلة وعاد
الى مصر مع أمين باشا فى حملة استانلى هم كما يأتى :-

١ - عبد الوهاب طلعت افندى ملازم ثان قتل فى واقعة الرجاف
بين الجيش المصرى والدرائش
فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو
برتبة صاغ .

٢ - سالم افندى خلاف قتل فى واقعة الرجاف أيضا
فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو
برتبة يوزباشى .

٣ - محمد افندى القولى قتل فى واقعة الرجاف أيضا
فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو
برتبة يوزباشى .

٤ - عبد الواحد افندى مقلد » ترك بسبب مرضه فى
الطريق بين مديرية خط الاستواء

(١) - بعد عودته الى مصر أدخله والده مدرسة الخرقش وعند فتوح السودان فى
سنة ١٨٩٨ م عين فى قلم الخبابرات ثم نقل الى مصلحة البريد السودانى واحيل الى المعاش فى
سنة ١٩٣٢ وكان وقتئذ على قيد الحياة فى أم درمان . أما والده البكباشى عثمان لطيف افندى
فتوفى الى رحمة الله فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠١ بجهة باب الوزير بالقاهرة .



البكباشى عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء

وزنبار بأمر أمين باشا لدى
المبشرين الانكليز بمجة كيتيجا
في جنوب بحيرة فيكتوريا
نيانزا عند المستر مكي وتوفي
الى رحمة الله وهو برتبة
يوزباشى .

- ٥ - ابراهيم افندى حليم ملازم ثان ترك أيضا في الطريق
كسلفه بسبب مرضه بين
مديرية خط الاستواء وزنبار
بأمر أمين باشا لدى المبشرين
الانكليز . الخ . الخ .
- ٦ - احمد افندى سليمان » نقل الى الخرطوم قبل
سقوطها سنة ١٨٨٥ م .
- ٧ - حسن افندى سليمان » نقل الى الخرطوم قبل
سقوطها .
- ٨ - محمد افندى فوزى » نقل الى الخرطوم قبل
سقوطها .
- ٩ - عبد المين افندى شلمى » ترك مع باقي القووة في
مديرية خط الاستواء .

١٠ -- على افندى شمروخ ملازم ثان ترك مع باقى القسوة فى مديريةية خط الاستواء .

١١ - مصطفى افندى العجيبى » وصل الى مصر مع حملة استانلى وهو برتبة يوزباشى .

١٢ - محمود افندى العجيبى » قتل فى واقعة ريلى بين الجيش المصرى والدررايش وهو برتبة يوزباشى .

وأبجر أمين بك مع فيتا حسن فى يونيه على متن الباخرة « الاسماعيليه » صوب حكمداريتته . وقال ثانيهما فى اثناء الطريق يخاطب الأول : « انك لتحسن صنعا اذا صرفت النظر عن ارسال نور بك وبخيت بك ذينك الضابطين العظيمين الوحيديين اللذين فى حكمداريتك الى الخرطوم لاذ ان وجود هذين الرجلين اللذين حنكتهما التجارب من الضرورى ليعث فى نفوس الجنود المهابة ويحملهم على مراعاة النظام . فأجاب أمين بك قائلا . « انى أرى نفسى بالعكس حسن الحظ كثيرا لاذ صار فى استطاعتى أن أصرح لهما بالسفر فاخفف بذلك النفقات عن كاهل حكمداريتى » .

ويقول فيتا حسن انه رغما عما أبداه من الحجج والبراهين المؤيدة لصحة نظريته وهى وجوب الاحتفاظ بهذين الضابطين ظل الحكمدار أمين بك ثابتا فى رأيه لا يتزحزح عنه قيد شعرة وذهبت براهين فيتا حسن وتحذيراته أدراج الرياح . وكان بينى حججه وبراهينه على احتمال حدوث غارات من جانب الدرايش ومسيس الحاجة لرجلين فى مقدرة هذين

الضابطين وهذا الاحتمال الذى كان يدل به فيتا حسان أضحي فيما بعد أمرا واقعا .

والتسرع الذى أبداه أمين بك فى إبعادهما ما هو إلا نتيجة أخلاقه وطباعه . ولما كان فيتا حسان قد درس أحواله وما ظهر منها وما بطن أدرك أنه لن يستطيع إقناعه إلا بشق النفس وأشد المتاعب .

وكان أمين بك يخاف دائما أن يبقى حامل الذكر وينير على سلطته غيرة ما عليها مزيد فلا يود أن يشاركه فيها انسان وكان شديد الريب فلا يسلم أحد من ريبه ولا ينجح لأن يرى تحت سيطرته إلا مروءسين لا يؤبه لهم إلا قليلا واذا رفع أحدهم رأسه حتى لو كان ذلك خفية أضحي هذا موضع ريبته فلا يلبث أن يسمي فى إبعاده واذا تمذر عليه أمر التخص منه خلق له وقتئذ المشاكل ودرس له الدسائس ليوقعه مع الموظفين الآخرين حتى يهبط الى مستوى لا يخافه فيه أحد بعد .

ولدى وصولهم الى قاوا وجدوا على غير المعتاد استعراضا للقوات الحربية . وهذه القوات كانت الحامية التى أقامها هناك حكمدار السودان الجديد العام عبد القادر باشا حلى . ولم يلبث وقوفهم فى هذه الناحية أكثر من الوقت اللازم لشحن الوقود .

واتصل بهم عندما أفضوا الى شبي أنه فى فترة غيبتهم أغارت قبائل الآميروس Amirus بقيادة كبيرهم محمد على على حامية فاديبك فأبادوها على بكرة أبيها . وانه عندما ورد هذا النبأ لوكيل المديرية المسيو ماركو بولو

بعث بحملة مؤلفة من ٢٥٠٠ زنجي من زنوج مكررا كما ومعهم ٢٠٠ جندي بقيادة بنجيت بك ليقصص من المغيرين ويحتل ثانية فاديبك . وقيل علاوة على ما ذكر ان القبائل المتعدية انهزمت انهزاما تاما وان بنجيت بك في طريق الرجوع هو وحملته الظافرة الى لادو . وقد تأكدت لهم صحة هذه الأنباء عند وصولهم الى بور .

ووصلت الباخرة بهم الى لادو في ٣١ يوايه . وكان ماركو بولو وقتئذ طريح الفراش بسبب المرض . وبنجيت بك لم يرجع بعد . ومن اليوم التالي لوصولهم كانت السنة الشر قد شحذت وأخذت تنقل الى أمين بك أحاديث قيل انها صدرت من ماركو بولو خلال غياب الحكمدار . وغوى هذه الأحاديث أن ماركو بولو يسعى بواسطة أخيه سكرتير حكمدار السودان العام ابتغاء نقل أمين بك وتعيينه هو مديرا لمديرية خط الاستواء وانه في سبيل إدراك هذا المأرب قد أخذ يدرس اللغة العربية وتقدم في دراستها تقديما لا بأس به . ومثل هذا القول جدير بأن يثير ريب أمين بك وظنونه وينزع منه الثقة بوكيله وعلى هذا أسرع ورسم في الحال خطة ونفذها بلا تردد . فأشار على ماركو بولو وقد كان كما سبق القول مريضا بأن يذهب الى الخرطوم لتغيير الهواء والاستشفاء . وان هو إلا أن قرر ماركو بولو الأخذ بهذا الرأي حتى أرسل الحكمدار أمين بك في نفس الباخرة التي سافر على ظهرها مكتوبا للحكمدار العام يقول له فيه ان خط الاستواء غير موافق لصحة ماركو بولو وان الحكمدارية علاوة على ما ذكر في غير حاجة الى وكيل مدير براتب قدره ٣٦٠ جنيا بل يكفي الحال بأن يعث اليه اليوزباشي عثمان افندي

لطيف وكيل مأمور الخرطوم بماهية البالغة ٧٥٠ غرشا صاعا فيقوم بوظيفة وكيل مدير .

وأبحر ماركوبولو ونور بك محمد على ظهر الباخرة الاسماعيلية التي أقلت أمين بك عند قدومه هو وفيتا حسان وشحن بها ٦٠٠ قنطار من العاج و ١٢٠٠ جلد من جلود الثيران و ٣٢ قنطار شحم من شحم البقر و ٤٠ قنطارا من الشهد . أما بنجيت بك فلم يتمكن من السفر لأنه لم يكن قد رجع الى لادو الى ذلك الوقت .

قيامه بجولة تفتيش في مكراكا

ووجد أمين بك حال أوبته من الخرطوم ان لديه اعمالا مكدسة ومتراكمة بسبب طول غيبته . وعندما قام بانجاز ما تجمع لديه منها وسافرت الباخرة قرر القيام بجولة للتفتيش في اتجاه مكراكا وكلف اسماعيل افندى خطاب أن ينوب عنه . وعين ابراهيم جورجورو رئيسا لمكراكا محل بنجيت بك . وسافر في ١٢ سبتمبر ومعه كمادته فيتا حسان .

ووصلوا الى « جاندا » Ganda بعد أن نزلوا وهم في طريقهم في عدة محطات عسكرية . وتناول أمين بك في هذه المحطة رسالة من لادو بها وشاية سخيفة . وكان بنجيت بك بمجرد وصوله الى لادو قد أقام اكواخا خارج هذه المحطة لاسكان عدد عديد من الجنود الذين لم يجدوا لهم مأوى داخلها ويقال انه أظهر عدم ارتياحه من جراء استدعائه الى الخرطوم . وبلغ هذان الامران مسامع أمين بك بكيفية يؤخذ منها ان بنجيت بك تمرد ورفع راية العصيان وبنى معسكره هو ورجاله في لادو .

وفي غد ذلك اليوم أتى رسول من كاباندى بخطاب من سليم افندى
خلاف مأمور قسم مكررا كما المذكور فيه ان بنحيت بك وصل الى هذه
الناحية ومع جيش عرمرم من الزوج وأنه عقد النية على القساء القبض
على أمين بك وطرحه في غيابة السجن هو وسكرتيره و ابراهيم جورجورو
فأمر أمين بك بدون أن يترث الزمن اللازم للتأكد من صحة تلك
الأبناء ابراهيم جورجورو رئيس مكررا كما الجديد أن يسافر مع مائة خطرى
ويقبض على بنحيت بك سواء أكان حيا أم ميتا . فأراه فيتسا حسان
أنه ليس من اللياقة ولا من السياسة أن يقبض رجل خطرى غير متحل بأى
لقب من الألقاب على رئيس محبوب محترم وأنه من اللازم التحقق من صحة
أخبار تلك الثورة أو كذبها . فأجاب الحكمدار امين بك بنخشونة قائلا :
انى انا المدير وأنا على بينة مما أعمل ولا اسأل احدا مشورة . وكانت سذاجته
والسرعة التى يصدق بها ما يتصل به من الاخبار هما عدوه اللدود بل هما
أخس عيب يتصف به رئيس من الرؤساء وكانتا مبنيتين على اعتقاده أنه
لا يمكن التشنيع أو الوشاية في حق انسان برى .

وكان عدوان الخطرية والذناقلة للجنود النظامية المؤلفة من الزوج
مستمر لا ينقطع . وكان ابراهيم جورجورو دنقلاويا وبنحيت بك زنجيا
مسقط رأسه تاجالا Tagala وذا قريجة وقادة وشهامة فائقة . فحملت
العداوة الجنسية ابراهيم جورجورو على أن يتلقى أمر الحكمدار فرحا مسرورا
ويتحرك في الحال لمباشرة تنفيذه . ولدى وصوله الى كاباندى دخل منزل
بنحيت بك شاخ الأتف وكان قد بلغ بنحيت قبل ذلك أخبار الاجراآت
التي اتخذت ضده . ومن الأمور المدهشة أن يرى الانسان الأخبار
تنشر بسرعة كبيرة هكذا في تلك الاصقاع . هذا اذا كان غير عالم بأن

الزواج يتناقلون كل ما يطرق أسماعهم من الأنباء أو تقع عليه أعينهم من الحوادث بدقة عظيمة حتى لو كانوا لا يفهمون شيئاً مما سمعوا أو رأوا .

وتقدم بنحيت بك أمام ابراهيم جورجورو بلطف وأدب وقال : من أتى بك ههنا . أنتوى القبض على حيا كنت أم ميتا تنفيذاً لأمر المدير ؟ فأجاب ابراهيم جورجورو قائلاً : نعم . فقال له بنحيت بك : وما هو الموجب لمثل هذا العمل الصارم ، أهو الاشاعة التي اذاعها اناس بلهاء لا خلاق لهم ؟ واذا كنت أريد ان آتى بعمل كهذا فهل تظن أنك تخيفنى بالمائة الخطرى الذين معك ؟ ألا فاعلم أنى جندى من القدماء لم بواجباتى وبما أنا مكلف به وانى أعلم ان الخديو نصب أمين بك رئيساً لى ومن واجباتى طاعته . فاذا كان فى خاطرى القيام بمثل هذه الثورة التي قد آهمت بالشروع بها فهل كان فى غير استطاعتى أن ألقى القبض عليك فى طرفة عين أنت نفسك والمدير ومن معك من الخطرية واضح فى اعناقكم جميعاً السلاسل والاغلال ؟

ثم اصطحب بنحيت بك ابراهيم جورجورو الى خارج داره وقال له : ارجوك ان تجيل البصر فيما حولك لتستبين اذا كنت غير قادر على ان اسجقكم جميعاً والأشيكم من الوجود بهذا الجيش الطائع لى طاعة عمياء .

وعند ذاك امر بنحيت بك بالنفخ فى البوق وإن هى إلا نغمضة عين حتى كان يكتنفه من كل ناحية صف متراص من الزوج ثم سيماهم على الاستعداد للقيام بأى عمل يؤمرون بعمله .

ثم واصل الحديث وقال : اذهب وطمنئ أمين بك واذا كر له اخلاصى

ونبته بأى ما أتيت الى هنا حسب إرادته إلا لى أقابل أسرتى فى لادو وانتظر
قدوم الباخرة التى ستقلنى الى الخرطوم .

وعند وصول أمين بك ومن معه الى كاباندى فى طريق الرجوع كان
بخت بك قد سافر فى الواقع ونفس الأمر الى لادو هو وأسرته الأمر الذى
أحزن ززوج مكراماً لشدة تعلقهم به وعظيم محبتهم له .

وسلم الحكمدار أمين بك بنفسه مقاليد الأعمال الى رئيس مكراماً الجديد
ابراهيم جورجورو وأمر جميع المشايخ بطاعته . وجورجورو هذا كان فى
مقدمة أولئك الذين ولوا خدمة الحكومة عرض اكتافهم من فجر نشوب
الثورة المهدية واشترك مع الثائرين .

ودعت الحالة الحكمدار عند أوبته أن يقيم بعض أيام فى واندى
ليعالج نظره وكان قد أصابه رمد بسيط . وبعد أسبوع من وصوله الى
هذه الناحية قدم الصاغ حواش افندى منتصر رئيس مركز ممبتو ومعه
٥٠٠ حمل من العاج . وكان راجعاً من حملته الأخيرة التى توجهت بالنصر
وهى الحملة التى قام بها فى ذلك المركز ضد الرئيس ازانجا Azangs .
وكان فيتا حسان جالساً مع الحكمدار حينما ورد الخبر بفتة منبشا
بقدمه . وبعد وصول هذا الخبر ببرهة دوى صوت الطبول والزمور دوى
يضم الآذان وكان هذا الصوت صوت آلات رجال حواش افندى منتصر
الموسيقية المتباينة العدد . فقال الحكمدار : عليك اللعنة يا حواش !! هذا صاغ
يتظاهر بمظهر ملك ويأتى بموسيقى كهذه التى نسمع دوىها . وما نطق بهذه
الكلمات حتى دخل حواش افندى القاعة التى كانوا جالسين فيها . وكان
حواش افندى هذا رجلاً نحيف الجسم طويل النجاد قد ازداد وجهه اسمراراً .

اما ملامحه فتم عن غلظة في أخلاقه . وكان يرتدى ملابس السفر المعتاد لبسها في السودان وهي جلباب احمر قصير من القطن يحيط به نطاق الجندية معلقا به سيف .

ووقف حواش افندى على قيد خطوتين من الحكمدار وحياء التحية العسكرية وأمسك أمين بلحيته كعادته وبعد برهة قصيرة قال .
أقدمت ؟ فأجاب حواش افندى : نعم يا صاحب السعادة . فقال له الحكمدار :
وما ذا أتيت به ؟ فأجاب حواش افندى : أتيت بعام . فقال له : أكان هذا العام في مستودعات ممبتو أم غنمته أنت نفسك ؟ فأجاب : غنمته أنا نفسي وما ذلك إلا بواسطة شمول الحكومة إياي بحمايتها وبركة عناية سعادتكم . فقال : هل أتيت منه بالشئ الكثير ؟ فأجاب : لقد أحضرت معي ٥٠٠ حمل تقريبا وتبلغ زنة كل منها ٤٠ رطلا . فسأله : ومن أي نوع هو ، أمن النوع الأول الجيد أم من النوع الثاني ؟ فأجاب انه يحتوي على جميع الانواع . فقال له : لقد أحسنت . تفضل فاجلس واشرب قدحا من القهوة .

واستدعى الحكمدار خادما ليحضر القهوة وأخذ يسأل حواش افندى فيما كان هذا يتناولها عن حوادث ممبتو وعن العلاقات التي مع رؤساء الزوج وعن خواص الحروب ومميزاتها التي شنها ونجح فيها ذلك النجاح الباهر . ولما اراد حواش افندى أن يستأذن بالانصراف قال له الحكمدار : اذهب فالخلع ثياب السفر واسترح ثم زر أصدقاءك .

ثم التفت الحكمدار الى فيتا حسان وهو يضحك وقال : هيا اذهب رفقة حواش افندى إذ ربما يكون قد أحضر لك شيئا من الهدايا

كزوج يبعث أو بعض شيء من الباتنجو (١) . فخرج فيتا حسان
صحة حواش افندى .

وهاك مايقوله الأول بصدد الثاني : ان حواش افندى وان كانت هيئته
تم عن النظرة وسوء الخلق فهو حلیم الطبع انيس المعشر طيب النفس ذو نجدة
ومروءة . وسأل هذا فيتا حسان السؤال التالى :

خبرنى بربك ماذا أصاب صاحبك المدير ، ولماذا اتفعل اذ رأى جنودى
الزوج يعزفون بعض انغام موسيقية ، وهل انا امرتهم ان يهيشوا لى احتفال
من يدخل دخول الظافر ، ألهذا يدعونى لعينا ؟

فأجاب فيتا حسان : وكيف كان ذلك ؟

فقال حواش افندى : ألم اسممه بأذنى حين دخولى . هيا بنا اذن ياها
الطيب . انى وان كنت قدمت اليك بطريقة استهتار وسخرية فهذا لم يحل
دون فرحى وابتهاجى بمعرفتك .

وسأل حواش افندى فيتا حسان وهما سائران عن تاريخ وجوده فى
الحكمدارية وعن أشياء اخرى .

وسأله كذلك فيتا حسان عن تاريخ حياته والمركز التابعة له ادارته
وعن جونكر و كازاتى اللذين كانا فيما سلف فى مقاطعته . وبعد

(١) — الباتنجو مرهون من موز يعطونها ببيدان نوع من النبات الطيب الرائحة . وهذه
المرهون تمك سنة فأكثر بدون ان يتطرق اليها الفساد .

مرور نصف ساعة من الزمن كان الاثنان على غاية ما يرام من الود والصفاء .
هذا وقد نظر حواش افندى الى هزؤ وسخرية أمين بك بعين الجد فجا
فيتا حسان زوجى بفاء من طيور ممبتو لونها رمادى يسر الناظرين ومنحه
كذلك قدرا من الباتنجو وبعض مزاريق وأسهم وبعضا من الاسلحة المهمة .

ولما كان حواش افندى عالما بمواطن الضعف من نفس المدير العام
أحضر له بعض الطيور والقردة والحیوانات ذوات الأربع وأسلحة وتحفا
عجيبة . وهذه هى الاشياء الوحيدة التى كان أمين بك يهوى جمعها باسم العلوم
ولفائدها وذلك لكي يرسلها فيما بعد الى متاحف أوروبا .

وزاهة أمين بك ومبادئه القويمة الخاصة بالشرف كانت جدية
بالاعجاب . وقليل من الموظفين حتى من أولئك الذين فى خدمة حكومة
السودان هم الذين يحذون حذوه وينسجون على منواله فى ذلك . فكان
عندما يبعث له مأمور من مأمورى المراكز بهدية من الهدايا يرى
فى ذلك محظورا تأباه استقامته الخارقة للعادة فيأمر مأمور المخازن بخطاب
رسمى بقيد ذلك الشئ فى الدفتر وبتقدير ما يساويه بالتدقيق ويحتسب
ثمنه عليه . وكان يفعل هذا اجابة لداعى ضميره وزاهته فلا يمكن أن يدخل شئ
فى بيته قبل وفاء ثمنه .

وقبل أن يبلغ حواش افندى واندى ورد تقريران مذكور بهما
أمور غير مستحسنة فقرر المدير نقل حواش افندى من ممبتو وتعيينه قائدا فى
لادو ابتغاء تجنب وقوع مثل هذه الوشائات التى قد يمكن أن تجر وراءها
بسهولة حوادث كريهة .

وكان المدير يجب أن ينهج منهج المنتظمين في السلك السياسى ويتبع
خطاهم بأخذ طرقهم العوجاء رغمًا عن أنه لو كان في جماعتهم لاحتسب
من أحظهم مرتبة . وكان يهوى أن يتصرف في القضايا الهينة اللينة بطرق
سرية وفي الخفاء . وهذا هو أكبر عيب فيه ومرجع هذا العيب كثرة
طيبته وشدة ضعفه . وكانت قواه تخونه دواما فلا يجـرؤ أن يقول لأى
انسان في وجهه ما لا يحسن لدى هذا الانسان حتى لو كانت المصلحة
العامة تستدعى ذلك حتما ولا بد أن هذا النقل أزعج حواش افندى لأنه كان
ذا شغف بمركزه في ممبتو التى كانت أسرته تقيم فيها .

وتحاشى المدير أمين بك أن يبلغه بنفسه هذا القرار فكتب
الى فرج افندى آجوك الذى كان قد قدم ليدير أعمال ممبتو بعد حواش
افندى مباشرة - بأن يحمل موقتا محله . وكتب الى اسماعيل افندى
خطاب رئيس كتبة الحكمدارية بأن يسلم الى حواش افندى حال
وصوله الى لادو قيادة هذا المركز محل عبد الله افندى العبد الذى سينقل
الى وظيفة معاون .

وكان حواش افندى قد غم في حروبه مع الأهالى قبل أن يسافر
من ممبتو ١٣٥ بندقية . وكان ينبغي قيد هذه الاسلحة في الحال في دفاتر
الحكومة إلا أنه أغفل ذلك لحين سفره . ولكي يجعل هذا الخطأ راجعا الى
مصلحته اتخذ وسيلة رديئة وذلك بأن أرسل كشفا أرخه بتاريخ سابق لتاريخ
كتابته . وبما انه لم يحسن إلا قليلا تحرير هذا الكشف كشف أمين بك
حيلته وقد كان من قبل متهبجا من هذه المسألة فأخلى سبيله وأحل محله ضابطا
يقال له عبد الوهاب افندى طلعت وهو من الضباط العرايين الذين أعطاهم اياه

عبد القادر باشا .

وعند وصولهم الى لادو وجدوا بجيت بك . وكان قدم قبل ذلك بايام وأقام فى الدار التى أعدها له اسماعيل افندى خطاب ربما تصل بالخرة التى ستقله الى الخرطوم . وكان بجيت بك قد سئمت نفسه من دسائس ودسائى الحكمدارية فأوصد بابه فى وجه كل زائر اللهم إلا اسماعيل افندى خطاب فقد ظل يزوره فى أى وقت شاء . وحال وصول أمين بك تولى بجيت بك وهو ملازم جانب الحشمة واللياقة كجندى قيادة الجيوش ليقدم للمدير العام التشريعات العسكرية وقابله باحترام كأنه لم يحدث حادث ما . غير أنه التمس منه ان يصدر أمرا بمنع الزيارة كلية عنه مع استثناء فيتا حسان واسماعيل افندى خطاب من هذا المنع .

١ - ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية
الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى تنجازى

بعد أن بارح جونكر حواش افندى وجنوده فى أواخر السنة
الماضية ذهب للريادة لغاية أوائل فبراير من السنة الحالية ورجع بعد هذا التاريخ
الى بلدة ممبتو .

ووصل فى ١٠ فبراير الى محطة صغيرة أنشئت للاستطلاع وبها من
الحراس ٨ نوبين و ٣٠ جنديا سودانيا فقبول فيها أحسن استقبال وزود
بكل ما يحتاج اليه فى رحلته . وبعد أن مكث فيها يوما سافر الى تنجازى
فدخلها فى ١٦ من الشهر المذكور .

وكان منظر محطة تنجازى قد تنير عن الحالة التى رآه عليها وقت
زيارته الأخيرة لها لأن بنجيت بك كان قد جدد بناءها . والنظام

(١) - راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

الذى كان بها قد تحسن والاكواخ النظيفة التى فيها والتى وضعت تحت تصرف جونكر مباينة تماما للأماكن التى نزل بها فى رحلته السابقة .

وصارت محطة تنجازى هذه أهم محطة فى المركز واتخذت معسكرا لأغلب الجنود السودانين النظاميين وفوض أمر قيادتهم لضابط يقال له فرج افندى وهو أيضا سودانى من جنسهم . أما باقى الجنود النظاميين فاتخذوا لهم محطتى كوبى و جانجو الشرقيتين للإقامة بهما وليكونوا حاميتين فيها .

وكان بنيت بك قد رجع الى مكراكا وظل حواش افندى فى المركز خلافا للأوامر السابقة . ولكنه كان مقما فى هذه الآونة فى محطة كوبى . وطرد أغلب النوبيين من الناحية من وقت انشاء المحطات الجديدة فى بلد الأبرامو Les Abramos وغيره .

وقوبل جونكر مقابلة ودية للغاية وانشرح صدره لوجود اليوزباشى كازاتى فى تنجازى وعقد النية هو والمذكور على أن يقيا بهذه المحطة مدة .

ووجد فيها أيضا صندوقا مرسلا من المدير أمين بك وبه كمية من الجرائد وجملة أشياء كان محتاجا لها . وعلم فى الوقت ذاته ان أمينا بك سافر الى الخرطوم فأسف لذلك أسفا عظيما لأنه فى رحلته الأخيرة كان قد ألم بما فى الاماكن التى اجتازها وكان يرى ان ابلاغ ما علمه قد يفيد بلا ريب أمينا بك إلا أنه كان يستصوب ابلاغه ذلك شفويا لصعوبة

إبلاغه إياه كتابة .

وتلقى أيضا مكاتيب من الخرطوم من جيجر باشا وكيل حاكم دار السودان وكذلك من لبتون بك مدير بحر الغزال . وكانا قد علما ان بمض متاع جونكر قد سرق فمرضا عليه أن يمدها بما يلزم من الخدم . وكان حواش افندى قد رد اليه ذلك المتاع فأضحت خدمتها له غير لازمة . واقتصر على أن يطلب من لبتون بك ان يتكرم ويبعث له بحمار في « ديم سليمان » . وان يزود رفاعى افندى مأمور مركز بحر الغزال الشرقى بالتعليمات اللازمة ليسهل عليه ما رتبته في الريادة التي أزمع على القيام بها في تلك المنطقة .

سفره من تنجازى الى ريادة ثم عودته اليها

وأقام جونكر ثمانية أيام في تنجازى قضاها في هناء وسرور مع كازانى وتبادلا مع بعضها مختلف خلاصات جولاتهما . وسافر منها ثانية في ٢٥ فبراير ومر بقرب محطة لشيخ من معارفه يقال له « نيانجارا » Niangara قائمة على مرتفع فلم يجد أحدا مشرفا على حراستها أو حراسة ما بداخلها وكان جميع الأهالى قد هجروها وذهبوا للعمل في المزارع . ويقول جونكر ان ذلك دليل لا يرد على استتباب الأمن في تلك الربوع .

وفي ٢٧ فبراير وصل الى حى شيخ يقال له ماقاصا Makassa وهو من معارفه القدماء . وهذا الرجل يجيد التكلم باللغة العربية لأنه كان قد قضى مدة طويلة في خدمة العرب فأكرم مشواه . وتابع رحلته في اليوم التالى ومر بشيخ آخر يسمى جبارى Gambari وكان له به

معرفة سابقة فقراه . وكان منزل حواش افندى على مقربة من قرية هذا الشيخ فبادر وأرسل إليه من قبله رسولا يبلغه خبر قدوم جونكر ويرجوه الحضور . وأسرع حواش افندى بالقدوم حالما علم ذلك وبعد أن لبث هو وجونكر بمض ساعات في ضيافة جبارى سافر الجميع الى محطة كوبي محل اقامة حواش افندى وهي واقعة على بعد ٢٠ دقيقة .

وأقام جونكر في كوبي لغاية ٣ مارس وتابع السفر في التاريخ المذكور بعد أن أخذ كفايته من الحمالين . وكان حواش افندى قد سافر ايضا للقيام بجولة للتفتيش وكان الاثنان قد تواعدا على الالتقى في محطة جانجو . وبلغ جونكر هذه الناحية في ٨ منه ولما لم يجد بها حواش افندى استمر آخذا في طريقه ميما وجهه شطر الشيخ كودابو Kodabo الواقع منزله على مسافة ساعة واحدة من المحطة . أما حواش افندى فوصل في اليوم التالى ليسوى بعض المسائل عند الشيخ البادى ذكره .

وبارح جونكر منزل كودابو في ١١ مارس وبعد ان ارتاد بعض الاقاليم رجوع الى محطة كوبي بعد ان غاب عنها ٢٠ يوما . وزايل هذه المحطة في ٦ أبريل ليقوم بجولة واسعة النطاق بلغ خلالها الغابة الكبرى التى يقيم بها مشاهير الافزام . ثم عاد ولم يدخل في تنجازى إلا في ١١ يوليه وذلك بعد غياب أربعة أشهر ونصف شهر جاب في غضونهما ٦٠٠ كيلومتر تقريبا .

وأقام في تنجازى في أكواخ حواش افندى وكان هذا عندئذ غائبا يتفقد أحوال مراكز الغرب وتنفس الصعداء إذ وجد فيها كازاتى الذى كان قد قفل راجعا من ريادته .

سفره الى ريادة أخرى والى مديرية بحر النزال

وكان جونكر قد أصابه الاعياء والتعب من جراء هذه الريادة الطويلة وحدث أيضا بجسمه جروح تستوجب العلاج فاضطر أن يطيل مدة اقامته في تنجازى لغاية ٨ أغسطس . وفي نفس هذا التاريخ استأذن من كازاتي وتركه في المحطة واتخذ سبيله ميمما شطر الشمال الغربي موليا ظهره لآخر مرة بلدة ميمتو التي يصف جنس سكانها بأنه أعرق الاجناس بين سكان أواسط افريقية في المدينة .

ويجتاز الطريق الذي مر به جونكر مملكة مامبانجا القديمة لغاية محطة حواش افندي الأولى . وكبير هذه المملكة حالا اميتيا Mbittima الذي خلف مامبانجا . وفي اليوم التالي لسفره قابل حواش افندي وقد كان ذاهبا ليقمع ثورة شبت نيرانها في بلاد الابرامو . وعلم جونكر ان مامبانجا فتح باب الكلام طالبا معاوته لكي يسترد مملكته القديمة .

ووصل جونكر بعد أن فارق حواش افندي بستة ايام الى المحطة الاولى من المحطات التابعة لهذا الاخير ورأى الخطى الواسعة التي خطتها هذه المحطة في سبيل التقدم من بعد زيارته الاخيرة لها .

ورأى بها ذلك الشيخ الهرم مبورو ولم يزل هاشا باشا كعمده به في المدة السابقة ولم يدعه إلا بعد ان عبر به نهر « وليّه » سليما طيبيا في ١٤ أغسطس .

وفي ٢٨ أغسطس بلغ جونكر محطة صغيرة أنشئت حديثا في بلاد المادى

بها ١٥ جنديا سودانيا بقيادة رجل يقال له سليم افندى . وأقام بهذه المحطة ثلاثة ايام وسافر منها في اول سبتمبر ووصل عند شيخ يقال له ياباتي في ٧ منه . وفي هذه الجهة تلقى خطابا من كازاني ينبئ فيه بعودة أمين بك من الخرطوم الى لادو واعتماده زيارة بلاد ممبتو قريبا . وهذه الزيارة لم تحدث في الواقع ونفس الأمر إلا في العام التالي . وأخبره كذلك ان حواش افندى عين نهائيا مديرا لمديرية ممبتو .

وفي ١١ سبتمبر من عام ١٨٨٢ م فارق جونكر « ياباتي » Yapati وقام بزيارة في مديرية بحر الغزال ولبث بها الى آخر هذا العام .
ولهذه الرحلة تنمة نذكرها في الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ - ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديريةية خط الاستواء

القسم الثالث

من أول يناير لغاية آخر ديسمبر

سافر كازاتى فى أواخر ايام العام السالف من تنجازى ليقوم بزيادة
أخرى فى بحر الغزال . وبعد أن غاب ستة أشهر عاد ثانية الى تنجازى
فى ٢٨ يونيه سنة ١٨٨٢ م .

وفى خلال غيابه هذا استجدت حوادث أخرى .

فقد سافر امين بك الى الخرطوم فى شهر مارس اجابة لدعوة رءوف باشا
حكمدار السودان العام الجديد . وكان جواش افندى قد دخل فى
مفاوضة مع الرئيس جببارى اثناء هذه الغيبة وفكر فى أن يحاول
بالتواطىء مع مامبانجا احتلال مملكة أنجيا وسولت لمامبانجا نفسه الاستيلاء
على عرش مملكة أنجيا فوطىء بنعليه كل خلة حميدة وارضى أن يذهب
لقتال خاله وولى نعمته أنجيا .

وبعد أن تم هذا الترتيب فى شهر أغسطس هاجم جيش المغيرين
المؤلف من عرب وأتباع جببارى مملكة أنجيا ولم يشترك فى هذا

القتال الجيوش النظامية .

وفوجيء أنجبا بهذه الغارة فلم ير مناصا من التسليم والخضوع وعلى ذلك قرر حواش افندى خلعه عن عرش ملكه وأحل محله مامانجا .

ولما بلغ هذا الحادث أمين بك أمر باستدعاء حواش افندى واستدعاء كاتبه عمر افندى عارف وألغى هذا القرار .

وفي نوفمبر سنة ١٨٨٢ م اتخذ كازاتى سبيله فى السير من جديد قاصدا زيارة الاقطار التى لم يستطع ارتيادها فى رحلاته السالفة بسبب ممانعة أنجبا وقضى فيها بقية العام .

ولهذه الرحلة تنمة نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٣ م

من

حكمدارية أمين باشا

انقطاع المواصلات بسبب السدود

واجراء تغييرات بين الموظفين في مختلف المحطات

يلوح أنه لم تحدث حوادث ذات بال في الشهرين الأولين من هذا العام في حكمدارية أمين بك ويظهر أنه كان مقيماً في خلالها في لادو .

وأول حادث هام حدث في السنة المذكورة هو وصول الباخرة تلحوين في ١٦ مارس من هذه السنة . ومن النادر جداً أن تصل باخرة من البواخر حتى انه متى قدمت واحدة منها ينشأ من قدومها حركة غير عادية في لادو بسبب ما تجلبه من البضائع وتحمله من الأخبار .

وتتضح تلك الاهمية من البيان الآتي المدون به عدد البواخر التي قدمت في ظرف ٥ سنوات (١) ابتداء من عام ١٨٧٨ لغاية عام ١٨٨٤ م :—

(١) — يتضح من هذا البيان ان عدد السنين سبع لا خمس وقد أسقط من العدد عام ٧٩ و ٨٤ اللذان لم يرد فيهما بواخر .

في ٣ يونيه	سنة ١٨٧٨	وصلت الباخرة الصافية
» ٣ ابريل	» ١٨٨٠	» » بردين
» ٥ اغسطس	» ١٨٨٠	» » بردين
» ١٤ يناير	» ١٨٨١	» » امبابه
» ١٩ »	» ١٨٨١	» » بردين
» ٤ يوليه	» ١٨٨١	» » الصافية
» ١٨ ديسمبر	» ١٨٨١	» » بردين
» ١٣ يوليه	» ١٨٨٢	» » الاسماعيلية
» ١٦ مارس	» ١٨٨٣	» » تلحوين

والسبب في قطع هذه المواصلات مددا طويلة السدود التي تقف حجر عثرة في سبيل الملاحة الأمر الذي ينشأ منه وقوف حركة تقدم الحكمدارية وعماريتها .

وكانت الباخرة تلحوين تحمل على متنها عثمان افندى لطيف وكيل المدير الجديد المين محل ماركو بولو واحمد افندى رائف وهو من معاونى الحكمدارية . وهذه الباخرة هي خاتمة البواخر التي قدمت من الخرطوم .

وفي ١٤ ابريل رجعت تلحوين وعلى ظهرها نجيت بك بتراكي و اسماعيل افندى خطاب و ٥٠٠ قنطار من العاج . وفي هذا الوقت قدم اليوزباشى كازاتى الى لادو . وراه فيتا حسان لأول مرة عند أمين بك وتعرف به . وباشر أمين بك حينئذ القيام بتغييرات جمة بين المستخدمين في مختلف المحطات واستغنى الحال عن مرجان افندى الدناصورى قومندان محطة فويرا سابقا . وكانت هذه المحطة قد أخليت من الجنود . وعين

ابراهيم افندى حليم الذى كان فيما سلف قومندان فاديبك رئيسا لمحطة
لابوريه وعين على افندى جبور رئيس هذه المحطة الاخيرة قومنداننا
لجنودها .

تمرد الدنكاويين وكبح جماحهم

وقامت بذهن مرجان على افندى قومندان مركز رول وأخذ
اهالى بارى وكان فى بادىء الامر ترجانا لا أكثر وعين مباشرة فى هذه
الوظيفة ، فكرة مشثومة وهى الشروع فى القيام بغارة ضد بلدة طائفة
دون أن يأخذ بذلك أمرا . وكانت النتيجة ان تألب عليه الدنكاويون برمتهم
فانقلبت عليه الآية والتوى عليه الأمر وأيد هو ورجاله على بكرة أيهم .
وأرسل عندئذ محمد افندى الصياد قومندان دوفيليه الى رول ومعه فصيلة من
الجند مؤلفة من حامية المحطات التى أخليت .

وفى أوائل مايو سافر أمين بك من لادو لتفقد مركز ممبتو الذى
ألحق بحكمدارته وكان لم يره الى هذا الحين ورافقه فى رحلته هذه
كازاتى . وبما ان عثمان افندى لطيف وكييل الحكمدار الجديد كان قد
قدم الى الحكمدارية من عهد قريب ، فقد قال امين بك لقيتا حسان انه آسف
لعدم أخذه معه لأنه يؤثر ان يتركه مع وكيله ليساعده فى إنجاز الأعمال بفضل
خبرته .

وبعد سفره بأيام قليلة ورد الى لادو نبأ تمرد الدنكاويين واندلاع لهيب
الثورة فى رول مرة ثانية وابداء حامية محطة جوك مختار برمتها واهلاك
قسم من حاميات محطتى رومييك وأجسك والذين بقوا من حاميات هاتين

المحطتين الاخيرتين استطاعوا النجاة والانضمام تحت قيادة محمد افندى الصياد قومندان المركز .

وبلغت هذه الاخبار في الوقت نفسه أمينا بك . وفي الوقت الذي بارحت فيه لادو حملة مؤلفة من ٩٤٠ جنديا مسلحين بينادق رمنجتون ومدفعين جبليين بقيادة اليوزباشى سليمان افندى السودانى وهو ضابط باسل شجاع بقصد معاونة جنود رول ، كان أمين بك من جهة أخرى قد بعث ابراهيم افندى جورجورو قومندان مكرাকা ومعه ٦٠٠ رجل بعضهم المساكر غير النظاميين والبعض الآخر من السودانين .

وكانت جنود الحكمارية في هذا الحين مؤلفة من ٢٠٠٠ رجل منهم ١٠٠٠ من المساكر النظامية و ٥٠٠ خطرى و ٥٠٠ من التراجمة . ومع ذلك لم تكن هذه هي القوات الوحيدة التى يمكن الحكمارية أن تستند عليها بل عندما تشبك في قتال مع قبيلة أظهرت العصيان وأبدت روح التمرد تنضم رجال قبيلة اخرى برضاها واختيارها الى رجال الحكومة وتحارب في صفوفها . ولأولئك الرجال في ذلك فائدة مزدوجة وهى الدفاع عن نفس أراضى مملكتهم لأنه لو انهزمت جيوش الحكومة التى تحميهم بمالها من الحول والطول فالظافرون يفزون ببلادهم . أما اذا انتصرت الحكومة بهمة الزنوج فهؤلاء يشنون الغارات على البلد المقهور ويرجعون منه بالغنائم وخصوصا الانعام التى هى أجل مطلب تصبو اليه نفوسهم .

وطلب أمين بك عدا الستمائة الذين أرسلهم لمحاربة الدنكاويين الذين نشروا راية العصيان الى لبتون بك مدير بحر الشمال في الوقت نفسه

أن يبعث بنجديات الى ميدان القتال . ومما قاله له في خطابه ان جنود بحر
الغزال تستطيع ان تنهز هذه الفرصة لتجذب لمديرتكم قطعان الماشية التي
تنقصها كل النقصان .

وعلى ذلك أرسل لبتون بك ٤٠٠ خطرى بقيادة مختار افندى وهؤلاء
انضموا الى جيوش أمين بك وبانضمام هذين الجيشين الى ما تبقى من حامية
رول بلغ عدد الجميع ١٢٠٠ رجل منهم ٧٠٠ جندي من الجنود النظامية والخطرية
و ٥٠٠ مساعد من الزوج .

وسارت الحملة من أجاك حيث كان قد تم انضمام هذه القوات
جميعها وانتهت باخضاع الدنكاويين التام بعد محاربة استمرت ثلاثة شهور
واستولى الجيش على مبلغ كبير من الفنائم وأرسل مقدارا كبيرا منها الى
بحر الغزال مع جنود لبتون بك وكان هذا قد أرسل ايضا الى أمين بك
١٧٠٠٠ ظرف جبخانة .

واستمر أمين بك في سفره لتفقد الاحوال في مركز ممبتو اتباعا
للخطة التي كان اختطها ووصل الى ذلك المركز في شهر يولييه . وقتش
محطتى تنجازى و « بليما » Bellima وأمر باعدام الرئيس الزنجي الطائر
الصيت مامبانجا . وبينما هو يتأهب لافتتاح طريق جديد من جانجوا الى
واندلای Wandelai إذ جاءه نبا قطع المواصلات مع محطة شمبي بفعل رجال
الدنكا .

ولا يعلم بالتدقيق ماذا حل بحامية هذه المحطة ويروى بمضهم ان
الدنكاويين دمروها تدميرا ولم يبقوا على أحد من رجالها . ويروى البعض الآخر

انه امكنا الاقلاع مع قائدها والتوجه الى الخرطوم طلبا للنجاة .

وتلقى أمين بك هذا الخبر وهو في تنجazy فمجل بالاياب الى لادو تاركا وراءه اليوزباشى كازانى . ودفعت الوقاحة رئيسا من الرؤساء الزوج الى قطع الطريق بين ممبتو ومكراكا على السابلة ونهبهم وسبي من قدر عليه من النساء حتى بلغ من أمره ان قبض على ضابط وحجزه اسبوعين .

ولعدم استطاعة امين بك احتمال مثل هذه الحالة انذره وشدد عليه بالثبول أمامه فأبى . فوجه عليه قوة حاصرته في قريته وألقت القبض عليه واخذته أسيرا وغنمت عشرين بندقية من البنادق التي كانت في حوزته وعددها خمس وثلاثون أما هذا الرئيس فأرسل الى احدى المحطات الشرقية حيث أودع غيابة السجن .

ولدى وصول امين بك الى لادو وجد التذمر باديا على وجوه جنود المحطة من قائدهم عبد الوهاب افندى طلعت لشدته فأحل محله اليوزباشى على افندى سيد احمد وعين عبد الوهاب افندى معاونا اول للمديرية ثم أمر ابراهيم افندى جورجورو ان ييارح مركزه مع ثلة من جنوده ليفتح المواصلات مع شمبي لكي يتحقق مما حل ربوعها لأنه لم يرد الى ذلك الوقت ما يثبت أو ينفي خبر تدمير حاميتها . ولم تتخذ هذه التدابير مراعاة لشدة ميسس الحاجة الى تلك المحطة بل لمعاقبة الزوج بنوع أخص حتى لا تظن البواخر القادمة من الخرطوم لدى رؤيتها مدمرة أن التمرد ضارب اطنابه في ارجاء الحكمدارية .

وأصدر امين بك امرا الى عبد الوهاب افندى طلعت عندما كانت

حامية شمبي وحدها محاطة بالثوار وفرغت مؤونتها ، أن يدها بالمؤونة من محطة بور .

ونظرا لعدم وجود باخرة أطلع عبد الوهاب افندى ومعه ١٢ جنديا على ظهر سفينتين لتتيم هذه الأمورية وتركها تنحدران مع التيار بدون أشرعة . ومع أنه من أمـد مديد لم ترد أية باخرة ولا أى خبر من الأخبار ومع الجهل التام بالمسائل المخزنة التي كانت تقع في أنحاء السودان كان لم يزل هناك أمل في قدوم باخرة .

مكاتبات من امين بك يصف فيها حالة الحكمدارية
بعد ثورة المهدي

وانتقل فيتا حسان الى الرجاف في شهر سبتمبر ليتفقد جنود هذه المحطة . وبعد ان قفل أمين بك راجعا ودخل لادو تلقى قبيل منتصف الشهر المذكور مكتوبا من جونكر صادرا من ممبتو يطالب فيه امداده بالأخبار فرد عليه بتاريخ ٢٠ منه يقول انه كان سافر الى ممبتو ومنها أعلم الاهالي طورا أن طريق لادو مفتوحة أمام كل من كان له شكاية ، وأن مامبانجا قضى نجبه - والحقيقة ان امين بك أمر بقتله فقتل وسيرى القارىء في رحلة جونكر ان هذا يلومه على فعلته هذه - وان في انقضاء اجله خلاصا من مشاكله لأن في وجوده تهديدا مستمرا للبلد ، وان مامبانجا أقسم في الواقع ونفس الأمر ان يقتله هو و جونكر و كازاتي . وقال علاوة على ذلك انه لم يأتته من زمن بعيد أخبار من الخرطوم وانه يخشى ان تكون الحوادث انتقلت من سىء الى أسوأ .

وبما ان السفر من طريق بحر الفزال قد يكون خطرا وجه امين بك الى جونكر النصح بأن يحضر رأسا الى لادو ومن هذه يمكنه الرجوع بسهولة الى أوربا عن طريق أوغندة . وقد شكره جونكر على نصيحته هذه وقال انه سيعمل بها .

وفي ١٩ أكتوبر كتب امين بك الى الطبيب شوينفورث Scheinifurth رسالة ينثه فيها بمودته الى لادو التي وجدها مغمورة بماء النيل الذي ارتفع عن مستوى فيضان سنة ١٨٧٨ م الحارق للمادة . ويقول ان جنوده لم تزل للآن ضاربة في بلد الدنكاويين . أما هذا البلد ففي وداعة وهدوء ومثله بقية أنحاء الحكمدرية والكل يسير تدريجا في سبيل التقدم والرقى وانه يأمل أن يرى إيراداته تربو على زهاء ١٢٠٠٠ جنيه مصرى على مصروفاته في هذا العام .

وفي ٢٩ نوفمبر كتب امين بك مرة أخرى الى الطبيب شوينفورث يخبره أن الأحوال سائرة سيرا رديشا في بحر الفزال حيث قسم المديرية الشمالى برمته قد نشبت فيه مخالب الثورة وانبث في أرجائه روح التمرد . وان لبتون بك فقد في الحرب التي أدار رحاها على الثوار العدد الأكبر من زهرة جنوده الذين لم يكن عددهم من قبل وافرا وفرة كبيرة . وأن الدناقلة ينشطون للاتصال بالمهدين في كردفان . وان الرقيق يباع بالأثمان الآتية وهي : الصبي الواحد يباع بـ ٣ دست ظروف جبخانة و الخمس البنات يعن ببندقية واحدة من طراز رمنجتون .

تقرير بموارد مديرية خط الاستواء

وكتب أمين بك في هذا العام مذكرة عن موارد حكمداريته وهذه نسخة منها :

« لقد تحقق أن أهم موارد ميزانية السودان هو العاج . وأن الذى يرد منه من المنطقة الجافة والجبلية الواقعة شرقى النيل هو أصلب أنواعه ولذلك هو أغلاه ثمنا وأكثره طلبا . وفى عهد غوردون تقررت ملكية الحكومة لهذا الصنف بجملته مع ان تجارته ظلت حرة فى بلدى أوغندا و الاونيورو وغيرهما . ولهذا السبب بات وجود أى مشروع خاص يرمى الى استغلال هذه المادة مستحيلا . وبما أن هواة العاج من العرب والأوربيين لم يعودوا الى الآن المحبى بأنفسهم ليمتاروا منه حاجاتهم من مصادره فقد انحصر اتاج السودان فيما يورده الاهالى من قناصى الفيلة ولذا نما وكثر هذا الحيوان فى جميع أنحاء مديرية خط الاستواء بالذات بحيث اضحى فى كثير من الاماكن كارثة حقيقية . أما فى قسم بحر الغزال الشمالى فقليل الوجود .

« والسبب فى استمرار وفرة المعروض من العاج للتجارة يرجع الى أن البلاد الممتدة لشرق الجنوب والغرب بعد الحدود المصرية بمسافة كبيرة ضرب عليها جزية توردها من هذا الصنف ومع هذا فقد لوحظ وجود نقص محسوس فى كميته منذ بضع سنوات .

« وتورد مديرية خط الاستواء سنويا زهاء ١٢٠٠ قنطار من العاج يبلغ ثمنها ٣٠٠٠٠ فرنك . ومن الصعب تحديد الكمية التى توردها مديرية

بحر الفزال وما ذلك إلا لأن العاج الذى يصدر الآن الى الخرطوم لا يحتوى على الانتاج الحقيقى فحسب بل يشمل المقادير المتكدسة منه من زمن مديد وهو العاج الذى كان أصحاب الزرابى قد جمعوه فى الزمن السابق مثل الزبير باشا و على عمورى وغيرهما .

« ومع ذلك فقد يعرض المرء نفسه لخطر الوقوع فى الخطأ لو قصد الحكم على قوة انتاج البلد مرتكنا على محصول العاج دون سواه . أما مصروفات الادارة فباهظة وستزداد مع توالى اتساع الأراضى . وطريقة الاحتكار الضارة التى يئن تحت أثقالها حوض البحر الأبيض بأكمله هى عقبة كآداء فى طريق الاستثمار وبالتالي فى سبيل زيادة الايرادات من وراء الضرائب على التجارة أو الزراعة . وسيأتى بلا ريب يوم قريب لا يقوم فيه العاج بالمصروفات التى ستكون هى الأخرى قد اخذت دورها فى الازدياد .

« ويتكون من اسنان فرس البحر و الكركدن مادة لا تقدر لها قيمة كبيرة إلا أنه سيأتى يوم غير بعيد يزداد فيه ثمنها وفى استطاعة مديرية خط الاستواء أن تورد من تلك المادة مقادير كبيرة إذا وجد لها مشتر .

« واذا كان النعام يندر وجوده غرب بحسر الجبل لوجود الغابات ويوجد شرقه بأسراب عديدة ابتداء من لا توكا فقد لا يراه الانسان يتناسل بكثرة أكبر من التى يراه بها فى رمال سهول لانجوى . ويبادل أهالى هذه المنطقة الأقوام الرحل الضارين بجوارهم ريشه بجديد . وكثيرا ما يرى الانسان فى القرى الكبيرة البعيدة الواقعة فى الجنوب الشرقى زرائب

للنعام يسرح فيها صباحا ليرعى ثم يرجع في العشى مع الحمير والثيران .

« ولا يقل ريش نعام تلك المنطقة عن أحسن ريش للنعام في كردفان بهاء وجمالا وقد يصح اتخاذه مصدرا لتجارة واسعة النطاق . وفي عام ١٨٨١ م أى منذ عامين جربت تربيته في المحطات غير ان هذه التربية لم تأت بشمرة عظيمة الى الآن ويمكن أن يعزى السبب في ذلك الى صفر سن أفراخه الذى يحول دون استعمالها للتناسل وهذه التجارب تستوجب على كل حال لفت النظر لأن ثمن صغار النعام زهيد للغاية وتربيتها تدرك بسهولة كبرى بحيث أن استغلال مشروع من هذا النوع لا يستلزم رؤوس أموال طائلة ومن جهة أخرى يأتي بفوائد مرضية .

« ولا حاجة للكلام بصدد تشجيع تربية النحل في المناطق المأهولة بالزئوج لأن النحل يتربى هناك وحده بدون أية عناية . فالأهالى يكتفون بتعليق سلال في الأشجار وهذه السلال إما أن تكون مجدولة كما يفعل الدنكاويون و المكراكاويون أو مصنوعة من قشور الأشجار كما يفعل سكان الجنوب . ومن المعتاد تعليق سلة واحدة في كل شجرة وقد يعلقون مع ذلك في بعض الأحيان عدة سلال . والمهم أن تكون السلال متفرقة عن بعضها فلا توضع الواحدة منها بجانب الأخرى . ويطيب النحل نفسا بالمأوى الذى عرض عليه ويأخذ على عاتقه تادية وظيفته . وحالما تمتلئ سلة يطرد منها النحل باطلاق الدخان عليه ثم يجنى الشهد وتختلف أنواع هذا الشهد باختلاف النواحي التى يصدر منها واختلاف طرق تحضيره . فشهد دنكا ومكراكا قائم اللون حتى يكاد يكون اسود والسبب في ذلك انه يصفى بواسطة النار . وأجوده ما تصدره البلاد الجبلية فهذا يكون

طيب الرائحة كثيرا ورائقا كالماء .

« أما الشمع فلا يستعمل في شيء وكل ما في الأمر أنهم يتخذون منه مشاعل وهذا في القليل النادر . ولم تقع عيني على واحد من الأهالي يأكل منه بل كل ما هناك انه يلتقى في الارض بعد استخراج الشهد منه . وقد استودعت في ظروف كثيرة بالمخازن اكدا من فتلقت واستحال نقلها وصيرتها الديدان غير صالحة لأي شيء ولو كان مسموحا للتجار شراء الشمع لكانت الحكومة هي أول من انتفع من هذا الشراء .

« وقد تكفى جلود الثيران التي ينحرها الجيش وحده لتغذية سوق الخرطوم . وبضم جلود ما يستهلكه الاهالي من هذا الحيوان لها وكذلك جلود الضأن والمعز التي لا يستفاد منها شيء ، يتكون من مجموع ذلك كمية هائلة . على أن تكاليف النقل قد تزيد في ثمن الجلود الأصلي زيادة محسوسة غير اني أرى انه في حيز الاستطاعة التخص من جزء منها وذلك بدبغ الجلود في أماكن تصديرها . وقما توجد بلاد تضارع افريقية الوسطى في غناها بمواد الدباغة . ولا شك أنه لو عملت تجارب لعادت من ورائها ارباح طائلة . وتستعمل أكثر الجلود في الوقت الحاضر لحزم البضائع بحجة ان هذا الصنف لا يجد تصريفا في الخرطوم .

« ولا شيء أسهل من الحصول على جلود الجاموس والأوعال والزرافي . وحيث انه لا يوجد لها طالب بتاتا فستعمل في نفس البلد لعمل الاحذية والقرب وغيرها وكذلك الحال في جلود الكركدن إذ تستعمل لصنع السيور والسياط « الكرايبج » .

« أما الثراء فلا يخطر على بال انسان هنا أنه من المستطاع جنى أية فائدة منها . وبصرف النظر عن الكلام بصدد الحيوانات المفترسة الكبيرة كالاسد والنمر والسباع الاخرى فانه يوجد في سائر المنطقة كميات لاعداد لها من الحيوانات الاقل من الأولى حجما مثل النمس والسنور وغيرهما من الحيوانات ذات الجلود الثمينة . ولا بد أن اذكر بنوع أخص ضربا من كلاب الماء يسمى لوتر Loutre وهو كثير الوجود في جميع مجارى المياه الكبيرة وجلده ينافس في النعومة والجمال جلد أحسن نوع من هذه الكلاب يسمى كاستر Castor . ولا يمكن غض النظر عن الكلام عن بعض أنواع القردة مثل كولوبوس كويريزا Le Colobus Quereza والأوعال المختلفة المبرقشة مثل تراجيلافوس اسكربتوس Le Tragelaphus Scriptus و السيلافوس بوباليس L'Alcelaphus Bubalis و الزرافة و حمار الوحش وليكاون بيكتوس Le Lycaon Pictus وكل هذه الجلود قد يبيعها الأهالى بثمن بخس ويوردون منها كميات لا عداد لها وأضيف الى ما ذكر الخراف والمعيز ذوات الشعر المستطيل التي ترد من نواحي امسوجا Msoga وبلاد اللورين وهي تشبه معيز أنقرة .

« وقد تستطيع قطعان الثيران الهائلة التي ترعى في المناطق الجنوبية أن تغذى اسواقا واسعة للحيوانات المعدة للذبح اذا كانت الأهالى لا يبدون اشمزازا ظاهرا من بيع دوابهم . أما حالة مديرية بحر الغزال فقد يعد فيه المالك لبقرة واحدة من أسعد السعداء ، والماعز والضأن في ذلك المركز قليل الانتاج . وقد أضحت الغارات منذ أربع سنوات مستحيلة الوقوع في خط الاستواء بالذات . ولقد يجنى المرء بلا جدال فوائد جمة من

وراء تربية المواشى فى أرجائه اذا أحسن تربيتها .

« وما يستحق الذكر الحمير والجمال . ويوجد هذان النوعان فى الشرق والجنوب الشرقى . وفى حيازة كل قرية من قرى عموم قسم الانجو Lango الواسع الارجاء والممتد من عكارا Accara الى طوركانى Tourcani قطمان كثيرة من الحمير لا ينتفع أربابها منها بغير لبن لأنها . ولم يخطر ببال انسان من سكان هذا القسم المفتحة سبله فى وجوهنا أن يستفيد من هذه الحمير بعمل ما . وحمير لادو متوسطة القدود وأرجلها بيضاء وبأكتافها شيات سوداء . وقد صار اختبارها فأسفرت التجربة عن صلاحية عودها صلاحية لا بأس بها وصبرها على المشاق متى كان هناك اعتناء بها . ولقد بوشرت تربيتها فى مديرية خط الاستواء ابتغاء تصديرها الى بحر الغزال حيث تباع بأثمان بخسة .

« ويؤدى الجمال نفس عمل الحمير فى شمال هذه المنطقة عند أهالى الجالا Galla الغربيين . وليس من النادر ان تقع العين هناك على قطمان يحتوى القطيع منها على ٥٠٠ الى ٦٠٠ رأس من الجمال . والعبرة عند أولئك الأقوام بالالبان لا بنفس الحيوان . نعم ان الاراضى الرملية المترامية الاطراف ذات الاشجار الضئيلة والآبار المالحه الواقعة فى ذلك التيح صالحة صلاحا تاما لمعيشة الجمال إلا أن القليل النادر فقط من العدد الذى أحضرته منها الى الرجاف ظل محتفظا بخواصه :

« ولقد حاولت من زمن بعيد أن أدلل على المنافع التى ينتظر أن تجنى من وراء تمويد الجاموس الأليف مناخ البلاد إلا أنى لم اتوصل الى الآن لأن اظفر بواحدة منه مع أن شوارع الخرطوم لا تخلو من وجوده .

ويوجد لدينا كل ما يلزم لفلاحة ونموه تحت سماء إقليمنا من حر وماء وطين ومراع أعشابها مرة المذاق . ومن جهة أخرى فإن هذا الحيوان المسخر لا تتطلب تربيته إلا الشيء التافه جدا ولا يستطيع المرء ان يتصور وجود حيوان مسخر للخدمة أوفى منه بحاجة اناس ران على طبيعتهم الكسل وتأصل في نفوسهم كالأمّة السودانية . وعلاوة على ذلك لو وجد الجاموس لكان للاهالى من ألبانه غذاء فاخر .

« ان تجارة الحيوانات البرية الحيّة قد انتشرت بسرعة على سواحل افريقية بواسطة سهولة النقل ومع هذا لا يخطر على بال بشر أن لدينا هنا من الحيوانات ثروة لا يستهان بها . وما علينا إلا أن ننظم الملاحة لغاية الخرطوم وهناك لا تلبث الأسواق الخاصة بالحيوانات أن تجد من حيواناتنا الأهلية أنواعا عديدة مختلفة . وطلبات هذه الأسواق وحدها كافية لأن تبث في هذه التجارة الخصوصية الروح والحركة .

« ومن الجبوب التي تزرع هنا بكميات كبيرة الذرة والطلابون والدخن والسمسم . ومن الصعب تحديد مقادير حاصلات هذه الأصناف في مديرية خط الاستواء بالارقام حتى بوجه التقريب . غير انه لو أطلق الانسان لنفسه عنان التفكير في أمر هذه الجبوب التي هي أساس التغذية في منطقة تمتد لغاية الدرجة الثانية من خطوط العرض الشمالية بل وكثيرا جدا ما تقوم بجميع التغذية ورأى المقادير الكبيرة التي تؤخذ منها لعمل المريسة وهي الجمعة الأهلية وعابن الأضرار الجمّة التي تحدثها عشرات الالوف من العصافير والطيور والقطعان التي لا عداد لها ، لاقتنع بجسامتها .

« ومن رأى ان تصديرها قد يمود بفوائد وإن كانت الأثمان التي تباع بها بخسة . ومن الممكن على كل حال استعمال الجيوب للتقطير في كل وقت وزمن . ولا بد من التصريح بأن الأهالي تلهم مع تمام الارتياح كميات الكحول الهائلة التي ترسلها مصر سنويا باسم عرقى ومشروبات روحية وغير ذلك .

« ولماذا لا تقطر الجيوب في مجال مصادرها بالذات ؟

« ان بعض التجارب التي أقدمنا عليها لم تأت إلا بمحصول درجته منخفضة كثيرا . ومما لا ريب فيه اننا يمكننا الوصول الى انتاج أحسن إذا أحسنا وسائل التقطير . وتجدود النرة التي يستخرج منها الكحول الفاخر تحت سمائنا جودة عجيبة وتزداد المساحات التي تزرع فيها مع توالي السنين . ويزرع علاوة على هذا الحب أنواع متنوعة من الفاكهة والنباتات التي يجذورها غدد كالبطاطس .

« ولقد تيسر للسير صمويل بيكر استخراج الكحول من البطاطا ويتعاطى الزنباريون المقيمون في أوغندا بكثرة نوع العرقى المصنوع من الموز . وكل أنواع هذه المشروبات لها طعم يوافق أذواقهم وخدم وهو في الحقيقة طعم غير مقبول ويمكن أن يعزى ذلك الى عدم اتقان الطرق التي تستعمل في تقطيره .

« وظلت تجربة زراعة الحنطة للآن غير مجدية . أما الأرز فقد أتى على خلاف ذلك بمحصول عسوس على مزارعيه أتعابهم تعويضا كبيرا . وفي عام ١٨٧٨ م تلقيت من أحد العرب في أوغندا رسالة صغيرة من الأرز

فاستعملتها في الزراعة للتجربة فأتت بنوع لا بأس به إلا ان حبه صغيرة ولونه ضارب للحمرة . وجرت بعد ذلك بذرة وردت من ديار مصر والأرز الذي نحصد اليوم لا يقل عن الأرز الذي يزرع في الوجه البحري في شيء . وتنحصر بالطبع الزراعة في حقول المحطات لأن الشعوب السوداء لا تصبو أنفسهم الى شيء من ذلك مطلقا . وترتضى هذه الأمم التي لم تزل على الفطرة الأولية بما كان عليه آباؤها وينبغي على الولد أن يقتنع بالحالة التي وجد عليها أجداده . واذا كان من النادر أن يرى الانسان زنجيا يربي عصفورا أو حيوانا من الحيوانات ذات الضرع فمن الأندر أن يراه مشتغلا بزراعة الأشجار أو الحدائق .

« وفي مقدمة المواد السامة التي تستخرج من النبات الشيرج لكثرة ما يستخرج منه ومع ذلك يضيع منه تماما الثلث لفساد الطريقة المتبعة في استخراجها ويتنفع به انتفاعا كبيرا وهو جديد ومتى أزمى ينقذ ويكتسب طما خاصا يذكر متعاطيه بطعم الفاكهة .

« ويأتى بعده زيت الفول السوداني وهو أفضل كثيرا من الأول رائق اللون صافي المادة ويبقى زمنا طويلا حافظا جدته بدون أن يتطرق اليه الفساد وليس له رائحة أصلا وهو أحسن الزيوت المعدة للطعام . وتنتشر زراعة الفول السوداني انتشارا كبيرا في سهول بلاد الدانكا الرملية الفيحاء بالخاص . ويكثر أيضا من زرعه أهالي بلاد السنده Le Sandeh و ممتد زراعته بالتدريج في شرق دوفيليه حيث الارض تصلح لنموه صلاحا كبيرا . وبما ان استخراج هذا الزيت يلقى صعوبة أكثر مما يلاقيه استخراج زيت السمسم فقد أتى محصوله بكميات أقل كثيرا مما ينبغي ان

يكون بالقياس الى وفرة مادة الزيت التي في الفول السوداني .
وأذكر بصدد الفول السوداني أمرا فيه شيء كثير من الغرابة . ذلك ان هذا
النوع وان كان بوجه عام مطلوباً ومستعملاً حتى ان الحيوانات نفسها
تنبش عليه وتستخرجه من بطن الأرض لتستلذ بمأكله إلا انه مشهور
في بعض النواحي بأنه ضار بالصحة ولذا لا يعتبرونه من المواد الصالحة
للغذية .

« ويستخرج من النبات المعروف باسم « ايتيس سيسيجيرا »
Hyptis Spicigera زيت لا بأس به ولذلك يزرع في كثير من الجهات
وهكذا الشأن في نوع من القرع صغير يقال له أمبريكة *Ombreké* يزرع
في مكراكا ويستخرج من بذوره زيت طيب للأكل .

« ولا ينبغي أن يفوتنا ذكر الشجر المسمى « الايس جينيسيس »
Elais Guiheansis . وزراعة هذا الشجر عامة في الجنوب الغربي من أراضي
خط الاستواء . وثمره يستخرج منه زيت غزير . ويظهر انه يوجد شمالاً
على مسافة أبعد في المناطق الغربية . وعثر لبثون بك على كميات كبيرة منه
عند الدرجة السادسة والدقيقة ٤٢ من خطوط العرض الشمالى والدرجة ٢٥
والدقيقة ٢٠ من خطوط الطول الشرقى من جرينوتش . وقد يمكن
الاستفادة من زراعة « الايس » وهأنذا في انتظار البذور الموعود بها بفارغ
الصبر .

« وجميع هذه النباتات يستخرج منها زيوت سائلة . وهناك شجرتان
تأتيان بدهن متجمد عندما تكون حالة الجو معتدلة وهما : ستيريوسبيرموم
Le Steroespermum و باسيا پاركي *Le Bassi Parkü* . ولا ينفع الزوج

أنفسهم بدهن الشجرة الاولى إلا في التدليك وذلك بسبب رائحته . أما تمر الباسيا الذى هو أشبه الأشياء بأبى فروة فيصنع منه دهن مليح للأكل وان كان مذاقه يشم منه رائحة الدخان . وزراعته منتشرة لهذا السبب لدرجة هائلة وقد رأيت من هذه الشجرة غابات مترامية الأطراف في الجنوب الغربى .

« والعينة التى بعثت بها الى الخرطوم لتجربتها في صنع الصابون نجحت نجاحا مينا ولذلك طلب منها مقادير كبيرة . وبما أن كميات الصابون التى تستهلك في السودان ترد جميعها من ديار مصر فأرى ان نشر صناعته هنا يأتي بفائدة . ونظرا لعدم العثور للآن على مورد للصودا في السودان فمن اللازم استيراد هذه المادة من مصر غير ان ثمن هذا الصنف زهيد لدرجة ان دفعه للخارج لا يكون مانعا ذا أهمية في سبيل هذه الصناعة .

« وفي الامكان جمع مقادير من الصنع العربى من غابات شجر اللبخ غير انه يلزمى بمناسبة ذكر هذا النوع من المحصول أن أجعل في المقدمة الكلام على المطاط وما ذلك إلا لأن النباتات التى ينتج منها وهى الكاربودينوس دولسيس *Le Carpodinos Dulcis* و الكاربودينوس أسيدوس *Le Carpodinos Acidus* منتشرة في جميع الأنحاء جنوب الدرجة الثامنة من العرض الشمالى وبالاخص بجوار مجارى المياه حيث تكسو احراش بأسرها التلاع . وقرر تجار الخرطوم الذين أرسلت اليهم عينات انها من النوع الجيد وذلك رغما عما بها من العيب لاحتوائها على جانب من الماء . وهذا أمر يسهل علاجه لأن ذلك العيب ناشئ من استعمال الماء الساخن ابتغاء سرعة

تجمد المادة ولا تتطلب المسألة شيئا أكثر من الالتجاء الى طريقة صنع أحسن من الأولى ويقبل الزوج على جمعه مع الارتياح عندما يوعدون بأجرة ضئيلة . وكثرة أشجار هذه المادة كثرة هائلة كفيلا بجنى محصول جيد مدى سنين عديدة . ولا بد أن تمس الحاجة بعد قليل الى تجديد الزراعة اذا امتدت تجارته وراجت . والمنطقة التي تورد المطاط في الوقت الحاضر بكثرة ممتو على ان الصنف الذي يرد منها أوطى من الذي يأتي من مناطق الدنكا الجافة إذ ان هذا يكون تام النقاوة وليست له رائحة .

« ويوجد غير ذلك أنواع كثيرة من المواد الزججة - البعض منها عطري الرائحة - وللاستفادة منها نتظر تحليلها تحليلا كيميائيا لتعيين استعمالها وقيمتها .

« ويكثر وجود التمرهندي وغلته جيدة وشحمه أقل حموضة من تمرهندي دارفور ومن ثم كان طعمه مقبولا أكثر منه . وقصب السكر يكثر وجوده جهة الجنوب في بلاد أوغندة ويزرع في سائر المحطات ويجود في جميع الاماكن التي يجسد فيها ربا كافيا . ويوجد القطن في جهات متعددة بأشكال خاصة ففي بلاد البارين مثلا يزرعون نوعا يقال له جوسسيوم *Gossypium* وهذا تبقى بذرته خضراء عند النضج ويثمر قطنا قتلته طويلة ناعمة كالحرير . وبفضل بعض الدناقلة الذين صنعوا أنوالا يتعيش في الوقت الحاضر عدد كبير من الناس من نسج الدامور وهو نوع من الانسجة القطنية ملائم لمناخ اقليم السودان .

« وما يستحق الذكر بطريقة أخص تبغ الاونيورو و لاتوكا . ومحصوله يرتبط طبعا باستهلاكه غير انه لا شيء أسهل من توسعة زراعته وانتشارها

لدرجة عظيمة .

« ويوجد البن بمقادير وافرة في أوغندة حيث لا يخطر بـفكر انسان تصديره . وينبغي تجربة زراعته في مراکزنا الجبلية . وزراعة جوز الطيب عامة في ناحية الجنوب وبالاخص في ممبتو . وقد يعثر عالم نباتى بسهولة على كثير من النباتات الاخرى لها قيمة تجارية . وهكذا يكون لدينا مجموعة كاملة من مواد النسيج ومجموعة من مواد التلوين وغير ذلك من مختلف المجاميع . فأمامنا ميدان رحب فسيح مفتوح الابواب للتجارة والصناعة وبالاخص في الجنوب ومن المرغوب فيه مراعاة لمصلحة نفس البلد الاستفادة من مختلف الخيرات التي أودعها الله فيه بوفرة عظيمة .

« وأينما ذهب المرء يجد الكثير من الحديد الجيد . ومتى ذاب وسوته يد الصانع في البلد نفسه انقلب أداة نافعة فيكثر طلبها خصوصا في الشمال والغرب حيث أسنة الحراب والسهام الرديئة الصنع تقوم مقام الدراهم ويستعان بها مع الثيران في مشترى النساء .

« ويقيم أمهر الحدادين في ديار ممبتو ومكراكا والبعض منهم نال في هذه الصناعة شهرة فائقة .

« ولا أعلم بوجود معادن اخرى لغاية الوقت الحاضر إلا ان هذا لا يفيد انه لا يوجد غير هذا المعدن . وأظن ان مديرية خط الاستواء تحمل في بطنها من أنواع المعادن كنوزا خافية عن ابصار جميع العالم . اهـ

١ - ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

كان جونكر كما ذكرنا في الملحق الأول للسنة الماضية قد شخص الى مديرية بحر الغزال ليقوم برادات في بعض أقسامها وأقام بها لفاية شهر نوفمبر من العام الحالى . وبما انه قضى كل هذه المدة بعيدا عن مديرية خط الاستواء وهذا التاريخ خاص بمحادث هذه المديرية الاخيرة فقط فقد ضربنا صفحا عن ذكر ما وقع في هذه الفترة .

وكان يبلغ جونكر وهو يؤدي رياداته تقدم ثورة المهدي الملققة الرهية . ولما رأى ان المسألة قد دخلت في دور جدى وأمست مديرية بحر الغزال برمتها تتأجج فيها نيران الثورة جمع رأيه على أن ينقلب راجعا الى مديرية خط الاستواء حيث كانت الحالة اكثر سكونا وهدوءا وكانت الأميال أكثر جنوحا لفكرة بقاء سلطة الحكومة ثابتة للسبب الآتى وهو ان قوات الحكومة التى في بحر الغزال كانت أغليتها العظمى مؤلفة من الدناقلة

(١) - راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

والعرب وهؤلاء هم من نفس جنس الثوار المهديين ولذلك اشتركوا مع العصاة من وقت ما بزغ فجر الثورة وبدا روح التمرد . بينما قوة خط الاستواء كانت برمتها تقريبا مؤلفة من الجنود السودانية النظامية وهؤلاء لا يشعرون بماطفة ميل للعصاة فحسب بل يشتمونهم لانه قد بلغهم ان المهديين عندما يأخذونهم أسارى يبيعون في أغلب الأحوال نساءهم وأولادهم بصفة أرقاء . ولهذا رأينا هذه الجنود ذاتها بعد سفر امين باشا برفقة استانلى يأتون الانضمام الى المهديين وينسحبون الى قرب بحيرة البرت نيازا . وهناك ظلوا مقيمين الى ان أتى اليوزباشى لوجارد Lugard وجندهم في خدمة الشركة الانكليزية الشرقية الافريقية British East African Company . وهذا هو السبب في ان مديرية خط الاستواء ظلت محافظة على سلطة الحكومة من بين سائر مديريات السودان الى النهاية وقاومت ثورة المهديين .

وفي ١٢ نوفمبر أخذ جونكر في السير وفي أثناء الطريق تلقى الاخبار الآتية عن الحوادث التي وقعت في بلدة ممبتو في ايام غيبته وهي :—

عندما انهزم مامبانجا وطرد من بلده اتخذ له مشوى بيلد رئيس آخر يقال له أنجما . ومن هذه البلدة دخل في مفاوضة سرية مع حواش افندى بقصد تحريض هذا على أنجما ليحل هو محله . ولما كان حواش افندى يريد ان يتخلص من جميع الرؤساء الذين كانوا يضايقونه اتفق مع مامبانجا وحمل على أنجما وحليفه جبارى و نيانجارا فأسرهم وبعضهم الى تنجازى ونصب مامبانجا في مركزهم . وحالما بلغت أنباء هذه الحوادث مسامع امين بك استدعى حواش افندى ووظف عوضا عنه البكباشى ريجان افندى ، وهو ضابط سودانى لبث مدة طويلة مأمورا في مكراكا ، وأرجع

في الوقت ذاته أُنجبا الى محله .

وكان امين بك قد رجع في ١٤ يولييه سنة ١٨٨٢ م من الخرطوم الى لادو بعد غياب أربعة أشهر . وفي ٦ مايو سنة ١٨٨٣ كتب الى جونكر بأنه أرجع أُنجبا الذي انتزعه حواش افندى من مركزه حسباً سوات له نفسه لا لداع آخر وانه استدعى مامبانجا للحضور بطرفه في لادو وانه ينوى ارساله الى الخرطوم . وانه عين ابراهيم افندى جورجورو مأمورا في مكرى كا . وان بنحيت بك أرسل الى الخرطوم مع آخر باخرة .

ويقول جونكر هنا انه دهش لما علم ان امين بك عين ابراهيم افندى جورجورو في ذلك المركز الهام لأن ابراهيم افندى هذا لم يكن إلا رجلا نوييا منافقا يلب لأمين بك وللمهدين على السواء . ولما أغار هؤلاء فيما بعد على مديرية خط الاستواء كان هو أول من انخرط في صفوفهم وانضم الى جموعهم . هذا فضلا عن ان تعيينه بث استياء في نفوس الضباط .

وفي ٣ يولييه تلقى جونكر خطابا من امين بك صادرا من تنجازى حيث كان هذا الاخير قد انتقل يقول فيه ان مامبانجا قدم لزيارته وانه منحه شيئا من الهدايا ورجع الى اهله مسرورا . اما جبارى فيرى انه من المتأمرين على الحكومة وان دوره سوف يأتي .

وفي ٢٠ سبتمبر كتب له امين بك من لادو يقول انه لم يستطع لسوء الحظ ان يعامل اهالى ممبتو معاملة شفقة ورحمة وانه يظن ان جونكر علم بموت مامبانجا الذي كان يعتبره مصدر خطر على جميع الناحية وانه قد يحتمل أن

يأتي دور جبارى أيضا .

وعلم جونكر فيما بعد ان مامبانجا قتل في الواقع ونفس الأمر بناء على أمر أمين بك فأسف لذلك أسفا شديدا لأنه كان يؤكد دواما لرؤساء الزوج ان من صفات المدير العام الشفقة والرحمة . أما الآن فقد حل في قلبه الندم وأخذت تساوره الظنون بأن أولئك الرؤساء ربما اتهموه بأنه عمل على خداعهم . وعزا جونكر كل هذه الامور الى تأثير ابراهيم افندى جورجورو المشثوم على أمين بك .

وفي ١٥ ديسمبر تناول وهو سائر في الطريق حزمة كبيرة بها جرائد ومراسلات أتت الى لادو مع الباخرة الاسماعيلية فسر لذلك سرورا عظيما .

ولم يصل جونكر الى حدود مديريةه خط الاستواء الا في آخر السنة .

ولهذه الرحلة تنمة نذكرها في الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ - ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديريةية خط الاستواء

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو

انقضت أوائل عام ١٨٨٣ م فى الريادة . وفى ٢٠ مارس عاد كازاتى الى واندى واستقبله فيها المأمور ابراهيم افندى جورجورو وأبلغ خبر قدومه الى أمين بك . وبعد عدة أيام ورد من أمين بك كتاب الى كازاتى ينبئه فيه بوصول الباخرة تلحوين من الخرطوم ويدعوه للقدوم الى لادو . وفى الحال قام وولى وجهه شطرها فدخلها فى آخر الشهر .

وكانت الاخبار التى حملتها الباخرة غير سارة فهى جميعها تتعلق بالحوادث التى وقعت عام ١٨٨٢ م من ثورة عرابى فضرِب مدينة الاسكندرية الى واقعة التل الكبير وما ولها مضافا الى جميع ذلك المسائل الجارية فى السودان فى الوقت الحاضر بسبب الثورة المهديّة . وكل هذه الاحوال لا تدعو بطبيعة الحال الى جلب الطمأنينة الى النفوس ولا تدعو الى التفاؤل بحسن المستقبل .

سفره مع المدير العام الى نهر دونجو
ولإقامة محطتين هناك

وفي ١٤ أبريل في الساعة العاشرة صباحا رفع العلم في لادو لإيدانا بسفر
الباخرة الى الخرطوم وسافرت بالفعل .

وفي ٢ مايو غادر كازاتي لادو وكان معه هذه المرة أمين بك . وكانت
وجهة الاخير ممبتو . واتخذنا سبيلهما في هذه الرحلة عن طريق واندى
ومديري Mdirfi لبلوغ تانديا Tandia حيث ترك المدير العام حامية مؤلفة من
العساكر غير النظامية . وذهب فيما بعد الى نهر دونجو Doungou وهناك أقام
على ضفافه محطتين وأطلق على إحداهما اسم موندو Moundou وعلى الثانية
دوندو Doundou .

واقترقا في هذه المحطة الأخيرة فذهب أمين بك الى تنجازي حيث عاقب
الرئيسين مامبانجا و باجوينديه Baguindé بالاعدام . وأخذ يستعد لارتياذ ناحية
أخرى في اتجاه وادلاي وعندئذ علم بقيام ثورة بين زوج رول فاضطر أن ينقلب
راجعا الى لادو عاصمة مديريته . أما كازاتي فذهب هو الآخر وقضى بقية عام
١٨٨٣ م في الارتياذ .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها في الملحق الثاني للعام القادم .

سنة ١٨٨٤ م

من

حكمداريتة أمين باشا

اخذاه ثورتى رول و الماتوين

كان أمين بك قد دعا الطيب جونكر فى آخر عام ١٨٨٣ م للحضور الى لادو فأجاب الدعوة فرحاً مسروراً . ولما علم أنه قادم فى الطريق كتب له خطابا بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٨٤ يعرب له فيه عما سيناله من القبضة والابتهاج برؤيته ويخبره بأنه كتب الى سائر رؤساء المحطات ليمده رئيس كل محطة يمر منها بجميع لوازمه وأنه كتب كذلك الى سالم افندى بأن يقدم له بغلته عندما يصل الى واندى ليقطع على ظهرها المسافة إلى محطة لادو .

وفى ٢١ يناير وصل جونكر الى هذه المحطة . وذهب أمين بك لمقابلته فى « اونجاتى » Unjati الواقعة على مرحلة ساعتين منها وبمعيته فيتا حسان واحمد افندى محمود وسكرتيره وستة من الجنود . وبعد تقديم التحية المعتادة دخل الجميع الى لادو حيث أقام جونكر بصفة نزيل المدير العام .

وعندما استقر بهم المقام فيها طلب أمين بك من جونكر ان

لا يقابل حواش افندى لأنه كان متأثراً منه . غير أن جونكر كانت راسخة بفكره الخدمات الجلى التي أداها له حواش افندى في ممبتو ولذا لم يشارك أميناً بك في رأيه هذا بل بذل جهده في الدفاع عن حواش افندى بهمة لا تعرف الكلال وانهى الأمر بأن رده أمين بك الى وظيفته .

وفي أبريل سافر فيتا حسان من لادو الى المحطات الجنوبية ليتفقد احوال المرضى . ومر بمحطة الرجاف ، وبيدن ، وكري ، و موجى ، و خور أچو Khór Aju ، و لابوريه ، و دوفيليه ، و وادلای وقضى شهراً تقريباً في هذه الرحلة . وعندما وصل الى دوفيليه وهو في طريق الرجوع الى لادو وجد حواش افندى وكان قد رجع الى وظيفته في مدة غيبته وأخذ في اخلاء المحطات التابعة لمركزى فاديك و فويرا . وهذان المركزان كانا بعيدين كثيراً عن قاعدة المديرية ولم يكن بهما سوى حاميات ضعيفة .

ولما كانت الحالة قد تماقت في السودان رؤى أن من اللازم جمع شتيت الجنود المبعثرة في المراكز البعيدة عن قاعدة المديرية حتى يمكن تدارك ما قد يمكن أن تلده الأيام من الحوادث .

وما كادت الثورة التي شبت نيرانها في رول تنطفىء ويتقرر امداد شمبي حتى قامت ثورة قبيلة الماتويين Metus في مركز دوفيليه . وخوفاً من اضعاف قوات المديرية وتشتيتها وقبل أن تمتد الثورة ويتصل لهيها بمكراكا استدعى أمين بك من الشمال حملة ابراهيم افندى جورجورو وأمره أن يبعث بخمسين رجلاً لنجدة دوفيليه . وكانت هذه المحطة محصنة

تحصينا قويا ولذا أخذت الثورة قبل أن يندلع لهيها وتنتشر وألقى القبض على وادتيرا Wad Tira شيخ الماتويين وأرسل الى لادو .

قيام الثورات في كثير من الجهات والعمل على إخمادها

ولدى إياب فيتا حسان الى لادو وجد الحالة تفاقمت تفاقما مدهشا . ولما كانت المواصلات مع الخرطوم قد انقطعت منذ أكثر من سنة والأخبار التي وردت مع آخر باخرة وصلت كانت سيئة جدا ابتداء القنوط واليأس يدب في نفوس الجنود وأخذ هؤلاء يتدمرون . وكان أمين بك في أثناء ذلك يشدد عزائمهم ويهدى روعهم . وبما زاد الحالة سوءا على سوء تمرد مادي فاتيكو و فالورو وقيامهم لمحاربة محطة فاتيكو وهذا بصرف النظر عن شمبي و بور اللتين لم يرد منها خبر ما الى ذلك الوقت .

وبينما كانت الجنود مشتغلة باخماد هذه الثورات إذ ورد لأمين بك قبيل منتصف شهر مايو نبأ من لبسون بك فخواه ان المهديين وعددهم زهاء ٣٠٠٠٠ رجل بقيادة « نور عنقره » وصلوا الى مسافة بعض مراحل من محل اقامته وانه يرى ان الموقف أضحى دقيقا للغاية . وقال علاوة على ما ذكر ان لديه نحو ١٢٠٠ رجل مسلحين بأسلحة رمنجتون وما يكفيه من المؤونة و ٤٠٠٠ اردب من الذرة . وان المحطة محصنة تحصينا شديدا وان الجنود أقسموا أن يقاتلوا الى أن تلفظ آخر نسمة . ومن ضمن ما قاله أيضا انه يضع نفسه تحت تصرف أمين بك إذا كلفه بأمر من الامور . وبين في خاتمة خطابه عنوان أسرته في لندرة وطاب منه أن يكتب لها بالعنوان المذكور اذا حانت منيته وخر صريما .

وما كان أحد من الذين في لادو يشارك لبتون بك في غروره هذا . وفي الواقع كانت الجنود الذين يعتمد عليهم مؤلفين من الخطرية فقط أى من عرب يشتركون هم والمهيدون في الجنس والدين شيمتهم نكث اليهود وديندهم الخيانة والنهب . وكان لا يخامر أحدا الشك في أنه متى لاج لأعينهم شبح وكلاء المهدي ذهبوا وانضموا اليهم . وكان أمين بك قد أدرك من زمن بعيد المكارة والمضار التي قد يمكن أن تلم به من وراء الاحتفاظ بالخطرية . وليس ذلك حذرا من قيام الثورة المهديّة التي ما كان يترقب انسان حدوثها بل بسبب سوء اخلاقهم واعوجاج سلوكهم الأمر الذي ما جنت منه الحكومة سوى انصراف قلوب السودانين عنها وبفضهم لها .

وشرع أولئك الخطرية في الواقع في نهب الزوج في كل ناحية مما أبعد قلوب هؤلاء عن الحكومة التي كانت مصلحتها تقتضى جذب مودتهم وتوطيد دعائم صداقتهم . ولقد سعى أمين بك ابتغاء الوصول الى هذا الغرض بإبعادهم من مديريته وارسالهم بالتدريج الى الخرطوم والاستعاضة عنهم بعساكر نظامية سودانية . وقد كان يوجد في كل مركز حامية من هؤلاء العساكر أصلهم من منطقة اخرى غير المنطقة المعينين بها . والغرض من ذلك هو أنه اذا ثار أهالي مركز من المراكز يصير في حيز الامكان كبح جماحهم واتحاد انفس ترمدهم بدون خوف من أن يتآخوا مع الثائرين وينضموا الى صفوفهم .

وكان أمين بك قد أوصى لبتون بك العمل بهذه الطريقة فذهبت توصيته هباء غير أن الايام وباللحسرة ما لبثت حتى أيدت امينا في رأيه .

ولم يكن في استطاعته رغم مخاوفه مما تخبئه الايام للبتون بك في ثناياها ان يمدد بمدد ما . فقد كانت قوات مديرية خط الاستواء قليلة العدد للغاية ومبعثرة في مساحة من الارض متسعة اتساعا كبيرا . وفوق ذلك فانه كان عليه ان يترقب لمديريته حظا لا يقل سوءا عن حظ مديرية بحر الغزال نفسها لاذ أنه كان في استطاعة اجلاف المهديين ان يغيروا عليه في كل ساعة ولحظة . وهذا ما حدث بالفعل . والحاصل انه ما كان ينبغي لانسان ان يتجاهل امارات تمرد قبيلة البارى الضخمة بقيادة كبيرها اللورون .

وانقضت على امين بك اخبار تمرد هذه القبيلة انقراض الصاعقة لاسيا ان مجموع قوات مديريته لا يقدر ان يتغلب عليها اذا قاتلها في العراء بعيدا عن الحصون وذلك لجسامتها وكثرة عدد رجالها . وكان امين بك كذلك منشغل البال بسبب نشر اهالى بور راية العصيان وابادة حامية هذه المحطة وثورة زنوج فاتيكو و فالورو و ماجونجو أى سكان الجنوب التى كانت نيرانها ما زالت تتأجج . جرى كل ذلك قبيل وقوع حوادث بلغت من الجسامه مبلغا ما عليه مزيد . وجسامتها هذه تستلزم جميع قوات المديرية وقوات حكماها المادية والعقلية .

وقبما ترداد المبللة طينا قرر امين بك ان يقوم بهجوم ابتغاء ملافاة اقرب الاخطار التى يرتقب حدوثها و اخماد ثورة البارين وهى فى المهد قبل ان تشتعل نارها ويمتد أوارها فاستدعى اليوزباشى على افندى سيد احمد قائد لادو وأمره بالقبض على رئيسهم اللورون و اعدامه . وكان بالطبع لا بد من التكم الشديد فى تنفيذ هذا الامر الذى يتعلق كيان المديرية بنجاحه . ولكيلا يتسرب أى خبر الى البارين فيجدون عندئذ

الوقت الكافي لتلافي الضربة لم يستصحب على افندى سيد احمد سوى ١٢٠ جنديا وضابطين وهما ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا وكان قد قدم حديثا وضيا افندى محمد وكيل قومندان لادو . ورجاء عدم لفت الانظار أبلغ الضباط والعساكر أن الغرض من رحلتهم هذه هو القيام بغارة في البلد الواقع فيما وراء اراضى الباريين . وصدر أمر في نفس هذا الوقت الى عبد الواحد افندى مقلد وكيل قومندان الرجاف بالذهاب الى غندوكورو ومعه ٨٠ جنديا ليكون تحت قيادة على افندى سيد احمد الذى نيط به أمر هذه الحملة .

ووصلت الجنود التى سافرت من لادو و الرجاف الى غندوكورو ليلا فى وقت واحد وساعة واحدة . واستدعى القائد فى الحال وبدون تضييع لحظة اللورون للحضور بقصد الشروع بغارة فى الجبال فأبى . ولمل ذلك كان من باب الاحتراس بسبب سوء الظن . وعلى ذلك ما اشرفت شمس اليوم التالى إلا ومقر اللورون قد أحيط بالجنود ووقع هو فى قبضتهم . ولما رأى انه بوغت بهذه الكيفية امثل ولم يبد أية مقاومة ومد عنقه بشجاعة قائلا : « لقد وقعت فى قبضتكم وهذا حسن . وفى استطاعتكم اعداى لأنى عشت الزمن الكافى وثلت شرفا كثيرا يث اليأس فى قلب بيكركم العظيم - يريد بيكر باشا - الذى عجز عجزا تاما على أن يتغلب على » .

وأعدم اللورون فى قلب المحطة وجمت كل أمواله ووجد من ضمن مقتنياته خمس وعشرون بندقية فصودرت كما صودرت قطعانه التى يبلغ عددها تسعمائة رأس من الثيران .

واقتيده « لادو » ولد اللورون الى أمين بك . وكان ذلك في نفس اليوم الذي وصلت فيه رسالة المهدي المشهورة وبث خبر وصولها الرب في سائر أنحاء المديرية . وأراد أمين بك أن يخدم أنفاس المصيان بقتل هذا الرئيس ولكنه كان يرغب في الوقت ذاته السعى للاحتفاظ في هذا الوقت العصيب الذي تهب فيه الزعازع من كل صوب وناحية بمودة الزوج وصدقاتهم الثمينة . وعلى هذا هدأ روع ولد اللورون وقال له : « انى ليحزنى ما وقع من التعسف والظلم غير انه كان من المحال الابقاء على أيبك وتركه حيا إذ انه كان من الجائز أن يجر بتمرده أذى وبلايا على ذويه وعلى نفس الحكومة التى ما كانت تتأخر بلا ريب في توقيع العقوبات على الثائرين وان اعدام اللورون كان لا مفر منه ولا يحصى عنه . والمصلحة العامة كانت تستوجب هذا الاعدام » . وأقر أمين بك ابن اللورون محل أيبه ورد له كل أمواله ولم يصادر منها سوى السلاح وزهاء مائة من المواشى .

وفي نفس هذا الوقت كان حواش افندى قائد دوفيليه قد سافر وهزم توار الجنوب هزيمة تامة في غضون أيام قلائل . والثوار سالفو الذكر هم توار ماجونجو و فاتيكو و مادى فلورو . وأسر حواش افندى « بالولا » Balula الكسيح الشهير وهو أخو الرئيس فاتيكو وأحضره الى دوفيليه وكلفه بان يشتغل والاعلال في جيمده في تصليح الأسلحة التالفة . وكان « بالولا » هذا يسمى أيضا « ابوقرا » وكان ذا شهرة في صنع الأسلحة . وهو صانع أسلحة كباريجا ملك الأونيورو . و لنبوغه احتفظ به حواش افندى في دوفيليه وانتفع بمعارفه . وعندما انتهى من ترميم جميع أسلحة المحطة الممكن تصليحها طلب حواش افندى من أمين بك

أن يبعث إليه بالأسلحة التي حالتها تستلزم تصليحا . واجرى تصليحا كلها .

وكانت الاخبار في هذه الفترة ترد بتواتر منبئة بذبح حامية بور . فلقد حدث ان أو شك زاد الحامية أن ينفذ وأبى ززوج الناحية أن يمدوها بمطلوبها فاضطر قائد المحطة عبد الله افندى نمير أن يقوم بغارة . غير انه لدى ايا به أحاط به البوريون وذبحوه هو ورجاله ذبح الشياه ولم يبقوا منهم على واحد وكانوا يصيحون في أثناء القتال قائلين : « في سبيل الله » . ومن المدهش أن يرى الانسان كم انتشر صياح الحرب هذا الذي هو صياح المهديين عند الأهالي حتى ان الوثنيين المتوحشين النازلين في أقاصى الجهات الأكثر تطرفا اتخذوه وهم يجهلون معناه . هذا وقد عجب الناس لسماهم وقت الثورة التي حدثت قبل ذلك في الجنوب نفس هذا الصياح من أفواه الزوج . ولعل هذا يرجع الى مقدرتهم المألومة في التقليد والسرعة التي تنتشر بها الاخبار في بلادهم .

ومن وقت ما ورد خطاب لبتون بك السالف الذكر لم يصل أى نبأ من بحر الغزال . أما أمين بك فكان غارقا في الأعمال الخاصة بمديريته . ولأجل تحويل أنظار الجمهور عما آلت اليه الأحوال وعما تتمخض عنه أحداث الدهر من الحوادث الجسام ، وربما أيضا لتسيير الامور وفقا لحركة الثورة الدينية التي كانت تمزق في تلك الآونة أحشاء السودان ، نقول انه من أجل ذلك كله قد بنى أمين بك مسجدا في قلب فناء ثكنة لادو . وقد يجوز أن يكون بناء هذا المسجد كان يقصد منه شيئا آخر وهو تهدئة خواطر طغام المهديين في حالة قيامهم بهجوم .

وقال فينا حسان ان كفاية أمين بك وحكمته فيما يتخذه من الاحتياطات لما عسى أن تلده الايام من الحوادث حتى ولو كانت تلك الحوادث من أبعاد الاشياء حصولا وأقلها أهمية قد تبرر مثل هذا الاقتراض . ومما يدعوا الى التمسك بهذا الاقتراض ان امين بك بعد بناء المسجد وقبل مجيء المهديين أخرج من مكتبته نسخة فاخرة من القرآن كانت باقية من لرسالية كتب كان غوردون باشا قد أرسلها الى متيسا ملك أوغندة ووضعها على مكتبته في محل ظاهر بجانب اسفاره التي كان يلزمها ملازمة ظله له .

ويقول فينا حسان أيضا ان أمين بك ما كان ينتظر مطلقا أن تباغته الحوادث وتقع على غرة منه بل كان يبذل جهده ليستبقها . ولانقطاع اخبار الخرطوم جملة كافية الامر المثير للاشجان والموجب لاضطراب البال ، ولما رآه من خلال حجب المستقبل من وجوب تعويل مديريته على نفسها والاعتماد على قوتها دون غيرها ، نظم دفاعه وسعى في جذب قلوب الجنود اليه وكسب مودتهم وذلك بتخفيف وطأة النظام عندما يرى ان هذا التخفيف لا يتعارض مع مصلحة الجنود الحيوية . وعندما تستدعي الحالة قمع بعض رؤساء الأهالي بشدة عندئذ يتحالف معهم واذا رأى أنه من واجبه أن يظهر لهم بمظهر الصرامة ليرهبهم يعاملهم بلطف واحسان ليكفل لنفسه اخلاصهم .

وقد أمر أمين بك كذلك من باب الاحتياط للمستقبل بزراعة القطن بقصد ايجاد مادة للنسيج . وقد كان من قبل اصدر خمس أو ست مرات أوامر بهذا الصدد غير أن قواد المحطات طرحوها ظهريا . واشتغل هذه المرة

شغلا جديا بهذه المسألة وسعى فيها سعيًا متواصلًا خاصًا إذ أنه كان يستطيع أن يدعم أوامره بقطع المواصلات مع الخرطوم وبالاحتياج في مستقبل الأيام لصنع الملابس للجند .

وفي ١٥ مايو شب حريق في حي الجند فضعف في هلع الناس ودمر ٢٠٠ كوخ قبل التمكن من إطفائه .

ورود أخبار سيئة

وفي نهاية الأمر وصل في ٢٧ مايو من رول خطرى حاملا خبرا رهيبا ألا وهو خبر استيلاء المهديين على مديرية بحر الغزال وثلاثة خطابات من الأمير كرم الله قائد المهدي واحدا منها باسم أمين بك بصفته المدير العام والثاني باسم عثمان افندى لطيف وكيل المدير والثالث للطبيب جونكر . ويطلب بالخطابين الأولين تسليم المديرية وحضور المدير ووكيله ومثولهما بين يديه . أما الخطاب الثالث فيطلب فيه من جونكر القدوم لأخذ متاعه الذي تركه في بحر الغزال .

ووقتها وردت أخبار السوء هذه لم تكن الحملة التي أرسلت لتأديب البارين السالف ذكرها رجعت بعد وكان النظام مختلا معتلا بسبب تمرد الزوج وعلى ذلك زادت أخبار الشؤم الأحوال اضطرابا .

وكان فيتا حسان في مكتب الحكومة عندما دخل محمود افندى صبرى رئيس الكتبة يحمل الخطابات الثلاثة في غلافات كبيرة معنونة باسم الأمير محمد أمين و عثمان شريف و الطيب جونكر . ولقت شكل وعناوين هذه الخطابات نظر فيتا حسان فلقب « أمير » الذى أضيف الى اسم أمين بك

بدلاً من كلمة مدير واسم عثمان شريف عوضاً عن عثمان لطيف جعلناه يستشعر بمصادر هذه الخطابات ، ولم يكن من شأن انقباض نفس محمود افندى صبرى والتكتم البادى على مجيئه إلا أن يوطد مخاوفه .

كتاب من المهدي الى المدير أمين بك

وبينما كان محمود افندى صبرى فى حضرة أمين بك ظل فيتا حسان يتقرب الأخبار وهمه فى ازدياد . وفى نهاية الأمر عاد محمود افندى شاحب الوجه وقال لعثمان أرباب السكرتير الثانى ان المدير يرغب مقابلته . وذهب عثمان ورجع بعد بضع دقائق وعلى شفثيه ابتسامة شيطانية الأمر الذى لا يبشر بطالع حسن إذ من العلوم ان المهدي هو عم المذكور . ودعا عثمان فيتا حسان لمقابلة أمين بك ولدى دخول فيتا عنده رأى وجهه باهت اللون . فقدم أمين بك له الكتاب وقال : انظر الكتاب الذى جاءنى ! فتناوله فيتا حسان بيده فوجده مسطراً على ورقة من الاوراق الرسمية وصفحة منه عليها الكتابة مذيلة بختم : « محمد احمد » . أما منطوق هذا الكتاب فكان بوجه التقريب هكذا :-

« من محمد احمد رسول الله المهدي الى الأمير محمد أمين أمير خط الاستواء . لاني مرسل اليك الأمير كرم الله القام مقامى فسلمه مديرتيك وأت عندي فى البقعة الطاهرة لأضملك الى جماعتي . فاذا أطمعتى كفلت حياتك وتحمائيت لإهراق الدماء على غير طائل . أما اذا عصيت فطليق تقع جريمة ضياع رجالك وضياعك أنت نفسك . وما حصل لفيرك فيه عبرة لك وموعظة للستروى والتبصر فى عمالك . ولقد رأيت ان جميع المديرىات حتى أقواها مثل كوردفان و سنار سقطت فى يدي . وأنت تعلم من غير

شك كيف كانت عاقبة راشد بك ويوسف باشا الشلالى وهيكس باشا . وهذا لا بد أن يفتنك أنه بفضل معونة الله الملى لا يقدر أحد أن يقاوم الأنصار . وأنت ليس لديك القوة الكافية لتستطيع مصادمة جيشى » .

وكان هذا الكتاب محلى بعدة آيات مقتبسة من القرآن . وكان معه كتابان آخران أحدهما من الأمير كرم الله الى أمين بك يخبره فيه بفتح مديرية بحر الغزال ويعدد قوات المهدي ويقول إنها زهاء ٣٦.٠٠٠ مقاتل بقيادة نور عنقره . والثانى من لبتون بك باللغة العربية ينصح فيه أمينا بك بالتسليم لأن المهديين كما يقول قوم لا يقهرون .

وذكر لبتون بك أن المهديين سلكوا مسلكا محمودا عند فتح المديرية - وهذا شيء بعيد عن الحقيقة - وأن الأمير كرم الله أحسن مقابلته وقال أيضا علاوة على ما ذكر انه يأمل أن يراه فى أقرب وقت فى البلد المقدس أى أم درمان . وأمضاه باللغة العربية هكذا : « الأمير عبد الله ولبتون سابقا » . ولاحظ أمين بك أيضا تحت التوقيع سطرين بالانكليزية يقول فيها : « اعمل ما تراه صالحا » .

وأراد لبتون بك بلا ريب أن يفهم أمينا بك أن لا يقف عند حد ما جاء بخطابه الذى لم يكتبه إلا تحت الضغط بل يتصرف بحسب ما يوحى به عقله .

عقد مجلس للنظر فيما تستوجبه الحال

واتفق أمين بك وفتيا حسان أن لا يستدعى إلا كبار الموظفين فى المديرية لأن أمينا بك يرغب أن يبقى الخبر مكتوما زمنا

طويلا على قدر الاستطاعة تفاديا مما عساه أن يحدث من الذعر واختلال النظام . وبعد ان اجتمع كبار الموظفين أمر الحاجب أن لا يدع أحدا بعد ذلك يدخل .

وتألف المجلس عدا أمين بك ، و الطيب جونكر ، و فيتا حسان من الاشخاص الآتية أسماؤهم وهم : ضياء افندى احمد قائد لادو ، و ضياء افندى طنندا مأمور سلخانة لادو ، و عوض افندى عبد الله مأمور المخازن ، و عثمان افندى أرباب سكرتير المديرية الثانى ، و الحاج محمد عثمان معلم المدرسة ، و الحاج الشيخ عثمان حميد قاضى المديرية ، و باسيلي افندى بقطر رئيس قلم المستخدمين ، و ميخائيل افندى سعد رئيس كتبة المديرية ، و اسماعيل افندى خليفه رئيس الحسابات ، و أحمد افندى رائف معاون المديرية الأول ، و موسى افندى قندا ضابط سودانى ، و محمود افندى العجيبى وكيل قومندان لادو .

وشرع أمين بك يتكلم فقال : « لقد ورد لى هذا الكتاب من المهدي حديثا . ولهذا جمعتم فى الحال لآتبلوه عليكم وآخذ رأيكم » .

وأخذ يتلو الكتاب بصوت جهورى إلا انه ما لبث ان وقف عن القراءة ، وما ذلك إلا لأن صوته خـانـه وفاضت عيناه بالدموع ، فناول الكتاب الى عثمان افندى ارباب وهذا تلاه بأ كـله . وأعقب ذلك سكوت طويل . واخيرا قطع امين بك هذا السكوت بوضع هذا السؤال لجميع الحاضرين :

ما قولكم ؟

فأجابوا بصوت واحد : « نحن خاضعون لأوامركم فلكم أنتم الأمر » .

وعندئذ نهض الطيب جونكر وقال : « اذا كان امين بك هو الحاكم عليكم فأنتم أيضا مع ذلك موظفو الخديو ولكم الحق بأن تعربوا عن رأيكم . واذا كان امين بك يريد ان يبت في الأمر من تلقاء نفسه فما كان هنالك حاجة لاستدعائكم » .

وأدار أمين بك وقتئذ وجهه شطر كل واحد منهم ليحصل منه على جواب . فجواب محمود افندى العجيبى ، وقد سئل عن القوات الحاضرة المعدة للقتال ، بأن هذه القوات ضعيفة للغاية فلا رجاء معها في ابداء أية مقاومة امام جموع المهديين .

وسئل عوض افندى عبد الله عن المؤونة والذخيرة فيما لو حوصر الجيش فقال ان الذخيرة لا تكفى واقمة واحدة والمؤونة تكاد لا تكفى مدة اربعة عشر يوما (١) .

(١) — إن كلام هذين الرجلين فى غير محله وهو يعرب عن الجبن ويناقض ما قاله بعد الصاغان حواش افندى منتصر ومرجان افندى الدناصورى حيث عارضا أميناً باشا فى تسليم المديرية وقالوا إن فيها الذخيرة الكافية ويمكن تجنيد ثلاثة آلاف جندى . ويؤيد صدق قولها الحوادث التى حصلت فيما بعد إذ ظل جنود المديرية بعد سقوط قرية أمادى Amadi يقاومون الزوج ويقاتلون الدراويش الى سنة ١٨٨٩ م عندما توجه أمين باشا مع استانلى الى زنجبار وبقوا محافظين على كيانهم فى شاطىء بحيرة البرت نيازا الى سنة ١٨٩٠ م عندما جاءهم الكابتن لوجارد وجندهم بأسلحتهم وذخيرتهم للخدمة فى الشركة البريطانية لشرق افريقية ظاهرا ولسياسة الاستعمار البريطانية فى الحقيقة واحتل بهم وبنذيرتهم الاراضى المصرية وانتزعها من ممتلكات مصر . فهذا كله يدل على أن الذخيرة فى هذه المديرية كانت كثيرة متوافرة وأنه من اليسور تجنيد الجنود اللازمين .

وصرح الحاج الشيخ عثمان حميد القاضى بأن التسليم أولى من سفك الدماء
بغير جدوى فان قوات المهديين عديدة الى حد ان جيوش المديرية لا تستطيع
مقاومتها .

ووافق عثمان افندى أرباب على ايضاحات من تقدموا وأشار بالتسليم .

ووافقت الاكثريه على هذا الاقتراح .

ولما طلب من فيتا حسان ابداء رأيه أجاب بأنه وهو طيب لا يستطيع
ان يعرب عن رأيه فى مسألة خارجة عن اختصاصه .

ودعا الطيب جونكر لتلاوة كتابه عثمان افندى ارباب وهو
الكتاب الذى بعث له به الأمير كرم الله وحاول فيه أن يجذبه اليه ليتسلم
السبعة والأربعين صندوقا المحتوية على مجاميعه والتي فى مشرع الرق بمديرية
بحر الغزال . وأكد له فى هذا الكتاب أيضا أنه لا يصاب بمكروه وأنه يوصله
بأمان وسلام الى الخرطوم .

وانكب جونكر على الضحك بعد تلاوة الخطاب وأشار باصبعه صوب
الجنوب وقال ان طريقه من هنالك .

وصرح أمين بك بأنه مستعد لأن يتوجه الى الأمير كرم الله ابتغاء
اجتناب إراقة الدماء وطلب معرفة من يريد ان يرافقه فسكت الجميع . ولما
وجه لكل منهم السؤال على انفراد أبى الكل السفر اللهم إلا ثلاثة اشخاص
وهم القاضى الحاج عثمان حميد ومعلم المدرسة الحاج محمد عثمان و عثمان افندى
ارباب . وعند ذلك التفت امين بك الى فيتا حسان وسأله عما اذا كان يريد

مصاحبته فرد عليه بالابجاب .

وقال له امين بك ردا على قبوله بالايطالية : « غير انه لا بد لك ان تعرف ان هذه الرحلة ليست كما مورياتنا السابقة » .

فأجابه فيتا قائلا . « اعرف ذلك . ولقد رضيت ان اشاركك فيما قدر لك وعليك » .

وقرر امين بك السفر يوم الاثنين القادم وصرف المجتمعين . وكان بتقريره الاذعان والخضوع الى الأمير كرم الله لا يبغي إلا ايجاد وسيلة وقتية للنجاة مع انه كان يتردد بفكره بلا ريب مشروع لم يحتمر بعد تماما . ذلك هو ان يسلك طريق أوغندة . فقد نبتت هذه الفكرة في رأسه تدريجا ولما اكتمت وأخذت شكلها النهائي صرح بعد عقد هذا المجلس بزمن يسير امام فيتا حسان وعضو افندى عبد الله و محمود افندى العجيمي بالكلمات المشهورة التي نقلها عنه عوض افندى وأساء تأويلها الكل ولا سيما الجنود فنشأ عن ذلك كثير من الضرر والأذى بسبب ما تواتر من الاشاعات التي لطمتها وسداها البلاهة وسوء القصد .

وهذا نص تلك الكلمات بالحرف :-

« ان في استطاعتي بعون الله وحوله ان احافظ عليكم وأسير بكم عن طريق اوغندة . وآخذ على عاتقي ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتموني الطاعة . وفي قدرتي ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق اونيورو و اوغندة . اما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريجا يسمح لهم بالمرور من ارضه . والحديد ليس في حاجة الى بعض جنود سودانية

والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانيون فى بلادهم . لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعمونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة سالمين . »

ونقل عوض افندى فى نفس هذا المساء هذه الكلمات فتلقفتها الآذان وتداولتها الألسنة بالمعلاة والتحرير بطريقة لم تألفها الأسماع . فقالوا وأكدوا القول بأن المدير صرح أنه يرغب بيع جميع المساكر لكباريجنا ليحصل على الترخيص بالمرور من أرضه .

والواقع أن أمين بك لم يفه بكلمات كهذه بل لم يخطر بباله مثل هذه النية . ويقول فيتا حسان ان اهتمام أمين بك بالجنود وحسن التفاهة اليهم ينقض مثل هذه الفكرة من اساسها . غير انه وبالأسف قد صادفت هذه الكلمات التى حرفت عن مواضعها آذانا مصغية لا سيما بين كثير من الجنود .

وفى كل مرة يراد فيها القيام بحركة نحو الجنوب تتمرد المساكر ويتمذر تسييرها الى الأمام خوفا من القدر والحياة . ولقد كان هؤلاء يفرعون من السير صوب الجنوب ولا يتقاون فى اتجاهه خطوة إلا وهم حذرون أشد الحذر ولا يدفعهم ان يولوا وجوههم شطره إلا الجوع . وهذا موقف يسترعى النظر لأنه يزيج الستار ويبين السبب فى ثورة الجنود التى حدثت فيما بعد .

وفى اليوم التالى لعقد الاجتماع ذهب فيتا حسان وقابل أمين بك وأفهمه أنه يخطيء لو سافر مع الوفد المقتضى ذهابه الى الأمير كرم الله وأن

الأفضل والأصوب أن يبقى في لادو لأن سفره يكون مقدمة لانتشار
الفوضى وانقضاء صرح النظام من أساسه وقيام المشاحنات والمنافسات
في كل صوب وناحية وظهور ذوى المطامع وتنصيب أنفسهم أسيادا .
ومن هنا تتولد العداوة والبغضاء وتسفك الدماء ويستمر ذلك الى ان يبيد
الناس بعضهم بعضا .

فاستصوب امين بك رأى فيتا حسان وقال له ان هذا هو رأيه
ايضا وانه لم يسلك هذا المسلك إلا اكتسابا للوقت وليقف على رأى
كبار الموظفين .

ووصل على افندى سيد احمد من غندوكورو في خلال هذه الاثناء
وقدم لأمين بك رأس اللورون فعينه امين بك رئيسا لقلم سكرتارية
المديرية وكتب الى عثمان افندى لطيف وكيل المديرية وكان في رول يعلمه
بأنه سيذهب الى الأمير كرم الله ويأمره بالرجوع الى محل وظيفته . ولم يكن
لهذه التدابير غاية سوى أن يفرس في أفكار الناس انه حقيقة راغب في
الذهاب الى الأمير كرم الله .

وفي ٢٨ مايو علم من خطاب وارد من حواش افندى ان زنوج دوفيليه
نشروا مرة اخرى راية العصيان وطلب المولى اليه بخطابه المذكور ارسال
امداد على وجه السرعة .

وكان أمين بك لم يزل متأثرا بجواب الأمير كرم الله ومراعاة لعدم
استقرار مجرى الحوادث في المستقبل على وتيرة واحدة رأى أن الوقت
غير مناسب لتجريد لادو من المساكر التي بها ورفض طلب حواش افندى

وكتب اليه ما يأتي :-

« لاني لا أستطيع أن أثبت لكم بامداد لمدم وجود جنود احتياطية تحت يدي . وان لديكم الجنود الكافية . وانكم علاوة على ما ذكر قد قتم في أصعب الظروف وأحرج المواقف بأعباء ما كلفتم به خير قيام . فيجب ان تدافعوا بنفس القوات التي تحت أمركم . ويدعوني الأمل الى الاعتقاد بأنكم في هذه المرة أيضا تستطيعون بما جبلتم عليه من علو الهمة وحسن التدبير أن تتغلبوا على جميع ما يصادفكم من المصاعب . ولاني فوق ذلك قد كتبت الى حامية لاتوكا باخلاء منطقتها والذهاب لمعاونتكم والأخذ بناصركم . فيلزم أن تقاوموا الى أن تصل اليكم الحامية المذكورة ولا بد أن تتغلبوا بما تسديه لكم من المساعدة على أولئك الزوج » .

نبذ موظفي لادو احترام المدير

وحدث في نفس ذلك اليوم حادث زاد أفكار أمين بك اضطرابا وبلبلة والموقف حرجا وشدة . ذلك أنه رغما عن الاحتياطات التي اتخذت قد أذيع في لادو خبر كتاب الأمير كرم الله في نفس عشية يوم وروده .

وفي اليوم التالي شرع موظفو لادو وأغلبهم من المنفيين لسبب ما وليسوا بطبيعة الحال من الطبقة الراقية لا من جهة الطباع ولا من جهة الأخلاق ، يطوحون وراء ظهورهم بالاحترام المفروض عليهم لأمين بك .

فقد أرسلت محطة أمادى كمية من الزيت الى محطة لادو .
وبما ان بعض الموظفين طلب منها مقادير وافرة وأصر على الحصول على
المقادير التى طلبها بين لهم أمين المخازن استحالة إجابة طلباتهم فاستعملوا
معه الوقاحة وفخس القول وعلى ذلك رفع شكواه الى أمين بك . فانتقل هو
نفسه الى المخازن رجاء ان يؤثر عليهم بوجوده ويراقب توزيع الزيت .
وطلب رجب افندى محمد كاتب الحسابات لنفسه وحده ٤٠ رطلا من الزيت
على حين ان جميع الكمية المخزونة لا تتجاوز ٣٠٠ رطل . ولما أعلمه بذلك المدير
جاوبه بوقاحة الجواب الآتى :

« لقد مضى وانقضى زمانك ، وأتى زمان الأمير كرم الله ، وليس لك
أن تعطى أوامر هنا بعد اليوم !! » .

ولما كان أمين بك لا يريد ان يتفاهم الخطر الذى يهدده من الخارج
بأحداث ثورة بين الموظفين لا سيما أنهم كانوا فى ذلك الوقت موقنين
بسقوط حكومة السودان ويرون أنفسهم مطلقي الإرادة لا رقابة عليهم
فقد كظم غيظه وأمر باعطاء ذلك الافندى الكمية التى طلبها بدون ان ينسب
بينت شفة .

وأخذ فيتا حسان يسائل نفسه عما اذا كان يوجد مسوغ يبرر الحكمة
التى لجأ اليها أمين بك فى مثل هذه الحالة وعما اذا لم يكن الأفضل
رفض مثل هذا الطلب بتاتا ليكون هذا الرفض درسا زاجرا وعبرة
للآخرين .

ويرى فيتا حسان وقد أصاب محجة الصواب ان تصرف أمين بك هذا

لم يكن في هذه الحالة إلا نوعا من الضعف كما هو شأنه في احوال كثيرة غيرها مماثلة لها . ويقول المذكور ان كل مرة استعمل فيها أمين بك السماح والحلم عوضا عن العقاب والقصاص بينما كانت الحالة تستوجب الصرامة والشدة لم يجن من ذلك غير ازدياد جرأة مرؤوسيه ووقاحتهم . ولم يجد ضعفه تجاه رجب افندى محمد سوى التهادى في العطرسة وعدم الانتقاد وكان سببا في كل الحوادث المدلّمة التي نزلت في ساحة البلاد .

وعندئذ تهاطلت الطلبات من جميع الاصناف والانواع على مخزن المديرية واخذ امين بك في ارفاقها جميعها بأذونات الصرف حتى بدون ان يراجعها لانشغاله في مسائل اخرى من جهة وخوفا من ان يشهد لسانا آخر عليه من جهة ثانية .

وأدرك فينا حسان من أول وهلة ان هذا الاغضاء ستكون عاقبته بلا جدال حدوث مجاعة وقرر وضع حد باحدى الوسائل لنهب المخازن وعلى ذلك توجه الى القاضى وافهمه ان المديرية خضعت للمهدى وان كل ما فى المخازن امسى ملكا لبيت المال وان من واجباته بصفته اكبر مرجع دينى ان يراقب كل ما يصرف من الآن الى ان يصل وكيل المهدى وهو الأمير كرم الله . لأنه اذا استمرت الحالة جارية على هذا المنوال لا تلبث إلا ان ترى فى المخازن شيئا لا يذكر . ولا يجد المهديون عند مجيئهم قطيرا فيعززون اليك هذا التبذير والاسراف . والمهم هو صدور أمر كتابى فى الحال الى المدير بعدم صرف أى شىء من المخازن بدون أمرك .

وكان القاضي يخشى رغما عن تحمسه للحكومة التي ستتمخض عنها الأيام أن يمس احساس أمين بك بالقيام بعمل ما أشار به فيتا حسان غير ان هذا طمأنه وقال له انه يتكفل فوق ذلك بان يسوى المسألة وان كل ما عليه كتابة الأمر وتوصيله الى أمين بك .

وذهب فيتا حسان الى أمين بك ليحيطه علما بما اتخذه من التدبير وليرجوه القبول مراعاة للمصلحة العامة . وبعد برهات قدم القاضي وسلم الأمر للمدير وهذا استدعى عثمان ارباب وكلفه تبليغه لجميع الموظفين واخبارهم انه يجب عليهم من الآن فصاعدا تقديم طلبات الصرف من المخازن الى القاضي . ولما انصرف هذا الأخير أفهم أمين بك فيتا حسان ان هذه المسألة لم تنل استحسانا فأجابه فيتا حسان ان ذلك من مصلحة الجميع وبغير هذا العمل لا يكون سوى القحط والمجاعة .

عقد اجتماع للنظر في سفر

المدير العام للأمير كرم الله واصدار قرار

بينما كان فيتا حسان عند أمين بك قبيل أول يونيه إذا بالقاضي دخل عليهما ونصح المدير بالعدول عن الذهاب الى الأمير كرم الله لأن سفره يلقي المديرية في احضان الحيرة والقوضى وعرض ان يسافر هو عوضا عنه على ان يبقى أمين بك ويستمر في تصريف الأعمال . وهذا أمر كان لا يمكن الا ان يسر له أمين بك . فمقد اجتماعا جديدا طرحت فيه هذه المسألة فصودق عليها كما صودق على القرار الآتي :

أولاً - بقاء الحالة على ما هي عليه في المديرية الى ان ترسل بواخر
ومراكب للسفر عليها الى الخرطوم .

ثانياً - اعفاء المديرية من كل غارة .

ثالثاً - عدم السماح باستعمال أى شطط قبل الجنود السودانية .

تتابع الحوادث وتآليف وفد لمقابلة الأمير كرم الله

وشب في لادو حريق في اليوم التالي ٢ يونيوه قبيل الساعة ٨ صباحاً
تدفعه ربح شديدة من الشمال وأخذ يهدد جميع أنحاء المحطة واستحال
القيام بمساعدات ودعت الحالة الى الاكتفاء بهدم بعض الاكواخ تهدئة سير
النيران وذهب تقريباً نصف لادو كما ذهبت جميع الحواجز الخشبية
والاكواخ المكونة من القش طعمة للنار التي لم نحمد انفسها الا قبيل
منتصف النهار .

وتوات ضربات يد القضاء بسرعة مدهشة .

فبينما كان الدخان لم يزل يتصاعد من اكواخ لادو اذا بخطاب أتى
من سليمان افندى عبد الرحيم ضابط حامية مكراماً منبثاً ان ابراهيم
افندى جورجورو رئيس هذا المركز ترك محله وسار الى بحر الغزال هو
وجميع من معه من الخطرية الذين يكونون القسم الأكبر من الحامية
وأخذوا ما كان معهم من الأسلحة والذخيرة لينضموا الى الأمير
كرم الله . وكاتب المركز ابراهيم افندى تراس وهو الخطرى الوحيد
الذى ظل محله جلد ٥٠٠ جلد وترك في موضعه بظن انه ميت .

وطلب سليمان افندى بالحياح ارسال امداد لانه لم يبق لديه الا زهاء ١٢ جنديا سودانيا . وبالطبع يخشى عودة الخطرية أو قيام أهالي المركز لان هؤلاء لا يقيمون على الولاء إلا مع وجود حامية قوية .

وانتهز القاضى الذى كان حاضرا هناك وقت مجيء الخبر هذه الفرصة ليحث أمين بك مرة أخرى على البقاء لأن المديرية كما قال مشرفة على أوقات تزداد شدة مع توالى الأيام وتستدعى حتما وجود المدير .

وتقرر مرة أخرى تأييدا لما سبق تقريره فى الاجتماع الأخير ان يبقى أمين بك ويسافر القاضى عوضا عنه بصفة رئيس للوفد ويكون فى معيته عثمان ارباب ، و ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا سابقا ، و محمد بابا ، و محمد افندى عثمان الكاتب ، و موسى افندى قندا ليبلغوا الأمير كرم الله خبر خضوع المديرية .

وما كان أحد يدري غير أمين بك وفيتا حسان ان الخضوع لم يكن إلا ظاهريا وان الغرض والقصد من ارسال هذا الوفد هو فقط لإيقاف تقدم الدراويش ابتغاء إجماع الوقت الكافى لاتخاذ قرار نهائى وجمع قوات المديرية المبعثرة .

وفى ٤ يونيه ورد خبر مكدر آخر ذلك ان دنكاوي رول تمردوا مرة اخرى وان مأمور القسم محمد افندى الصياد يطلب امدادا .

وكان أمين بك قد قرر اخلاء المراكز البعيدة لكى يجمع كافة قوة المديرية المسلحة فى بعض نقط الا انه كان لا يود القيام بتنفيذ مشروعه هذا قبل سفر الوفد حتى لا ينكشف الغطاء عن خططه . وعلى هذا أهمل

الرد على خطاب محمد افندى الصياد الى ان سافر القاضى ورفاقه .

وسافر الوفد فى ٧ يونيه وسافر معه من لادو ١٢ جنديا بقيادة الضابط موسى افندى قندا . وأخذ معه كمية من الأشياء التى بالمخزن وصندوقا به ١٠٥ دست مظاريف رمنجتون وهذا الصندوق حتم أخذه عمان ارباب . وأعطى أمين بك القاضى ٥٠ ريالا من ماله هدية واعطى عمان ارباب مثلها .

وفى اليوم التالى رحل أيضا جونكر الى دوفيليه ومعه ٦٠ حمالا ليحاول بلوغ زربار وسلمه أمين بك خطابا برسم حواش افندى أوصاه فيه بأن يضع نفسه تحت كامل تصرفه فى رحلته .

إعادة النظر فى الحالة وتقرير خطط المقاومة

والآن وقد شعر أمين بك بشيء من الطمأنينة ورأى نفسه مطلق اليدين بعد سفر هذا الوفد أخذ يواصل العمل ليلا ونهارا فى سبيل جمع شتات الجيوش وتنظيم معدات الدفاع .

واستدعى الصاعين حواش افندى ومرجان افندى الدناصورى وتباحث معها بصدد القرار اللازم اتخاذه . وكان هذان الضابطان لا يريان بتاتا الخضوع والتسليم وصرحا ان بالمديرية الزاد والذخيرة والمدافع والأسلحة بالمقادير الكافية وانه فى حيز الامكان وضع ٣٠٠٠ جندى على قدم الاستعداد وانه بهذه القوة يكون فى الاستطاعة مقاومة المغيرين .

وتقرر ترك تقسيم المديرية مراكز وتأليف حكمداريتين واحدة

في الشمال والاخرى في الجنوب وحشد العساكر فيها . وأشار حواش افندى على أمين بك بتعيين مرجان افندى حكامدارا في الجنوب وجعل قاعدة حكامداريته في دوفيليه وأن يرسله هو في الشمال ويجعل قاعدة حكامداريته أمادى . فقلب أمين بك الوضع وعين حواش افندى في الجنوب ومرجان افندى في الشمال . وتقرر علاوة على ما ذكر أن تظل حامية مكراكا في موضعها مع قائدها فرج افندى يوسف للدفاع عن هذا المركز وصدرت أوامر لريحان افندى ابراهيم قائد ميمبتو وعثمان افندى لطيف وكيل المدير المقيم في رول بأن يخليا هاتين النقطتين وتتوجه حامية ميمبتو الى مكراكا وحامية رول الى أمادى .

ولم تكن القوة المسلحة التي في مكراكا شيئا مذكورا بعد هرب الخطرية غير أنه كان من المهم جدا الدفاع عن هذا المركز الذي منه ترد معظم كميات الجبوب . وكانت كذلك تقوية حامية أمادى بضم جنود رول اليها من الامور التي لا تقل في الالهمية عن الدفاع عن مكراكا لان أمادى هي النقطة الاولى الواقعة في مقدمة المديرية وفيها يتصادم الجيش مع جيش العدو عند قدومه من بحر الغزال . فكان من الضروري احتلال حصونها بجيوش كافية حتى يمكن صد تقدم المهديين .

ولدى ارسال أمر اخلاء ميمبتو بعث أمين بك بكتاب الى اليوزباشى كازاتى يحيطه فيه علما بالسبب الذي من أجله رأى من الضروري اخلاء المركز وقال له انه يحسن لو قدم عنده في لادو . غير انه رغما عن هذا الاخطار أصر على البقاء في المركز ولم يبارحه الى لادو الا بعد ذلك بزمن .

وفي خلال هذا الوقت ظهر في لادو جنديان سودانيان وهما الأطروش

وأخوه . وكانا عاربي الجسم كلية . وهذان الجنديان هما من الجنود التابعة لحامية بحر النزال . وقد تمكنا من الهرب وقت أن سلم لبتون بك ومعها كساويهما الرسمية . وإلى القارىء الكيفية التي مرت بها الحوادث حسباً رويًا :-

حالما ذاع خبر اقتراب الأمير كرم الله كان الخطرية قد قرروا قبل ذلك زمن رغما عن جميع توكيداتهم أن يظلوا مخلصين للبتون بك والإيمان التي أقسموها بأن يقاتلوا في صفوفه إلى أن لا يبقى منهم أحد ، أن ينضموا إلى رجال المهدي . ولما أُنذر المهديون للبتون بك بالتسليم رتب جيوشه وهياها للقتال وأمر بالشروع في إطلاق النار فلم يتحرك خطرى واحد عن مكانه وصرحوا متفقين بأن لا يصبوا أسلحتهم نحو اخوانهم . ودنا مصرى من رجال المدفعية من مدفعه غير انه قبل ان يتمكن من إطلاقه أطاق خطرى رأسه بحسامه . وعندئذ فتح الخطرية أبواب الحصن وفي لحظة استولى عليه الدراويش ولم تحش زوج لبتون بك وقد تولاهما الغضب من جراء سفالة ودناءة الخطرية ان توجه اليهم الفاظا بالغة في الشدة على ما بدا منهم من الحيانة والعدر .

وأحرق الأمير كرم الله جميع دفاتر وأوراق الحكومة ونهب المخازن وبث لبتون بك ومستخدميه مخفورين إلى أم درمان وجردهم إلى النسيير من الجنود السودانية الذي كان ضمن الجيش المصرى من أسلحته ومن ثيابه ووضع فيهم الاغلال وباعهم أرقاء هم ونساءهم وأولادهم :-

وهذه الحكاية لاسيما القسم الأخير منها قد وردت في الوقت اللازم فهجت بلايل جنود المديرية وأثارت عزة نفوسهم وحملتهم على الانضواء إلى

جانب القرار القاضى بالدفاع الى آخر نسمة من الحياة . ووطدت غيرة الجنود
وهميتهم ثقة أمين بك به .

تمرد الزنوج على أثر اتساع نطاق الثورة المهديّة

وقد وصل في الوقت نفسه مع الحسين القطعة الدامور « نسيج من القطن »
التي أرسلها لتون بك قبل الانقلاب الذي حدث وتأخر وصولها بسبب
الثورة التي قامت في رول ، خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت يؤيد
الأخبار السيئة التي وردت عن محطى جهة الشمال وهما شمبي و بور .

ولم يعزب بعد عن البال ان عبد الوهاب افندى طلعت قد سافر من
أجل إيصال زاد من بور الى شمبي . وقد جاء في خطابه البادى ذكره انه
حال وصوله الى بور كان معظم الحامية غائبا في غزوة . ومع ذلك وسق
الأشياء اللازمة في مراكب وانحدر هو مع مجرى الماء صوب شمبي غير
أنه عندما بلغ المحطة وجدها قفرا ليس فيها أحد وقد هدمت من أساسها
وانقلبت رأسا على عقب ولم يجد من يخبره عما فعل الله بالحامية .

وبعد أن قاسى كثيرا من المشاق وكابد شتى الأخطار مدة ٢٤ يوما اضطر
في خلالها أن يسحب المراكب وصل الى بور فوجد ان معظم حاميتها المؤلفة
من ٩٢ رجلا وقائدها عبد الله افندى نير قد أبادهم العميد اباداة تامة حال قيامهم
بالنزول ولم يبق بالمحطة سوى ٣٠ جنديا . وعلى ذلك ظل عبد الوهاب
افندى طلعت في بور يرتقب مرور باخرة صاعدة مع النيل لتجر مراكبه .
وبينما هو في الانتظار اذا بالزنوج قد ثاروا وحاصروا المحطة .

وجاء أيضا في الخطاب المذكور أن المحطة الآن محاصرة حصارا يفوق

كثيرا حصارها من قبل وان مجموع الجنود الذين تحت يده لا يزيد عن ٤٢ جنديا ٣٠ منهم وجدهم هناك و ١٢ كانوا بجميته . وان الخروج من الحصار أمر مستحيل وعلاوة على ذلك فانهم يقاسون مريض الحرمان من كل شيء . ويشعلون قش الاكواخ المسماة « توكول » Tokuls القاعة في قلب الحصن للحصول على نار . وقال في ختام خطابه : البدار البدار بارسال نجدة ! !

وكان لا بد من ارسال قوة كبيرة من المساكر الى بور لأن ارسال قوة صغيرة يعد من باب المجازفات والتعرض لأعظم الأخطار . ولما كان أمين بك لا يمكنه أن يستغنى عن عدد كبير من المساكر استدعى في ٢٦ يولييه كبيرا من كبار الزوج يقال له « بافو » وأعطاه ثلاث أبقار وكلفه بتوصيل خطاب وكمية من الزاد الى بور وأوصى عبد الوهاب افندى طلعت بالثبات في مركزه الى ان يستطيع حشد بعض من المساكر وارسالها اليه وأمره باخلاء بور اذا امكنه ذلك والانسحاب الى لادو .

ومن ذلك يعلم ان راية العصيان كانت قد نشرت وكان كل يوم تشرق شمس يأتى بخبر تمرد جديد . فاللاديون في لا بوريه بقيادة كبيرهم « ماتو الصغير » أبدوا روح العصيان وعتوا غير أن ثورتهم أخذت في الحال ولم تمتد وتشمل جميع الماديين . وهذا من حسن الطالع ولطف البارئ إذ لولا ذلك لضاع كل أمل ولم يبق أى رجاء . وتمرد الشولين بدوفيليه قضى عليه في الوقت نفسه قضاء مبرما .

وكان أمين بك قد قرر مع حشد الجنود نقل قاعدة المديرية الى الجنوب وان يجرى ذلك ببطء حتى لا تكون المسألة أشبه شيء بالتقهقر . وأبدى سيبا

معتقولا لعمل هذه التدابير وهو استحالة إيجاد ما يلزم من المؤونة في لادو
لمدد كبير من الناس بعد اخلاء رول واختلال النظام في مكرا كا وضياح
شمبي و بور . وهذا على نقيض الحالة في دوفيليه اذ ان هذه بلدة
مخصبة ومحصولها يفي بحاجات اضعاف المستخدمين والمساكر كما اتضح
ذلك فيما بعد .

وأمر أمين بك بنقل المكاتب الى دوفيليه وأن يسافر في كل يوم اثنان
أو ثلاثة من الموظفين ومعهم اسرتهم . وألغيت كذلك محطة فايكو وانتقلت
حاميها الى دوفيليه .

ولم يكن المهديون قد قدموا بعد ومع ذلك فقد نشر بعض اناس في نفس
المديرية راية العداوة . وهذا ما حدث :

قدم ذات يوم من أمادي ساع مستعجل للغاية ليبلغ ان قانصا من
قانصي الفيلة ومن أجرئهم يقال له على كركوتلي جمع بعض الدناقلة عندما وصل
نبأ وصول الأمير كرم الله ومضى معهم الى المهديين . ولما مروا بمحطة
صيادين الصغيرة قتلوا سبعة جنود من حاميها الصغيرة المؤلفة من ١٩
جنديا كما اجزوا على ضابطهم عبد الله افندي غرباوى . أما الباكون فقد استطاعوا
أن يهربوا في القنابة . فأمر أمين بك في الحال رجب افندي من بوفي أن
ينتقل بناية السرعة الى هناك لامدادهم .

وكان لدى حكمدارية خط الاستواء قناصون أشبه بعلى كركوتلي
مرتب لهم ماهية شهرية قدرها ٢٥٠ قرشا وكان يصرف لهم ثمن ما يوردونه
من العاج للقنطار الواحد ٥٠٠ قرش شهريا . ويوردون عادة من قنطار

الى عشرة قناطير في الشهر ولا يخصم من حسابهم إلا ثمن ما تسلموه من الذخيرة وهو الثمن المزمون بدفعه .

استطراد في كيفية صيد الفيلة

وكان هناك طريقتان لاقتناص الفيلة وهما البندقية أو الحفر المسقوفة .
والعرب يقتنصون الأفال على وجه العموم ببنادق ذات عيار كبير يسمونها « شوشخانة الفيل » . وهي سلاح ضخم عياره ٥ سنتيمترات يحشى بزهاء ١٢ رصاصة حجم الواحدة منها ١٢ ملليمترا و ٦٠ جرام بارود . ولا بد من جراءة كبيرة لصيد الفيل بسلاح كهذا . ومع ذلك كان عدد قناصي الفيلة من العرب في كوردفان و بحر الغزال و دارفور كبيرا . وهذا يدل بلا جدال على بأس وقوة قلب عرب السودان . والمتبع بحكم العادة هو ان يربط الصيادون ذوو الحنجر السلاح في شجرة ويتربوا مرور فيل في اتجاه مرمى السلاح . أما القناصون الشجعان الأبطال فيكتفون بوضع عضادة على صدورهم وعليها يسندون السلاح ويطلقونه فلا تستطيع الصدمة ان ترحزهم عن مكانهم الى الوراء قيد أنملة .

وقناصو الزنوج يصيدون الفيل بثلاث طرق مختلفة . فالدينكاويون واللاتوكيون يفوقون العرب في الجسارة ويمكن القول أنهم يصارعون الفيل جسما لجسم . فالقناص يبحث عن الفيل ثم يتعقبه على بعد بضعة أمتار منه ويقذفه بجرية بقدر ما يستطيع من قوة . ولا تكفي هذه الضربة الأولى بوجه عام للاجهاز عليه فينقلب في اتجاه الصياد وهذا يتتبع عن طريقه سريعا بقفزة ويرميه بجرية أو اثنتين أو ثلاث الى ان ينجر صريعا .

وأكاواو Akkas ممبتو الذين لهم مهارة خاصة في استعمال الاقواس يرمون ذلك الحيوان في مبدأ الأمر بسهمين في عينيه وعندما ينقلب أعمى يندس منهم نحو الاثنى عشر رجلا تحت بطنه وأجسامهم مدلوكة بيول القبلة ورونها حتى لا يشعر الفيل بهم عندما يدنون منه ويأخذون في فتحها بضربها بزازيقهم القصيرة ضربات متوالية ثم ينسحبون في الوقت اللازم حتى لا يسحقهم الحيوان بجسمه الضخم عند وقوعه .

وعندما يقتل الأكاويون فيلا تنصب القبيلة كلها مضاربا بجانب الفريسة شهرا أو شهرين الى ان تلهم جميع لحمها وشحمها ثم تعود الى سيرتها الأولى في التنقل والرحيل من ناحية الى اخرى الى ان تعثر على فريسة اخرى .

ويحفر مكراكاويو ممبتو في الأرض حفرة كبيرة عميقة وينطونها بطبقة كثيفة من فروع الأشجار والحشائش ويضعون فوق ذلك طبقة رقيقة من التراب . وعندما يضع الحيوان قوائمه عليها وهو آمن مطمئن يهوى في جوفها فيندق جسمه لثقله .

ويستعمل زنوج آخرون لاسيا الشوليون لصيد جميع الحيوانات البرية وليس الفيل وحده ، فخا فيه شيء من التفتن . ذلك أن يختاروا شجرة لها فرع صلب ممتد امتدادا أفقيا فوق الطريق وينصبون على هذا الفرع جبلا متينا ويلقون بأحد طرفيه حجرا ثقيلا ومزراقا جسيما بصفحتيه أسنان حادة مثل التي في السهام ذات الكلابات . وهذه الآلة تعلق في الفضاء بواسطة الحبل . وفي الطرف الثاني يثبتون قطعة خشب تدفن في الأرض دفنا بسيطا حتى تعادل الحجر والمزراق فقط . وعندما تصطدم قائمة الفيل بالخشبة

تقفز من الأرض فتقع الحربة بفعل ضغط الحجر رأسيا في جسمه .

وفي ١٢ يونيه ورد لأمين بك خطاب من ابراهيم افندى جورجورو بمكراكا يقول فيه انه أرسل بقلته الى أمادى وانه متوجه الى هذه المحطة لزيارته وذلك لظنه ان أميننا بك سيسافر مع الوفد كما تقرر ذلك في بادى الأمر . غير ان هذا السفر صار العدول عنه فيما بعد وعلى هذا كان سيلاقى القاضى عوضا عن المدير .

وتلقى كذلك أمين بك خطابا من كاتب مكراكا يقول فيه انه بعد سفر ابراهيم افندى جمع خليل افندى مرعى وهو ضابط مصرى ضباط الصفوف وقال لهم ان كل واحد يمكنه ان يأخذ ما شاء من المؤونة ويذهب الى حيث يريد لأن الحكومة أمست لا وجود لها . فزاد الفزع والجزع فى النفوس على أثر ذلك لاسيما أن عددا من الدناقلة ذهب لينضوى الى الأمير كرم الله . وعندما بلغ أميننا بك هذا الخبر أرسل فى الحال ضابطا وعشرة عساكر للقبض على هذا الضابط وارجاع الناس الى جادة الصواب .

وفي ١٥ يونيه تناول أمين بك ثلاثة مكاتيب من بلال افندى بمكراكا يذكر فيها ان ابراهيم افندى جورجورو بعث ببعض الرجال ممن له بهم ثقة الى كاباندى ليحضروا ٢٠٠ زنجى من قبيلة البومييه Bombés مسلحين ويسبوا على قدر ما يستطيعون من النساء والاولاد . ولما تمت هذه العملية حسبما يشتهى ويريد استولى على جميع المؤن والنخائر والسلاح الذى كان فى مخازن واندى وذلك بعد ان دمر كاباندى . وأتجه عقب ذلك هو وعصابته شطر مكراكا الصغيرة بعد أن أغرق المركبين اللذين كانا فى نهير جاى Jai حتى يمسى تعقبه: أمرا مستحيلا .

وقد سب الشيخ كبايندى فى مكراكا الصغيرة خدام منزل احمد افندى الافغانى ودمر وأحرق دار مصطفى افندى درويش مأمور المحطة وألبسه القيود والأغلال واقتاده معه . وبعد أن ارتكب كل هذه الجرائم والآثام يم فى نهاية الأمر شطر بحر الغزال وبمعيته الضابط المصرى خليل افندى مرعى .

وبعث أمين بك بلا توان ضابطا و ٦٠ جنديا لتقوية حامية مكراكا ليوطدوا النظام فيها ثانية . وعجل كذلك مرة أخرى بإرسال رسول الى ريحان افندى ابراهيم قائد مركز ممبتو يحمل أمرا باخلاء هذا المركز فى الحال والانسحاب الى مكراكا . وأمر أيضا بحفر خندق عميق حول لادو وبناء حصن ثان للمدافع فى زاوية القلعة .

ولما اشتدت الأحوال فى محطة أجاك تركها عثمان افندى لطيف وانسحب الى أمادى ليرجع منها الى لادو .

وفى ٢٠ يونيه ورد الى أمين بك رسالة من عثمان ارباب ذكر فيها ان دنقلويا قص عليه ان لبتون بك ظل فى وظيفته وان الأمير كرم الله سينطلق صوب مديرية خط الاستواء فى ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه .

وفى ٢٢ منه وصل عثمان افندى لطيف الى لادو قادما من أمادى حيث اجتمع بالقاضى وأعضاء الوفد الآخرين وقال ان ابراهيم افندى جورجورو لم يأت الى أمادى وانه من الجائز ان يكون قد ذهب مباشرة الى بحر الغزال .

وفى ٢٤ منه وردت الانباء من مأمور المحطة فى روميك عن طريق أجاك

ان بعض الدناقلة كانوا قد مروا بحال الزوج ليمتاروا لوازمهم فأحاط هؤلاء بهم وقتلهم وأهلكوا منهم ٣٠ نفسا . ويقال ان الباقي منهم رجع . أما المساكر فلم يقتل أحد منهم لأن هؤلاء لم يبارحوا المحطة . وأمر أمين بك في التو والساعة باخلاء روميك كلية لأنها لم تعد صالحة لشيء بعد سقوط مديرية بحر الغزال وحشد جميع الجنود والموظفين الملكيين في أجاك حيث الأمن متوافر .

وفي ٢٦ يونيه وصل الى واندى رجل من الدناقلة الذين كانوا قد سافروا بعمية ابراهيم افندى جورجورو مفضلا الرجوع الى المكان الذي كان به وذكر أن معظم الجمالين والأسارى هربوا وان ابراهيم افندى كان على حسب قوله في كودورما هو والضابط المصرى خليل افندى مرعى وبعض الجنود والمصريون الذين كانوا منفيين في مكراكا وبعض الدناقلة . والأخبار الواردة من واندى تؤيد كذلك رجوع كثيرين من الدناقلة والزوج .

وفي ١٠ يولييه وردت أنباء الى لادو مفادها أن الشيخ الطيب رجع الى مسقط رأسه مكراكا بعد أن أقام سنتين في الخرطوم وقابل ابراهيم افندى جورجورو في كودورما . ولما عين سلوكه وعلم بما صدر منه من الأعمال أمر شيخ الناحية أى فقيه مكراكا وكان قد انضم الى ابراهيم افندى بأن يلتقى القبض عليه وان يطلق سراح مصطفى افندى درويش وكل من يلوذ به ويرجع جميع الدناقلة والمستخدمين الى وظائفهم . وتم ذلك فعلا غير ان ابراهيم افندى تعلق بأذيال الفرار تحت جنح ظلام الليلة التالية لليوم الذى قبض عليه فيه هو وأربعة من الجنود وبعض الدناقلة .

وظل مع ذلك أغلب الذين أطلق سراحهم من هؤلاء الأخيرين في

كودورما ورجع منهم سبعة فقط الى أمادى وقالوا انهم أكرهوا على ترك
محلهم فجردوا من أسلحتهم وأعيدوا الى المحطات التى كانوا بها من قبل وقبض
على خليل افندى مرعى الضابط المصرى وأرجع .

وورد من مأمور محطة موندو Mundu انه لم يبق لديه سوى عشرة رجال
وهرب الباقون وان طريق ممبتو ما زالت مفتوحة للسابلة وانه من المحقق
أن مصطفى افندى درويش استطاع النجاة وان مخازن واندى لم تنهب وان
النظام استتب ثانية فى مكرাকা .

وفى ١٣ يوليه قدم الى لادو عسكرى من أجاك وذكر ان القاضى
وباقى الوفد كانوا عند سفره لا يزالون بالمحطة وانهم لا يمكنهم الذهاب الى
بحر الغزال لأن الزنوج سدوا الطريق . والظاهر أيضا ان الدناقلة
الثلاثين الذين هلكوا وهم فى طلب المؤونة حسب رواية مأمور محطة
روميك لم تماجلهم المنية بالكيفية التى ذكرها بل عند ذهابهم الى الأمير
كرم الله .

وفى ١٦ يوليه قدم فجأة الى لادو بعد انتظار أخبار أجاك زمنا طويلا
كاتب هذه المحطة ومعه ضابط صف واحد وأربعة جنود يحمل رسالة موقعا
عليها من بعض الضباط وضباط الصف وهذا منطوقها :

« نظرا لسوء ادارة محمد افندى الصياد حدث أن هاجم الدناقلة
المساكر فى أجاك . وعبثوا للآن خمس مرات باعراض النساء والمساكر .
وسلم الضابط المذكور الى هبؤلاء الدناقلة بعض النساء بدون بحث
ولا رقابة . وان بعض الجنود لجأ الى الهرب بسبب سوء المعاملة بهذه

الكيفية الى مواضع لا نعلمها والبعض الآخر يستمد للاقتداء بهم واقتفاء
أثرهم . وان سلوك هذا الضابط المناق للصواب والمقل حمل الناس على
السرقه والنهب وان جميع المساكر في أشد حالات الهيجان ونحشى ان يتلقوا
بأذيال الهرب ويأتوا اليكم شاكين مما حصل . والظاهر ان سائر الدناقلة
أمسوا متعاهدين . وجميع أسلحة رمنجتون المرسله من لادو برسم محطى
شمي و بور المستجدين تقاسمها توابع ضيف الله . والدناقلة الذين قدموا
مزودون ببعض سلاح رمنجتون ولديهم الذخيرة الكافية . ولذلك نجنح
للاعتقاد بأنهم لن يتأخروا عن أن يحذوا حذو اخوانهم في السلب لاتحاد
الكل في الاميال . ومع ذلك فنحن مستعدون لمكافئهم اذا لم يكفوا عن
الاجحاف والاستبداد مع المساكر أو اذا لم ترسلوا لنا مددا .

تحريرا في ٢ يوليه سنة ١٨٨٤ .

الامضآت

سليمان . خير . حسن

* * *

وبما انه كان قد تقرر سفر مرجان افندى الدناصورى في ٢١ يوليه
ليسلم قيادة أمادى كلفه أمين بك بأن يتقل عقب ذلك الى أجاك ويضع حدا
للفوضى ويوطد النظام .

وطلب ضابط صف مسقط رأسه بومييه من أمين بك اجازة غياب
فأذن له بها مع الارتياح لاسيا انه كان في خدمة أمين بك بصفة
مراسلة منذ عامين . فموضنا عن أن يشتغل ضابط الصف هذا بمصلحه

الخاصة حشد زهاء عشرين رجلا من التراجمة وقتل بمعاونتهم سبعة من الدناقلة . وأمر أمين بك حفظا للنظام بمحاكمته في مكراكا وتقديمه الى مجلس عسكري .

وفي ١٨ أغسطس ورد بريد أمادي و أجاك . وارسل مرجان افندى ضابطا و ضابط صف و ٣٢ جنديا لقتال القناص على كركوتلي الذي ما زال للآن معتقلا الجنود الذين أسرهم في محطة صيادين عوضا عن أن يعمل بالضبط والدقة بأمر أمين بك القاضي بانتداب الرئيس تكفارا Takfara ورجاله لهذا الغرض . ولدى مرور الضابط المذكور ومن معه أمام زريبة يحتلها فريق من الدناقلة المتمردين واقعة على الطريق الموصل من أمادي الى مكراكا ، قابلهم هؤلاء بطلقات البنادق فرد الجنود المهاجمين واستولوا على خمس بنادق منها واحدة رمنجتون وقتلوا ١٥ رجلا وأرسلوا السلاح في الحال الى أمادي واحتلوا عند ذلك الزريبة . وفي اليوم التالي لما تكامل عدد الدناقلة أدخل الضابط ضابط الصف ومعظم المساكير في الزريبة وسار هو وخمسة رجال في اتجاه العدو فقتل من هؤلاء الرجال أربعة وجرح الخامس واضطر الضابط أن يتقهقر غير أنه وجد ضابط الصف والجنود قد لاذوا بالفرار فالتزم هو كذلك أن يهرب . وعلى هذا يكون اجمال الخسائر ه بنادق من طراز رمنجتون و ١٠٠ ربطة مظاريف . وهذه كارثة وخيمة يترتب عليها شموخ الدناقلة ورفع رؤوسهم .

وكان مرجان افندى قد انتقل الى أجاك بعد أن مر بأمادي . وأمر أمين بك بإرسال امداد الى هذه المحطة الأخيرة . وشاع وذاع ان ابراهيم افندى جورجورو ومن معه قتلهم الزوج . وأن كافة الدناقلة الذين في أجاك

قد جردوا من أسلحتهم .

وجاء في بريد مكراكا الذى وصل فى نفس ذات اليوم ان مصطفى افندى درويش مستعد للرجوع إلا ان الدناقلة لا يدعونه يسافر . وجاء فيه ما يؤيد خبر هجوم الزوج على ابراهيم افندى ومن معه وقتلهم جميعا وذلك عند مسيرهم بقرب دوجورو Doguru وانه لا يعلم أين مقر الأمير كرم الله وان الاحوال فى مكراكا سارة قارة .

وفى ٢٠ أغسطس ورد خطاب الى أمين بك من مرجان افندى فى أمادى مع كتب أخرى أحدها من عثمان ارباب صادر من محطة صيادين فى ٨ أغسطس يقول فيه : « لقد عدت من بحر النزال ومعى للمدير كتب سارة يفيض من خلال سطورها عبارات الوقار والاحترام . أرسل من بجىء بى . أنا مستعجل » .

فبادر مرجان افندى وأرسل فى الحال رجلا وكان لا بد أن يكون عثمان ارباب قد وصل الى أمادى من مدة لأن خطاب مرجان افندى مؤرخ فى ١٠ أغسطس .

وكتب أمين بك الى مرجان افندى أن يرسل عاجلا عثمان ارباب وان يحتفظ عنده بجميع من أتى من بحر النزال .

وقدم فى ٢٣ منه من غندوكورو جندى وأخبر أن ضابطى صف و ١٠ جنود وصلوا من بور وقال إن جميع الأمور سائرة هناك على ما يرام ، وان الضابط عبد الوهاب افندى ومن معه من الرجال الذين كانوا قد أرسلوا لامداد شمى باقون فى بور هم والمركب الكبير

والذخيرة ، وأن الرجال الاثنى عشر سيصلون غدا الى لادو حاملين البريد . وكان قد مضى ستة عشر شهرا ولم ترد أخبار من بور . وكل الجهود التي بذلت لارسال بريد اليها عن طريق بوفي ذهبت هباء وكان الخوف على السفينة بالغا أشده . وكان يخشى أن تكون قد ضاعت هي ومن كان في شمبي .

وفي ٢٤ أغسطس وصلت جنود بور وأيدوا الأخبار التي وردت بالأمس . وكانوا قد قدموا منها عن طريق غندوكورو ولازموا في مسيرهم ضفة النيل الشرقية وقطعوا المسافة في ستة أيام وقابلهم الزوج في كل مكان مقابلة حسنة . ويرجع الفضل في ذلك الى الوسائل التي اتخذها الرئيس « بافو » Beffo من بالينيان . وبافوا هذا هو ذلك الرجل الذي أعطاه أمين بك ثلاث بقرات وفوض اليه حمل خطاب الى بور واحضار رد منها . وقص الجنود أيضا أن عبد الوهاب افندي الذي أرسل لامداد شمبي قد وصل اليها غير انه وجد هذه المحطة قد أمست أثرا بعد عين فارتد على عقبيه الى بور ووصل اليها بعد سفر دام ٢٨ يوما ذاق في خلالها الجوع وقاسى أنواع الشدائد وعاكسته الرياح . هذا فضلا عما كابده من صد هجمات المييد . أما الزوج الذين كانوا مقيمين حول بور فهؤلاء قد حل بهم من العقاب ما فيه مزدجر وهم الآن ملازمون جانب الهدوء والسكينة والنظام مستتب في المحطة .

وفي ٢٧ منه كتب مرجان افندي يقول ان الدناقلة في أجاك قد جردوا فعلا من السلاح وسجن البعض منهم . وان سليمان افندي عبد الرحيم سافر الى روميك في ١١ من هذا الشهر ومعه ١٨٠ جنديا ليجرد الدناقلة المقيمين بها من السلاح ويسترجع الجنود . وان جموعا

من الدناقلة المقيمين بلا ريب في مكرا كما يحشدون في محطة صيادين
• Sayadin

وفي ٢٨ أغسطس ورد خطاب آخر من أمادى مذكور فيه ان غلاما
من هذه المحطة وصل الى بوفى Bufi وروى أن عثمان أرباب وأعضاء الوفد
الآخرين ما زالوا في محطة صيادين وان موسى افندى قندا والعشرة
الجنود الذين بميته جردوا من السلاح وبلا ريب زجوا في السجن . ولحين
سفر الخطاب لم يرد أى خبر من أجاك ولم يصل عثمان ارباب الى أمادى
حيث أرسل أمين بك مرة اخرى ٥٠ جنديا معهم ذخيرة .

وفي ٣٠ منه وردت الأنباء من أمادى ان الجنود الذين أرسلوا الى
رومبيك أزعجوا الى أجاك السفن والمدفمين والذخيرة والزاد والمؤونة بتمامها
في ١٧ منه بدون ان ينقص منها شيء ولم يفقد سوى رجل واحد .
وقد كان سفر أولئك الجنود من أجاك في ١١ من هذا الشهر وسلوكهم في
هذه الرحلة يستوجب الثناء .

• أما قومندان هذه الفصيلة فلا يدري أحد ما الذى شرع في عمله هو
والدناقلة ولم يذكر بالخطاب الوارد من أمادى شيء عن هذا الضابط . والاحوال
في نفس هذه الناحية هادئة .

وأمر أمين بك باخلاء أجاك في الحال وحشد من بها من الجند
في أمادى .

وفي ١٤ سبتمبر وردت الأخبار من أمادى ان جميع الدناقلة جردوا من
السلاح في مختلف المحطات واعتبروا أسارى لانهم لو تركوا مطلقى السراح

لكان ذلك بمثابة نجدة ذات قيمة قد قدمت للعدو . وكذلك تركهم في أمادى أمر لا تحمد مغيبته ولذلك ارسل منهم مرجان افندى زهاء العشرين الى لادو لارسالهم من هناك الى دوفيليه وألحقهم بأخريين في خلال هذا الشهر .

وفي ٣٠ اكتوبر ورد الى لادو خطاب من أمادى مؤرخ في ٢٦ منه . ومما جاء فيه انه لا يعلم شيء من أمر حركات الأمير كرم الله . وجاء فيه أيضا ان أهالى محطة صيادين يتأهبون بقيادة القناص على كركوتلى للهجوم على أمادى . والروح المغنوية فى المساكر على ما يرام . أما جنود بوفى فلم يصلوا لغاية هذه الساعة .

وفي ١٠ منه ورد من أمادى بريد هام وورد من بين مشتملاته رسالتان مستعجلتان صادرتان من الأمير كرم الله الى امين بك لا يتعدى مضمونها مضمون الرسائل السابقة . غير انه ذكر برساتيه الأخيرتين خبرا هاما وهو خبر عقد نيته الآن على الهجىء الى لادو . وأذيع فى الوقت ذاته نبأ فحواه ان ١٦٠٠ رجل من المهديين وصلوا الى ماجونجو وقصدهم الهجوم على امادى . وما لبثت اخبار مكراما ان أيدت هذا النبأ .

وفي ١٥ نوفمبر أتى الى لادو خبر بان المهديين تقدموا صوب أمادى واحتلوا قرية الرئيس تكفارا الواقعة ارضه على ضفة نهر جاي الغربية بينما محطة أمادى قائمة على ضفته الشرقية . والرئيس تكفارا هذا كان قد بقى على ولائه للحكومة وساعد مساعدة كبرى هو ورجاله بتوريد الحبوب وغيرها من المحاصيل الى محطة أمادى .

وصول المهديين ومقاومة الجنود المصرية لهم

وفي ١٧ نوفمبر وصلت أول تجريدة من المهديين بمراى من أمادى وهي أقصى محطة فى الشمال الغربى لمديرية خط الاستواء فى وقتها . ووقف الدراويش وكانوا قد وصلوا ليلا على الضفة النهر تجاه المحطة . وصاحوا فى الصباح وهم على الضفة الأخرى من النهر على ثلثة من الجنود المصريين كانت قد خرجت لاستكشاف العدو قائلين أنهم يحملون كتبنا من الأمير كرم الله وانها تختص بتسليم المديرية حسب جوابات الأمير أمين بك . وطلبوا عبور السفينة التى كانت راسية بالضفة القاعة عليها المحطة الى الضفة المقابلة لها فاجاب الجنود بأنهم سيبلغون الأمر الى قائدهم ويأتونهم بالجواب .

وفى خلال هذه المناقشة ذاع وانتشر بسرعة فى أمادى خبر وصول الدراويش فاحتشد على شاطئ النهر بالتدريج جمع من المساكر للتفرج . ولما رأى الدراويش أن عدد المساكر آخذ دواما فى الازدياد وان الحذر باد على وجوههم غرسوا حربة فى الارض وعلقوا فيها كتب الأمير وانسحبوا الى حيث معسكرهم الرئيسى .

وأرسل الصاغ مرجان افندى الدناصورى قائد المحطة فى الحال سفينة صغيرة الى الشاطئ الثانى لتأتى بهذه الكتب . ولدى تلاوتها لم يوجد فيها شىء غير ما سبق وصرح به الدراويش . وأمر مرجان افندى بتصويب النار على الدراويش إذا عادوا ليطلبوا الاجابة . وتنفيذا لهذا الأمر احتجبت الجنود خلف الأشجار التى على الشاطئ وأعطيت تعليمات مقتضاها انه عندما يطلق مدفع من الحصن يكون اطلاقه اشارة بالبدء فى ضرب النار .

وظهرت الدراويش في اليوم الثاني وتقدر قوتهم بزهاء ٢٥٠ رجلا .
وقبولوا لدى اقترابهم نيران حامية فانسحبوا . وأتوا مرة اخرى في اليوم
الثاني محتجين وراء الاشجار واشتبكوا ثم والجنود في حرب تبادلوا فيها
الرصاص دامت ثمانية أيام . ولاحظ اليوزباشى خير الله افندى حميد في اليوم
الثامن ان الدراويش يقطعون الأشجار ليقيموا لهم زريبة تقيمهم نيران
الجنود فطلب عندئذ من مرجان افندى ٣٠٠ رجل ليخرج ليلا ويفاجئهم في
حجب الظلام . وبين وقد أصاب في بيانه محجة الصواب أنه لو ترك لهم الوقت
لعمل الزريبة لتعذر عند ذلك اقتلاعهم منها .

ولقد كان في امكان خير الله افندى فعلا التخلص بسهولة من
الدراويش بالعدد الذى طلبه من الرجال لأن أمادى كان بها حامية مؤلفة
من ٧٠٠ جندي ومدفعان من مدافع الحصون و ٤ مدافع ميدان .
وعلى ذلك لم يكن هنالك أى خطر من القيام بكبسة ما دام يبقى في المحطة
٤٠٠ جندي .

ويقول فيتا حسان ان مرجان أفندى لم تكن من شيمته الشهامة
فطرح ذلك الطلب ظهريا وقال انه لن يحاول الخروج الا بعد وصول
الامداد من مكراكا . وبنى الدراويش في هذا الوقت زريبتهم وهم آمنون
مطمئنون وأخذوا يطلقون مقذوفاتهم من خلف الجذوع التى اتخذوا منها وقاية
لهم على المحطة فترد عليهم الجنود مع اسراف مرعب في الذخيرة .

وفي ٢ ديسمبر حدثت معركة شديدة دامت من الصباح الى منتصف
النهار واضطر المهديون في نهاية الأمر أن ينسحبوا . وبلغت خسارة
الحامية ١٢ قتيلًا بين ضباط وجنود و ١٨ جريحًا . وأغلب جروح هؤلاء

الاخيرين ناشئة عن صدمات مزاريق زنوج « اجهر » Agahrs الذين استعان بهم الدراويش .

وفي ٢٠ ديسمبر قدم فيتا حسان الى أمادى بنساء على أمر شفوى من أمين بك لزيارة الجرحى واستقاء الأخبار عن الأحوال في المحطة . والظاهر انه رأى ان الأمور فيها مختلة والنظام معتلا . وبعد مجيئه بزمن قليل أجهز على ٢٣ خطريا واسراهم بمجرد اتهامهم بالثأمرة مع المهديين وحدث ذلك بدون مرافعة ولا مدافعة . والفرض الوحيد حسب رأى فيتا حسان من اعدامهم هو الحصول على أموالهم لا غير . وكان قد استطاع من أول أيام وصوله ادراك الخطر المحدق بمحطة تدار قيادتها على ذلك المنهج فبعث في منتصف الليل برسول الى أمين بك قائلا ان الذخيرة قد حدث فيها إسراف زائد .

وفي ٢٣ منه سلمت امرأة عجوز ، وظيفتها لإبصال الرسائل الى فريقى المتحاربين ، فيتا حسان ملفا صغيرا محتوما بالشمع به اربعة كتب معنونة باسمه .

الكتاب الأول من المهدي محمد احمد يتنى فيه الخير له لخضوعه وامثاله ويكلفه تبليغ سلامه للأمير محمد امين ويرجو الاثنين الشخوص الى أم درمان فى أقرب ما يمكنها لأنه يعتقد فى اخلاصهما فى الخضوع .

والثانى من الأمير كرم الله وفيه نفس التمنيات السابقة والنصح باعتناق الديانة الاسلامية . ويقول فيه ايضا انه ارسل جبتين لاحداهما برسم الأمير محمد امين والاخرى برسمه . وهما هدية من قبل المهدي وانه يجب عليهما

قبل ان يلبسهما ان يتوضئا ويصليا حتى تحمل فيها بركة المهدي . ويوصيه كذلك ألا يوصل جبة أمين بك سوى ضابط أو يوصلها هو نفسه كيلا تدنس أيدي الجنود الشيء الذي باركه المهدي .

والثالث من حسن افندي عجيب الذي فوض اليه المهدي تسلم مديرية خط الاستواء ، يشتكى فيه من تصلب الجنود وعنادهم في الرغبة في القتال بينما الأمير محمد أمين وكل الرؤساء يكتنون للمهدية أحسن المقاصد وأطيب النيات . ويقول ان الروابط الودية والصلات الأخوية التي بين فيتا حسان وعثمان ارباب ابن عم المهدي عطفت عليه قلب هذا الأخير واستجبت نحوه رضاه ويطلب منه في نهاية الأمر المجيء الى معسكره فيحل فيه آمنا مطمئنا طليقا ينتقل حيث شاء ويذهب أينما يريد .

والرابع من عثمان ارباب يعرب له فيه عما يكره قلبه من أنواع الحب والمودة وجميل العواطف ويطلب منه إرسال مقدار من المظاريف وورق الجوابات ليستعملها في مكاتباته .

وكان المهديون يمتدنون لغاية ذلك التاريخ ان أمينا بك ومن معه مستعدون للتسليم بل راغبون فيه وان الصعوبة قائمة من جهة المناكر وخدم وان هؤلاء هم الذين يمانونهم في التسليم .

ويقول فيتا حسان انه في خلال المدة التي أقامها في محطة أمادي اي من ٢٠ ديسمبر الى ٧ يناير من سنة ١٨٨٥ م حضر واقمتين بين الدراويش والجنود فكانتا على ما يظهر عبارة عن مناقشات لا فائدة منها ولا يرجى منها شيء معين . وبينما كان الدراويش يقتصدون في الذخيرة ويقتصرون

على إرسال بعض طلقات متقطعة حتى لا يتركوا للحامية وقتا للراحة كانت الجنود تبث بطلقات كثيرة بناء على أمر قائدهم مرجان افندى .

نعم إن العساكر كانت تقوم ببعض الهجوم ولكن كان يحدث ذلك بغير خطة معينة ولا نظام بل بدون غاية معلومة . ولقد نجحت مرة الجنود في مفاجأة الدراويش في زريبتهم فتعلقوا بأذيال الفرار مشتتين بغير نظام . غير انه عوضا عن انتهاء فرصة الذعر والرعب الذى ران على قلوبهم وإشغال النيران في زريبتهم اكتفت الجنود بأن يستولوا منها على بعض الأشياء ويرتدوا الى المحطة . وهذا الخطأ تقع مسؤوليته على الضباط وخدم دون سواهم .

واقتربت ذات يوم ثلة من الجنود ومعها مدفع الى مسافة ٥٠ مترا من معسكر العدو فخرج منه زهاء ثلاثين درويشا فانسحب الجند وتركوا مدفعهم غير ان بجيت افندى برغوت وهو الضابط الوحيد الذى كان ملما بواجباته قابلهم وعلم منهم ترك المدفع فرجع ومعه خمسة من الجنود لاسترجاعه فوجدوه محل ما تركوه . وفي اللحظة التى شرع الجند فيها يجرون المدفع أصيب بجيت افندى برصاصة كسرت ذراعه فوضعا خلف ظهره بدون ان ينبس ببنت شفة حتى لا يزعج الجنود إذ ربما عند ذلك يتركون المدفع ويلوذون بالفرار . وأدار برغوت افندى حركة نقل المدفع الى أمادى بهدوء وسكون حتى كأنه لم يحدث أى أمر ولم يلاحظ ان ذراع هذا الضابط الباسل قد كسرت إلا لدى وصوله الى المحطة . فلو تولى قيادة المحطة ضابط له هذه الخبرة وهذا الحماس لما وقعت أمادى في يد العدو حتى لو كانت قوته أشد مما هي عليه .

إن مقاومة أو سقوط أمادى لها أهمية كبرى بالنسبة لمديرية
خط الاستواء لأن سقوطها يفتح الطريق الى لادو وهذا بصرف
النظر عن ضياع ١٠٠٠ رجل منها بينهم ٥٠٠ جندي نظامي . وقد
أصبح الخطر على الأبواب . ويقول فيتا حسان انه عندما لاحظ
سلوك مرجان افندي المنافي للصواب انقبض صدره حزنا واستولى عليه
اليأس إذ أنه كان يعتقد أن أمادى لا يمكنها أن تقاوم بعد ذلك زمنا
طويلا .

ويحكى فيتا حسان أنه كان يوجد تاجر يوناني يسمى ماركو
جسباري . وهذا التاجر ترك محطة أجاك عندما صار إخلاء رول وحضر
الى محطة أمادى مع الجنود . وكان يحمل البندقية في يده ويتمنطق بجعبة
المظاريق . وقد علق بها وعاءين في أحدهما لبن وفي الآخر سمن ويدور
دواما في الحصون مشجعا المساكر ويطلق بندقيته عند الحاجة ويوزع اللبن على
المجروحين في الثكنات ويضع السمن على جراحيهم .

وفي مساء ذات يوم كان فيتا حسان مع مرجان افندي فاعترض
أولهما على الثاني وكان قد سبق أن اعترض عليه مرارا لتبذيره وإسرافه
في الذخيرة وضرورة إقدامه على القيام بهجوم عنيف لحسم النزاع عن آخره
وبدون تطويل مع العدو لاسيما ان هذا العدو يصل إليه يوميا أممدا
بينما الحامية آخذة في التناقص وميرتها آخذة في النفاد . وكان فيتا
حسان يستعمل في الكلام بمض الشدة للمخاوف التي كانت تساوره
بشأن الخطر المحدق بالمحطة لأنه خرج عن وعيه عندما رأى حصنا له هذه
الأهمية عرضة للبوار والدمار لا لشيء سوى جريرة قومندانه . وعلى ذلك أمر

مرجان افندى فيتا حسان بالرحيل فى الحال من أمادى عوضا عن أن يعى
نصيحته ويعمل بها وقال ان ليس لأحد آخر غيره ان يتكلم فى مسألة القيادة
وعلى الفور بحث له عن جمالين . وكيلا يزيد الموقف سوءا على سوء بارح فيتا
حسان أمادى فى منتصف الليل وسافر الى لادو .

١ — ملحق سنة ١٨٨٤ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو وزيارته لكبار موظفي المديرية

في ٢ يناير من هذا العام أفضى جونكر الى المحطة الصغيرة القائمة على حدود مديرية خط الاستواء . ورحل عنها في اليوم التالي وأسرع الخطى فوصل الى المحطة العمومية الجديدة التي أنشئت في أرض الرئيس كودورما Kudurma لتشرف على المراكز الغربية وفيها ألقى عصا التسيار للراحة بضعة أيام .

وكانت هذه المحطة واقعة على سفح تل في وسط مزارع غناء وبها عدد وافر من المساكن وكثير من الأنعام . وكان ناظرها وهو ضابط يقال له مصطفى افندي درويش متغيبا عنها في ذلك الوقت في محطة واندى . وكان ابراهيم افندي محمد جورجورو مدير مركز مكراكا لم يرجع من الحملة التي سيرت لمعاينة الأجارين Agars الثائرين واعادة بناء

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

زربية روميك .

ولم يجد جونكر أية مكاتبة من أمين بك فكتب له خطابا وطلب رده في واندى وعلم أيضا انه لم يصل الى لادو بواخر قط . ورحل عن هذه المحطة .

وفي ٩ يناير بلغ كبايندى فوجد حالتها تغيرت تغيرا كبيرا عما كانت عليه وقت زيارته الأخيرة لها . وشخص منها الى واندى مارا بمكراكا الصغيرة . ولدى وصوله الى هذه المحطة الأخيرة عرف زربية احمد افندى الافغانى وبستانه الجميل إلا أنه وبالأسف كان صاحبها قد أدركته الوفاة في العام الغابر وبقي بعده آثار أعماله وأحضر له ملاحظ البستان سلة طالحة بأنواع الخضر والأثمار .

وفي ١٢ يناير دخل جونكر في واندى وقابله فيها الضابط المصرى سليم افندى الرئيس بنفس الحفاوة التي قوبل بها في المحطات الأخرى . وهنا قدم رئيس المحطة العمومية مصطفى افندى درويش لمقابلته وتبلغه أن أمينا بك كلف عشرة جنود بحراسة الطريق التي سيمر منها . وتلقى جونكر وهو في واندى ردا من أمين بك على الرسالة التي كان بث لها بها وهو في أرض كودورما وعرفه بأنه عقد النية على السفر الى لادو .

ورأى جونكر حدوث تغيير في مركز مكراكا منذ رحلته الأخيرة مع انه مر مسرعا بأراضى هذا المركز . ورأى ان الجنود العرب الذين كان يتألف منهم مجموع الحامية استبدل بهم عساكر نظامية تتولى شئونهم ادارة عسكرية غير أنه لسوء الحظ كان كل ذلك تحت رقابة وسيطرة ابراهيم افندى جورجورو النوبى وان كثيرا من الضباط الذين

كانوا يسيطرون عليه أمسوا الآن تحت إمرته .

هذه هي الحالة المحزنة التي وجد عليها جونكر هذه الجهات .

وفي ١٨ يناير يم شطر واندى في قافلة يحافظ عليها عدة جنود وتراجمة ومرت بالمحطة المتوسطة الصغيرة التي كانت قد أقيمت في بلدة نيامبارا وقبل أن يصل الى لادو وجد في البلدة المذكورة رسالة من أمين بك يرحب فيها بقدمه ويبلغه انه أعد له منزلا .

وفي ٢١ منه وهو التاريخ الذي يبلغ فيه لادو استيقظ الطيب مبكرا وأخذت القافلة في المسير وعندما اقتربت من المحطة بعث برسول ليبلغ أمينا بك خبر قدومها وأطلقت طلقات إعلانا بوصولها . وبعد ذلك شوهد في الحال بعض أشخاص ممتطين بغالا ومعهم ستة من الجنود متشجين بكساو بيضاء وقادمين نحوهم . وكان هذا الجمع مكونا من أمين بك وسكرتيره احمد افندى محمود وصيدلى المديرية فيتا حسان . وبعد تبادل التسليمات الكثيرة والأشواق الوفيرة انطلق الكل سائرين على الأقدام الى ان بلغوا المحطة .

ولدى دخولهم الى لادو - وكان مركزها في الموقع الذي كانت فيه ولم يتغير غير ان معاملها كانت قد تغيرت وأضحى ينكرها من رآها سابقا للتحصينات التي أدخلت عليها - استصعبه أمين بك أولا الى ديوان المديرية حيث قدم بعض معارفه من الموظفين القدماء للسلام عليه ثم ذهب معه الى ديوانه الخاص فتخيله جونكر سراية من السرايات الحقيقية بالقياس لما كان يقع عليه بصره من المنازل في الازمان الأخيرة . وكان هذا

الديوان قائماً على النيل في وسط جنحة ويشتمل على غرف فيحاء وهذه الغرف وان كانت مفروشة بأثاث على الطراز الذي كان يستعمله أمم عصور الفطرة إلا انه كان ينفى بكل ما يتطلبه الانسان من وسائل الراحة في قطر كهذا .

ودعا أمين بك جونكر أن ينزل في ضيافته إلى أن تصل الباخرة المرتقب قدومها فلبى دعوته هذه منشرحاً مسروراً . وانقضى شهر يناير براحة وهدوء . وبما انه كان قد مر زمن طويل ولم يتقابلا وكان لدى كليهما أشياء كثيرة يبثها للآخر فقد مر الشهر المذكور بسرعة البرق . ولما كان من الحقق تقريبا قدوم احدى البواخر وكان انتهى من رحلته وزع كل متاعه الذي كان في الامكان الاستغناء عنه على أمين بك والموظفين الآخرين المقيمين في لادو . ولكن حدث بعد ما لم يكن في الحسبان إذ لم تأت الباخرة التي كان مرتقبا وعسولها وكان لم يزل أمامه رحلة طويلة لبلوغ أوطانه .

وقد ذهب جونكر لزيارة كبار موظفي المديرية وهم : فيتا حسان الصيدلى ، و احمد افندى محمود رئيس السكرتارية ، و عوض افندى أمين المخازن ، و حواش افندى وغيرهم . وكان الأخير قد أخلى سبيله من الخدمة ويحاول الرجوع اليها . وتردد مرارا على جونكر غير انه كان قد فرض على نفسه ان لا يتدخل قط في مثل هذه الأمور ولذلك لم يستطع الافندى المذكور ان يجنى أية ثمرة من وراء ترده عليه ومع ذلك لم تغمض لجونكر عين عن ان يفكر في أمر ضباط اتصفوا بالحمية والشجاعة مثل بنحيت بك براكى و نور بك محمد اللذين كانا قد توليا قيادة

جنود المديرية ثم أرسلنا الى الخرطوم . وان يفكر كذلك في أمر ضابط آخر أقبل من الخدمة وذهب الى دوفيليه واتخذ له فيها مقرا وهو الضابط مرجان افدى الدناصورى . أولئك الضباط الذين كان يتحتم وجودهم في أوقات الشدائد المزمع ان تتمخض عنها الليالى .

وتقدمت لادو تقديما محسوسا جدا في السنوات الست التى غابها جونكر بعيدا عنها ففتحت فيها شوارع متقاطعة على شكل زوايا قائمة وأقيمت فى المربعات التى نشأت عن هذا التقاطع منازل للموظفين مشيدة بالطوب الاحمر . وبنيت مكاتب الادارة والمحكمة الشرعية وأماكن الضباط وغيرها على طول النهر بالوصف السابق ذكره . وكل ذلك بمباشرة عثمان افدى لطيف وكيل المديرية .

وكان النهر فى لادو طائفا على الضفة بجرف منها زهاء العشرين مترا وذلك فى بحر المدة التى غابها جونكر بعيدا عنها واضطر أمين بك أن يتقهقر بسور منزله الذى كان قائما على النهر . أما الموضع الذى كان واقعا عليه ديوان ومستودعات غوردون باشا فصار فى مجرى النهر .

وأهم متعة للنظر فى لادو البستان الذى أنشأه أمين بك فى جنوب المحطة وغرست به سائر أنواع الخضر والفاكهة . وكانت أثماره تباع للموظفين بأثمان محددة . ويوجد فى المحطات الاخرى بساتين مثله ويعلم من هذا ان البساتين كانت ينبوعا يدر فوائد للحكومة .

وكانت الصيدلية القائمة بقرب منزل أمين بك مرتبة ترتيبا حسنا والادوية موضوعة فيها بنظام على رفوف فى خزائن . ويوجد فى القاعة مائدة مستطيلة

تقسمها قسمين وعليها الميزان والمهاون وجميع ادوات الصيدلية . ويوجد خلفها بعض الأكواخ لاقامة المرضى وكل هذا مما يشرف الصيدلى فيتا حسان ويعلى قدره .

وكان يرتقب بفارغ الصبر الباخرة المزعم قدومها . ففى الأيام الأولى لم يعيروا الأمر كبير أهمية غير أنه مع توالى الأيام وكروورها أخذت الافكار تتجه الى ان الأحوال فى الخرطوم صارت أكثر خطورة وأشد مما كانوا يتصورون .

وكان قبطان الباخرة الاسماعيلية التى سافرت من مشرع الرق الى الخرطوم فى ١١ ديسمبر أخبر ان باخرة اخرى كانت قد صدرت لها الأوامر بالسفر بعده من هذه المدينة الأخيرة الى لادو وها هو شهر فبراير قد أشرف على النهاية ولم يلح شيء فى الافق فأخذ الناس يتراشقون بالظنون غير انه لم يخطر ببال كائن أن يفترض أردأ الفروض واسوأها بل كان الأمل يحدوهم الى الاعتقاد بان منشأ هذا التأخير الحشائش النابتة فى منطقة السدود .

سقوط شمبى فى أيدي الزنوج والعمل على استرجاعها

وكان يلوح أن مديرية خط الاستواء غير مهددة بخطر عاجل بل كانت الظواهر تدل على ان الأمور فيها سائرة فى مجرى حسن . فالجنود قد عاقبوا الأجارين الذين استولوا على محطة روميك ودمروها تدميرا عمابا زاجرا . وها هو ابراهيم افندى محمد على وشك أن يقيمها ثانيا بعد أن وطد أركان السلم فى منطقتها إلا أن تمرد الأجارين أفسد أحوال جيرانهم الذين

يكتفون محطة شمبي وأضحت المواصلات بين هذه المحطة و لادو مهددة وأرسل أمين بك من هذه المحطة الأخيرة مركبا تقل ١٢ جنديا بقيادة الضابط المصرى عبد الوهاب افندى طلعت ليحضر له قحما من محطة بور . وفى ٢٩ مارس بعد سفر المركب وقبل أن تبلغ المكان الذى يمته وردت الأخبار منبئة بسقوط شمبي فى أيدي الزوج وقتل الحامية وتخريب المحطة .

وانحصرت الآن المخاوف على المركب وركابه فقط لأنه أضحى فى غير حيز الاستطاعة نجاتهم إلا بمجزأة إذ أنه حتى لو فرض أنهم استطاعوا ان يشعروا فى الوقت اللازم بسقوط المحطة فى أيدي الثوار وأمكهم الابتعاد عنها فلا يكون فى امكانهم عندئذ رجوع المسافة الفاصلة بينهم وبين لادو بالوسائل التى لديهم فى ذلك الفصل من السنة وهو فصل الرياح المضادة لاسيما ان تيار الماء يجرى عكسهم .

وساد قلق وكدر شديد على الباخرة المنتظر قدومها من الخرطوم لأنه اذا لم يتنبه قبطانها سلفا لسقوط شمبي فقد يجوز أن تقع الباخرة فى أيدي الزوج حتى فى حالة ما اذا تمكنت من الافلات منهم كان يخشى أن تقفل راجعة الى الخرطوم ظانة أنه بسقوط شمبي سقطت بور و لادو أيضا . وعلى ذلك كان من المحتم استرجاع شمبي مها كان الحال ومها بلغت نفقات استرجاعها .

وكان ابراهيم افندى محمد خاليا من الأعمال فى ذلك الوقت بعد انتصاراته على الأجاريين وعلى استعداد للقيام بما يؤمر به فصدرت له الأوامر بالمسير على شمبي ومعه امداد . وأرسلت كذلك امداد الى محطة بوفى وهى أقرب محطة

من شمي إذ انه كان يلوح انها في حالة خطر .

وصدرت الأوامر من باب الاحتياط وتلافيا لما عسى أن يحدث من الامور ، باخلاء المحطات البعيدة وحشد جيوشها في المحطات الرئيسية . أما محطة بور فانه وان كان لم يرد عنها خبر منذ شهر أبريل المنصرم أي بعد مرور آخر باخرة عليها فكان لا يستشعر بأي خوف بصدها إذ أنه كان يوجد لديها كثير من الميرة وبها ٢٠٠ من الجنود .

وكان أمين بك في هم من جراء مسألة تزويد لادو والعدد الكبير النازل بها من الموظفين والساكر بالميرة فبعث بسكرتيره احمد افندي محمود الى محطتي دوفيليه و وادلاي الجنوبيتين ليستمجلا وصول الجيوب الى المحطة .

ظهور السبب في عدم وصول بواخر الى لادو

وفي ١٦ مارس كان ميعاد مرور عام على سفر آخر باخرة أقلعت من لادو فكان كل انسان يجد في نفسه قلقا وغما ويتساءل عما عساه أن يكون حدث في جهة الشمال خصوصا مع ما كانوا يهلمونه من أمر الثورة المهدية .

ووردت أخبار من مكراكا منبثة بحدوث تمرد موضعي في محطة ريمو وقعت ثورة التمردين باعدام الرئيس جاندا مصدر هذا الشر . ويقول ابراهيم افندي محمد أيضا انه غم عدة مئات من الابقار وانه على وشك المسير على شمي بقصد استرجاعها .

وفي نهاية الأمر وردت في ٢٦ مارس رسالة من لبتون بك مدير بحر الغزال أزاحت الستار عما كان قد تم في الجهات الشمالية وأزال كل لبس وريبة .

وجاء في هذه الرسالة المنونة الى أمين بك ان الدنكاويين أضرموا ثورة في القسم الشمالى من مديريته فأخمدوها وأطفأ نيرانها وأخذ الثائرون الى الطاعة . وانه علم من خطاب مرسل من شخص كان من ضمن مستخدمي مديريته في السابق الى شخص آخر مقيم عنده ان جيش الجنرال هكس باشا هزم وأيد عن آخره وان هكس باشا نفسه وعلاء الدين باشا وكثيرا غيرهما قتلوا . وان مديرية دارفور سلمت للدراويش وان سلاطين باشا وقع أسيرا واعتنق الديانة الاسلامية وسمى عبد القادر وان المهدي يزحف على الخرطوم .

وهكذا تجلى الموقف وعلم السبب في عدم وصول الباخرة وأخذ جونكر يتساءل عما اذا كانت الخرطوم نفسها لم تسقط اذ انه كان من رأيه ان مصر وحدها لا تستطيع اخماد لهيب الثورة . وبما انه كان يشتب من خلال الحوادث ان اقامته ستطول في لادو رأى انه ليس من الكياسة والذوق أن يستمر في ضيافة أمين بك اكثر مما مضى فطلب من هذا منزلا منزلا فأجيب الى طلبه . وقد وعى أمين بك في سره هذه الأخبار المشثومة وقتاما ولم يذعها لأحد من الجمهور .

وأرجع في هذا التاريخ حواش افندى الى الخدمة وعين مديرا للمراكز الجنوبية وأخذت دوفيليه عاصمة لهذه المراكز . وصدرت له الأوامر باخلاء المحطات التابعة لمركزى فاديك و فويرا في الشرق وحشد من بهما

من الجنود في محطات الجنوب كما حصل تماما في المحطات التابعة لمركز لادوكا وقت سقوط شمبي . ولم يبق بعد ذلك في قسم المديرية الشرقي غير محطة فاتيكو . وقد احتفظ بها لأنها واقعة في منطقة خصبة فيها كثير من الحب لتمير بالزاد المحطات الاخرى .

وورد في خلال هذه المده اخبار سيئة عن شمبي . وبينما كانوا يخالون في لادو ان ابراهيم افندى انجز مأموريته وانه جدد بناء المحطة إذا بكتاب جاء منه في ٧ أبريل يقول فيه انه من المستحيل السير الى شمبي نظرا للنجذات التي ارسلها الى المحطات الاخرى اللهم إلا إذا أتاه مدد مؤلف من ٦٠٠ جندي . وكان من رابع المستحيلات اجابة هذا الطلب في الوقت الحاضر للحالة الراهنة فتأجل استرجاع هذه المحطة الى وقت آخر إلا ان الايام تمخضت عن حوادث زادت الاحوال تعقيدا وارتباكا وجعلت هذا الاسترجاع بعيد المنال .

وفي ٢ أبريل قدم الى لادو ابراهيم افندى محمد و عبد الله افندى أبو زيد من مديرفي ، وضيف الله من أجاك التابعة لمركز رول بعد ان اداروا رحى الحرب على الاجاريين . وروى ابراهيم افندى ان دماء كثيرة أريقت في هذه الحرب وانه شنق عدة رجال من رؤوس الثوار وارتأى فيما يختص بشمبي ان لا فائدة من تجديد إقامة محطاتها الآن لأن الثوار يعودون لهدمها مرة اخرى . وهؤلاء الثلاثة أقاموا في لادو إلى آخر أبريل ثم عاد بعد ذلك كل منهم الى مركز عمله .

وفي أوائل مايو عاد فيتا حسان من رحلته في الجنوب وفي ١٣ منه تسلم جونكر المنزل الذي أعده له أمين بك . ولدى تجهيز هذا المنزل

لاحظ جونكر وقد استولى عليه الدهش ان الآلات التي كانت تستعمل في ذلك هي نفس الآلات التي كان قد استحضرها سير صمويل بيكر والتي بغيرها ما كان في الاستطاعة القيام بهذا العمل الضروري إلا بعناء وتعب .

وقبيل أواسط شهر مايو علم أمين بك ان اللورون وهو رئيس من رؤساء الباريين ذو قوة وبطش يهوى المعدات للقيام بهجوم على لادو . فكلف على افندى سيد احمد قومندان الرجاف بالتخلص منه والاستراحة من شره . وبعد أيام أشيع كذبا انه قضى نجه وصار في عداد الغابرين وان ابنه حل محله في مركزه .

وفي ٢٣ مايو وردت خطابات من لبتون بك مفادها انه أغير على مديريته وان جيوش المهدي صارت على قيد ست ساعات من المديرية وانه قرر أن يقاتل الى النهاية ويطلب منه أن يبلغ أسرته الوداع الأخير فيما لو عاجلته المنية .

وقد أطارت هذه الاخبار لب أمين بك . وكانت الاخبار التي وردت في الدفعة الأولى من لبتون بك عن هزيمة هكس باشا قد كتبت وظلت خافية على الجمهور غير انها مع ذلك تسربت وعلمها الناس لأن ابراهيم افندى كان قد قصها على البعض من الأهالي عند حضوره . وأرسل أمين بك في طلب ابراهيم افندى هذا في الحال لأن مديريته بها عدد كبير من الدناقلة الذين هم أهالي بلده وعاش بينهم سنين طويلة . وكان يأمل أن يستطيع منهم من الانضمام الى المهديين بمساعدته . وبما أن كثيرا من الدناقلة تابعون لابراهيم افندى المذكور وهو موضع ثقة أمين بك فقد أراد أن

يفاضه شفويا .

وصدرت الأوامر الى جنود محطات لاووكا التي كان تقرر ارسالها الى محطة أمادى - وكانت قد قدمت - بالبقاء في الرجاف موقتا .

ورود خطابين من الامير كرم الله ولبتون بك
وعقد اجتماع للنظر في تسليم المديرية

وفي ٢٧ مايو دعا أمين بك جونكر للحضور الى الديوان مبكرا فذهب اليه في الحال ونفسه تحدته بانه لا بد أن يكون قد ورد خبر مشوم فوجده جالسا في مكتبه وأمامه مكتوبان احدهما من الامير كرم الله قائد القوات المهدية الذي استولى على مديرية بحر الغزال يطلب فيه باسم المهدي تسليم المديرية والثاني من لبتون بك يخبره فيه باستيلاء جيش المهديين على مديريته وكان مع هذين الخطابين ايضا منشور من المهدي يدعو فيه سكان المديرية الى الطاعة .

ولم تكن شخصية الامير كرم الله مجهولة في مديرية خط الاستواء . فقد كان دنقلاويا وأقام مدة في شمبي . وكان يقصد بدعوته امينا بك والأهالي للخلود الى الطاعة قدومهم في الحال الى بحر الغزال وإلا فهو يبادئهم بالعدوان واشغال نيران الحرب .

وبعد هذا الذي جرى وحدث كان لا فائدة من الاستمرار على تكتم الحالة أكثر مما مضى لأن المنشور بلا ريب كان قد وزع في المديرية وعلم بمجرى الحوادث الخاص والعام .

فاستدعى امين بك عقده جمعية من كبار رجال المديرية تتألف من : ضباط الحامية الثلاثة الكبار ، والقاضي ، ومعلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية ، و فيتا حسان ، و عوض افندى ، و احمد افندى رائف وبعض موظفين آخرين .

وبعد تلاوة الخطابين والمناقشة تقرر ما يأتي :-

« حيث ان جيش هكس باشا عجز عن هزيمة القوات المهديّة وان لتتون بك سلم مديرية بحر الغزال وانه من المستحيل حشد جنود المديرية بالسرعة اللازمة لمقاومة العدو مقاومة جديّة فقد تقرر باجماع الآراء التسليم تفاديا من اراقة الدماء بدون جدوى » .

وصرح أمين بك بعد وضع هذا القرار انه مستعد للسفر الى بحر الغزال وطلب أن يعرف من يقبل من الحاضرين مرافقته في هذه الرحلة فتقدم عدد كبير جدا وطلبوا السفر ولعل قبولهم هذا كان من باب اللطافة أو التعالي في التحمس . ودعت الحالة لاصطفاء البعض منهم فوقع الاختيار على القاضي ، و معلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية وهو من أسرة لها منزلة كبيرة في دنقلة ، و موسى مأمور لاتوكا سابقا ، و احمد بابا الكاتب . أما جونكر فصرح بأنه يحتفظ باعلان ما يستقر عليه رأيه بخصوص السفر أو عدمه الى ما بعد . إلا انه في الواقع ونفس الأمر كان قد عقد النية على عدم السفر لأنه كان يعرف جيدا بأنه متى وصل الى الأمير كرم الله يدعوه الى اعتناق الديانة الاسلامية ويبعث به ليقتضى باقي حياته عند المهدي .

وكان يرى من جهة القرار الذي اتخذ انه قرار صائب وأن لا مناص من العمل بما جاء به وانه ليس هناك وسيلة أخرى نظرا لبعثرة القوات في أنحاء المديرية ولمدم كفايتها لصد هجمات جيوش المهديين ومقاومتهم مقاومة جديّة ينتظر من ورائها نجاح أو فلاح . غير انه لم يكن من رأيه وجوب سفر أمين بك مع الوفد إذ أن في استطاعته أن يتنذر بأنه بقي ليحافظ على المديرية باسم المهدي وكان يكتبني بكتابة جواب يقدم فيه واجب الطاعة وبذلك يكتسب الوقت ويبرهن على انه خضع للأوامر . أما سفره فليس وراءه غير بث روح القوضى في المديرية .

تقرير خطة الانسحاب الى الجنوب

وأرسل أمين بك بلا توان الأوامر الى ريجان افندي ابراهيم مأمور مركز ممبتسو بالانسحاب مع جنوده الى مكراكا وبعث في الوقت عينه أوامر بسحب جنود المحطات الواقعة جنوب محطتي مديرفي وريمو . وكتب جونكر ايضا الى كازاتي في ممبتسو حيث كان مقيما ان يرجع الى لادو بنهاية السرعة .

وفي ٢٨ مايو أى غداة اليوم التالي للاجتماع الذي عقده أمين بك قدم فيتا حسان و عثمان ارباب و عوض افندي وقابلوا جونكر وطلبوا منه عدم مبارحة لادو لانهم كانوا يرون من خلال الحوادث ان النظام سيختل كثيرا بعد سفر أمين بك فهدأ روعهم بأنه سييذل ما في وسعه في منع سفر المدير العام .

وانقضى يوم ٢٩ مايو بسلام ولم يحدث أى حادث . وأخذت أنفاس الهيجان

الذى ساد بادىء ذى بدء وأخذوا ينظرون الى الموقف بعين التعقل والفتنة واقنع أمين بك بأن ينبذ السفر الى بحر الغزال ظهريا ويكتفى بارسال الوفد .

وبما أنه عدا ذلك كانت الخواطر تهدأ مع توالى مرور الأيام وتنجلي أمام أعين الناس الحالة التى هم عليها فقد انكشف لبصرهم ما يمكن أن يطنه الفد . فلو فرض أن المهديين استقر بهم الرأى على أن يهاجموا المديرية ففى غير امكانهم القيام بذلك الهجوم إلا بعد عدة شهور . وفوق هذا فان حالة مديرية بحر الغزال لا يمكن موازنتها بمديرية خط الاستواء .

فقد كان لا يوجد تحت سيطرة لبتون بك سوى بضع مئات من الجنود النظامية . أما رجاله الآخرون فمن العرب الذين أظهروا الخيانة امام العدو واضطروه بعملهم هذا الى التسليم بينما يوجد لدى أمين بك ٢٠٠٠ مقاتل من الجنود السودانيين النظاميين مسلحين بسلاح رمنجتون يقودهم ضباط قضوا زمنا فى الخدمة وخبروها ويمكن التعويل عليهم . وعدا هذا فان المداوة المستحكمة بين الجنسين خير كفيل لعدم وقوع خيانة .

وتباحث أمين بك وجونكر معا بصدد الموقف وعن أقوم خطة يجب اتباعها فاستقر رأبها من غير تردد على أنه من غير المستطاع السير نحو الشمال للارتباب الذى هم فيه بشأن الحوادث الواقعة فى الاتجاه المذكور . أما فيما يختص بخطة الانسحاب عن طريق زنبار فهذه الخطة تنفيذها غير ممكن عمليا لكثرة عدد النساء والاولاد الذين تستلزم الحالة نقلهم .

وأخيرا تبين لهما أن الحل الوحيد الممكن عمله هو الانسحاب نحو محطات الجنوب مع ترك حامية صغيرة فقط في لادو بصفتها طليعة . وهذه الخطة الأخيرة لم تنفذ برمتها إذ أنه لم يرسل الى دوفيليه إلا الكتبة ودفاتر الحكومة .

وكان جونكر ينوى السفر الى الجنوب إلا أنه رأى ان ينتظر من أجل تنفيذ هذه النية سفر الوفد برئاسة القاضي ومع ذلك فقد أخذ يتأهب لهذه الرحلة وأعطاه أمين بك حمارا و ٣٠٠ ريال لأن النقود التي كانت في حوزته لم يبق منها سوى ٧٥ ريالا .

وكان يرتقب قدوم ابراهيم افندى محمد بين يوم وآخر غير انه لم يأت وفي نهاية الأمر ورد خطاب منه يقول فيه انه لا يستطيع الحضور حالا لأنه ينتظر قدوم ناس من بحر الغزال . وربما كان هذا بدء الشروع في الخيانة .

وأخيرا في ٣ يونيو سافر الوفد ورافقه أغلب أهالي لادو حتى خارج باب المحطة الكبير . وفرغ جونكر من اعداد معدات السفر وبينما هو يتأهب للمسير في ٥ منه اذا بجندى من جنود مراسلة لبتون بك قد قدم وقص أن هذا سرحه قائلا له أن انج بنفسك وانه رأى المهديين يحرقون دفاتر الحكومة وانهم باعوا علنا أهالي الجنود وانه على ذلك تعلق بذيل القرار هو وآخرون من رفاقه .

ولقد عاد ما قصه هذا الجندى بفائدة جلي إذ جعل العساكر تلازم جانب الطاعة وبمث في نفوسهم تأثيرا عميقا لا يحصوه كرور الايام .

وفي ٦ منه تقابل جونكر مع أمين بك عدة مرات وسلمه خطابات بقصد تصديرها إذا قدمت باخبرة أثناء غيابه . وقد نظما قانونا للمخابرات السرية بينهما في حالة حدوث أشياء هامة .

وفي ٧ يونيه استأذن جونكر من أمين بك وفارقه والأسى ملء جوانحه لما قدمه له من المعروف وحسن المعاملة . وكان يشعر بكثير من الغم أيضا لأنه سيسافر بدون معداته التي كان قد وزعها ولأنه كذلك فقد جميع مجموعاته التي كان قد جمعها في غضون ريادته الأخيرة تلك المجموعات التي تركت في بحر الغزال .

وكان كل قصده الوصول الى ساحل زنبار عن طريق أونورو و أوغندة وكان يقدر سلفا مكان التثبيت بضيافته زمنا طويلا عند ملكي هذين البلدين الأخيرين وهما كباريجا و اميتسا . اللذين لم يبلغه الى ذلك الوقت خبر وفاتها .

وكان من بواعث اشجانه أيضا ان التجارة التي كانت نشطت وازدهرت في السنين الخوالي بين أونورو وأوغندة ومحطات مديرية خط الاستواء الجنوبية قد انقطعت منذ زمن وأدركها العفاء .

وكان لم يصل الى أمين بك في الواقع ونفس الأمر أخبار من أوغندة من وقت ما رجع منها الدكتور فلكن عام ١٨٧٩ م ويجهل جهلا تاما ما كانت عليه المحطات التي أقامها أولئك المبشرون وهي لا تزال باقية أم أصبحت أرا بعد عين . وبما زاد في طول المسافة التي يتعين عليه ان يجوبها بين هذين البلدين والبلد الخاضع لسيطرة الحكومة اخلاء محطات مديرية خط

الاستواء الجنوبية .

سفر جونكر الى الرجاف

وكان الطريق وقت سفره من لادو التي كان يظن انه لن يراها بعد ممتدا على شاطئ النهر والأمن فيه موطن الأركان لأن المحطات التي كانت قائمة على طولها كان يربط فيها جنود نظامية سودانية بقيادة ضباط من جنسهم أو مصريين وكان جميع الدناقلة موزعين بين مكراكا و ممتو و رول .

وكان جونكر يسافر برا على ظهر حمار وقابل اثناء مسيره ثلة من الجند عائدة من لاتوكا وكان كثير منهم مصابا بالمرض المسمى « فرانتيت » Frantit وكان ٢٥ منهم محمولين على نقالات . وهذا المرض كان محصورا في مركز من مراكز هذه المديرية فيه يشرب السكان ماء را كدا واغلب المرضى قادمون من هذه المحطة بينما كان سكان المحطات الأخرى سالمين من هذا المرض .

ومر حبال غندوكورو القائمة على الضفة الأخرى وكانت بها حامية صغيرة وكانت هذه المحطة في سالف الأيام عاصمة مديرية خط الاستواء . وقضى ليلته الأولى في قرية من قرى البارين ووصل ثانی يوم سفره الى محطة الرجاف ونزل بها في ديوان أمين بك فوجدها تموج بالجنود المائدين من المحطات التي أخليت . وقد قضى يوما في الرجاف واشتبك في الحديث مع المساكر المرابطين بها فتأكد من هذه الحادثة أن الجنود سيظلون موالين للحكومة لأنهم يشنون العرب ويغضونهم من أعماق قلوبهم ويرون

انه لا ينتظر من وراء هؤلاء خير .

ومن ضمن المبالغات التي سمع بها جونكر القول ان جيشا من المهديين مؤلف من ٢٧٠٠٠ مقاتل على وشك المسير الى مديرية خط الاستواء وأخذ يجول في فكره أن البلد لا يستطيع قط أن يتحمل جيشا عرمرما كهذا .

سفره الى لا بوريه

وفي ٩ يونيه بارح جونكر الرجاف وأفضى في عشية هذا اليوم الى بيدن بعد أن قطع معظم المسافة مشيا على الأقدام . وهذه المحطة واقعة في جزيرة يوصل اليها بواسطة طوف « معدية » يسير بواسطة جبل من الصلب . وقضى الليل في اكواخ غاية في النظافة . وتوجد في كل محطة اكواخ كهذه خاصة بأمين بك وقدمت اليه لوازمه جميعها .

وأقلع جونكر في اليوم التالي مبكرا على ظهر مركب يجرها الرجال من الضفة باللبان « الجبل » وكان تقدمها في السير بطيئا لشدة جريان الماء وسيرها في اتجاه مضاد للتيار فدعت الحالة الى المبيت في الطريق ومقاساة الصعاب بسبب الامطار ولم يصل الى كرى أى المحطة التالية إلا في الغد . وكان قائد المحطة ضابطا مصريا يقال له فولافندى . وقد قابل جونكر وذهب به الى ديوان أمين بك وهو قائم وسط مزرعة من شجيرات الموز وفيه نزل . وقد تناول صاحب المركب الذي أقله من بيدن الى كرى أربعة ريات اجرا .

وبلغ جونكر ان احمد افندى محمود سكرتير أمين بك الذي كان قد

أرسل الى محطات الجنوب من عدة شهور لينتجبل ارسال الجيوب أصبح على وشك المجيء من موجى فقرر انتظاره . وفملا وصل هذا في غد اليوم التالى الموافق ١٢ يونيه وسمع قصص الحوادث التى وقمت فى مدة غيابه بلهف وشغف عظيم . وبما انه كان عائدا بمقادير كبيرة من المؤن فقد أعطى مقدارا منها الى جونكر وتناولوا الغداء مما . وفى الغد عاود احمد افندى المسير موليا وجهه شطر لادو وسافر جونكر فى اتجاه محطة موجى برا فدخلها فى اليوم نفسه مساء ونزل كالعادة فى أكواخ أمين بك القائمة فى أعلى مجرى النهر ولتفاسة هذا الموضع عزم على الإقامة فيه يوما .

وفى ١٥ يونيه سافر فى اتجاه لابوريه وبلغها فى اليوم عينه ونزل فى أكواخ لم تصل درجتها فى النظافة المنزلة المطلوبة وما ذلك إلا لعدم وجود أكواخ برسم أمين بك ففضى ليلة كريهة . وبما انه كان يتحم عليه أن يقضى الليلة القادمة فى خور أبو الواقع على مسافة ساعتين فقط من لابوريه فلم يشرع فى المسير إلا عندما انتصف النهار وأرسل يطلب من حواش افندى فى دوفيليه حمارا قويا للركوب .

ومحطة خور أبو Khour Ayou قائمة فى الموضع الذى يصب فيه النهر المسمى بهذا الاسم ناه فى النيل . ويوجد فى هذا المكان معدية لعبور النيل . وأنشئت هذه المحطة للمحافظة على المعدية ولتقصير المسافة بين لابوريه و دوفيليه لأن هذه المسافة لا يمكن قطعها فى يوم واحد . ويوجد فى هذه المحطة مسكن لأمين بك نزل فيه جونكر . وانتدب شخصا ليكترى له حمارا فمتر على حمار واكتراه بريالين ودفعها وقيل له بعد ذلك ان صاحب

الحمار متغيب وزوجه تأبى تسليم الحمار . ولم يستطع السفر في اليوم التالي لأن ثلاثين شخصا من حماليه تعلقوا بأذيال الفرار ليلا وما أمكن ارجاعهم إلا في المساء .

وفي ١٨ يونيه رحل جونكر مبكرا لأن المسافة التي يتعين عليه قطعها الى ان يصل الى دوفيليه طويلة . والحمار الذي كان قد أحضره معه من لادو مشى في ذلك اليوم بخطوات سريعة إذ أنه كان قد استراح في اليوم السابق . ويمتد الطريق ومجرى النيل مسافة ساعتين ثم ينعرج الى داخلية البلاد ليتحاشى التلال الممتدة لغاية النهر الذي لا يعود المسافر أن يراه إلا لدى بلوغه دوفيليه . وكان وصوله الى هذه المحطة في الساعة الثالثة مساء . وقد قابل في منتصف الطريق بغلة مرسله له من قبل حواش افندى فركبها في المسافة الباقية من الطريق .

وقدم حواش افندى والضابط المصري ابراهيم افندى حليم والضابط السوداني مرجان افندى الدناصورى لمقابله جونكر ولبسوا عليه . وذهب به حواش افندى الى داره وفيها نزل . ووجهت اليه أسئلة كثيرة عن جميع ما كان قد حدث فأخبرهم بما وصلت اليه الأحوال وأراد هو أيضا أن يعرف مجرى الحوادث في جهات الجنوب فوعده مرجان افندى الذي كان قد أعيد الى الخدمة وأزمع أن يسافر في اليوم التالي الى وادلاى على متن الباخرة « الخديو » ، أن يواصله بأخبارها .

واستقر بجونكر الرأى على أن يطيل مدة اقامته في دوفيليه فأخذ الاستعدادات اللازمة لذلك . وكان في السكن الذي نزل به وسائل الراحة . وبعد بضعة أيام أنتقل حواش افندى الى داره الجديدة . وبقي جونكر وحده

في الدار القديمة الأمر الذي سره لأن دوفيليه أخذت تموج بالسكان بسبب استمرار قدوم الكتبة والمستخدمين المنقولين من لادو .

وفي ٢٤ يونيو رؤى هلال شهر الصوم فأطلقت المدافع ايذانا بحلوه . وكان جونكر ينتظر كل يوم بفارغ الصبر ورود أخبار من امين بك لأن سفره كان يتعلق بما قد يمكن ان ينشئه به ولسوء الحظ لم يأت من قبله خبر جديد . وجميع ما كتبه له مصدره اشاعات أذيت لا أكثر . واستدعى امين بك حواش افندى الى لادو لكي يحضر اجتماعا تقرر عقده فيها للمداولة فاعتذر عن الحضور لكثرة ما عنده من الأعمال .

وبعد سفر مرجان افندى الدناصوري وردت أوامر من لادو تضي بذهابه الى محطة امادى ومعه عدد من جنود المحطات التي أخليت وتسلم قيادتها واعدادها للدفاع فعاد على الفور من وادلاى التي لم يكن قد بارحها بعد وسافر في اتجاه الجنوب وعلى هذا لم يستطع ان يأتي جونكر بخبر من الاخبار من هذه الاصقاع .

وسافر مرجان افندى مع حواش افندى في ٥ يوليه الى لادو .

ووقع أغلب خدام جونكر في مخالاب المرض في غضون اقامته في دوفيليه ولم يستطع ان يهيء له شيئا للطهي والتزم ان يقبل ضيافة الضابط المصرى مصطفى افندى وصار هذا يرسل اليه اكلتين في اليوم وكان جونكر يبعث اليه في كل مرة يذبح فيها خروفا. مقداراً منه وكان يبعث منه كذلك للاشخاص الذين يرسلون اليه طيوراً ومن بين هؤلاء كاتب قبطنى يقال له باسيلي افندى .

ووافق آخر يوم في شهر رمضان ٢٤ يولييه وأُعقِبَه عيد الفطر فذهب
جونكر الى اصدقائه وزارهم واضطر ان يوزع على سبيل الهدية ما قيمته ٢٥
ريالا للخدم ولصغار المستخدمين وصغار المحطة .

عدول جونكر عن السفر الى الجنوب

وفي آخر شهر يولييه اب حواش افندى من لادو الى دوفيليه وأخبر
ان مرجان افندى عين قومنداننا في محطة أمادي وان حاميات بوفي و أجاك
و روميك أرسلت الى هذه المحطة حتى أنه لو حدث قتال تكون محطة
أمادي المذكورة بمثابة حصن أممي للادو . وعين فرج افندى يوسف الذي
كان قائدا في تنجازي قومنداننا في مكراسكا بدلا من سليم افندى الذي
استدعى بسبب بعض تم وجهت اليه ونقل الى دوفيليه وأرسل فيما بعد هـو
وسليمان افندى الى المحطة الجديدة التي أقيمت في أبي نخرة Abou Nakhra على
الضفة اليمنى بين دوفيليه و وادلای .

وظل حواش افندى قائدا للمحطات الجنوبية لغاية لابوريه وتولى ابراهيم
افندى حلیم قيادة لابوريه و موجى و كرى وكان متغيا في مأمورية بناء
محطة أبي نخرة .

ولم يشأ جونكر أن يتوغل في السفر جنوبا أبعد من دوفيليه لأن
الآمال كانت لم نزل تساوره بقدوم باخرة يوما من الخرطوم وعندئذ يكون
بعيدا كثيرا ولا يكون متوافرا لديه الوقت الكافي للرجوع وركوب تلك
البخرة إذ كان من رأيه ان المدينة لا تترك مطلقا المهجئة تعبت في
اكتاف السودان . وبناء على ذلك رجع قبيل أواخر شهر أغسطس عن

رأيه الأول القاضى بذهابه نحو الجنوب الذى لم يصل اليه من أخباره شيء وظن انه يكون من المستحسن والأفضل الاقتراب من الجهة الشمالية . وعدا ذلك فان أمينا بك أرسل اليه دعوة بالحضور الى لادو إلا أنه قرر أن لا يذهب لغاية هذه المحطة بل الى كرى فقط ويراقب منها مجرى الحوادث .

وفي ٣٠ أغسطس سافر حواش افندى و سليمان افندى الى وادلاى ليتوجها منها الى محطة أبى نخرة الجديدة لافتتاحها . واتفق جونكر من جهته مع مصطفى افندى الضابط المصرى الذى كان مقبلا في دوفيليه ونقل الى محطة خور أبو على أن يسافرا معا الى هذه المحطة . إلا أنه بعد أن انتظره مدة لينجز ما لديه من الأعمال رأى ان المسألة ستطول فسافر بمفرده في ٤ سبتمبر من دوفيليه .

وبعد أن قضى جونكر ليلة في خور أبو وصل الى لا بوريه وقضى فيها يوما ثم سافر الى موجى وأقام فيها كذلك يوما وسافر منها الى كرى ولدى وصوله نزل في دار أمين بك وكتب إليه بوصوله . وكان فولاً افندى الذى كان قائدا لهذه المحطة وقت سفره في الذهاب قد نقل الى أمادى تحت رئاسة مرجان افندى وعين محله احمد افندى الاسيوطى (١) وهو ضابط سودانى من رجال عهد سير صمويل بيكر . وقد بذل ذلك الضابط كل ما في وسعه في سبيل راحة جونكر مدة اقامته .

(١) — هو مثل مرجان افندى الدناصورى من أبناء السودان وقد توطن بمديرية أسبوط فنسب اليها وجند مع من جنسوا من أبناء القطر المصرى لسفر فى الاورطة المصرية فى حرب المكسيك ثم عاد منها ولحق بالخدمة فى السودان .

عودة جونكر الى لادو

وفي ١٤ سبتمبر لحق ابراهيم افندى حليم بجونكر في كري . وقرر جونكر الذهاب الى لادو طوعا لارادة أمين بك الذى كان يلح فى ذلك .

وفي ١٥ منه اتخذ سيبه فى اليم على متن سفينة المحطة التى وضعها أمين بك تحت تصرفه . وكان بمعية ابراهيم افندى ووجهته بيدن . وقدم له احمد افندى قبل أن يسافر سلتين كبيرتين على سبيل الهدية مملوءتين فولاً سودانيا . ويزرع هذا النوع بكثرة فى جهات كري .

ولم يجد جونكر فى بيدن قائد المحطة وكان قد ذهب لجمع العلف من الضواحي . وبعد ان قضى الليل بلغ فى ١٦ سبتمبر الرجاف وفيها وجد على افندى سيد احمد وهو من اقدم ضباط المديرية وحائز لثقة أمين بك التامة . ونقله هذا عند بدء الاضطراب قائدا للحرس فى لادو . واستعيض عنه فى الرجاف بضابط مصرى آخر من أمادى يقال له عبد الله افندى وعين بدل هذا فولة افندى من كري .

وصوله الى لادو والحوادث التى وقعت فى غيبته

وفي ١٧ سبتمبر شخص الجميع الى لادو ولدى مرور جونكر بنفسدوكورو وقف ليزور هذا الموضع التاريخى الذى اتخذته الحكومة بادية الأمر قاعدة لها ومنه دوخ سير صمويل بيكر كل الاراضى الواقعة جنوب ممتلكات مصر وأخضعها . وبعد الفداء استمروا فى طريقهم غير أنهم لم يصلوا الى لادو

إلا وقت العصر بسبب هبوب الرياح من جهة الشمال بشدة . وكان أمين بك وبعض الأصدقاء في انتظار جونكر في الموردة وبمد تبادل عبارات التحية والتسليم أخذه وأسكنه في منزل عثمان أرباب الذي كان خاليا لداعى سفر صاحبه مع الوفد .

وبما ان خدم جونكر ما كانوا قد وصلوا بعد فقد نزل هو ضيفا على أمين بك مؤقتا . وأول محادثات دارت بينه وبين أمين بك كان موضوعها بالطبع الحوادث التي وقعت في خلال غيبته . وهذا ما علمه :

أرسل الأمير كرم الله الى جميع موظفي المديرية كتبها كالتى بث بها الى أمين بك : أى الى عثمان افندى لطيف في روميك ، وضيف الله في أجاك ، و ابراهيم افندى في مكراكا . وكتب هذا الأخير الى أمين بك يخبره انه ارسل الى أمادى البغلة التى طلب منه إرسالها ليركبها في سفره الى بحر الفزال وأنه سيقابله في محطة أمادى المذكورة . وبناء على ذلك جمع ضابط مصرى يقال له خليل افندى مرعى مرءوسيه في مكراكا وقال لهم : « لكل واحد منكم أن يذهب حيث شاء إذ ان الحكومة اندثرت وزالت » . وعندما سمع أمين بك هذا النبأ اتدب في الحال ضابطا و ١٠ من الجنود للقبض على ذلك الضابط .

وورد بعد ذلك بزمن يسير تقرير من بلال افندى بكاباندى يقول فيه ان ابراهيم افندى جورجورو أرسل ٢٠٠ رجل من الاهالى ليجمعوا النساء والاولاد وأخذهم وأخذ معهم الأسلحة والذخيرة التى في مستودعات واندى وخرّب ككاباندى تخريبا تاما تقريبا ووضع الأغلال في عنق مصطفى افندى درويش واقتاده معه وسافر مع خليل افندى مرعى ومحازبيه الى بحر

الغزال . وهكذا تمت نبوة جونكر عن هذا الرجل .

وكتب عثمان ارباب من امادى وهذا هو سكرتير أمين بك الذى سافر مع الوفد يقول ان الأمير كرم الله سييأرح بحر الغزال ميمما لادو فى ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه . وكتب كذلك ضيف الله يقول ان مع الأمير كرم الله فى بحر الغزال ٧٠٠٠ مقاتل .

وورد نبأ من محطة روميك أن العرب فيها تركوا المحطة عندما سمعوا أن مديرية بحر الغزال سقطت لينضموا الى الأمير كرم الله وان الزوج ذبحوم فى اثناء الطريق وبذلك أضحت روميك واقعة فى الخطر فأمر امين بك باخلائها وتوجيه حاميتها الى اجاك . وكلف امين بك قائد هذه المحطة الأخيرة سليمان افندى بهذه المأمورية فذهب الى روميك على رأس ١٨٠ جنديا وجرى العرب الذين كانوا قد تخلفوا فيها من الأسلحة وأرجع الجنود ومدفعين والذخيرة وبعض المؤونة الى اجاك فى ١٧ أغسطس . وأخلت كذلك محطتا اجاك و بوفى بعد هذا التاريخ بزمن يسير وانضمت حاميتها الى حامية امادى لتقويتها .

وجاهر العرب فى مركز رول من أول الأمر بالمعدوان والكراهة للحكومة . وجرى صياد من صيادى الافيال يقال له على كركوتلى المسافر المرابطين فى محطة صيادين الصغيرة من أسلحتهم وذخيرتهم وأخذهم أسارى . ولما نقل مرجان افندى من دوفيليه الى أمادى أرسلت إليه الأوامر بأن يبعث تكفارا رئيس الزوج المقيم على مقربة من المحطة والذى ما فتىء مواليا للحكومة لمعاقبة على كركوتلى .

أما عن الوفد فقد علم جونكر انه قام نزاع بين أعضائه وان البعض منهم رجع الى محطة صيادين . وكان هذا الخبر صحيحا لأن أميننا بك قد وصل اليه في ٢٠ أغسطس من مرجان افندى خطاب أرسله اليه عثمان ارباب من المحطة المذكورة يقول له فيه انه قدم من بحر النزال حاملا مراسلات برسم أمين بك حاوية أخبارا سارة ويطلب ارسال رجال لاحضاره لأنه مستعجل . وأرسل اليه مرجان افندى الرجال في الحال . ومع انه قد قضى الوقت الكافي لقدمه فهو لم يحضر للآن وما فتىء أمين بك ينتظره في لادو الى تلك الساعة . وفوق ذلك فانه هو وجميع أعضاء الوفد الآخرين الذين سافروا لم يعودوا بعد مطلقا وظلوا مع الثائرين .

ووردت في نهاية الأمر أخبار طيبة من محطة بور بعد أن ظلت أخبارها منقطعة ستة عشر شهرا وتبين من هذه الأخبار ان الضابط عبد الوهاب افندى طلعت والاثني عشر جنديا الذين كانوا معه نجوا جميعا وان الزوج قاموا بهجمة فصدت وان الحالة مرضية .

ولم يبق من المحطات الواقعة على الضفة النيل الشرقية إلا محطة بور و غندوكورو ويمكن تلخيص الموقف فيما يأتي :

لم يهاجم مهديو بحر النزال مديرية خط الاستواء وعلى هذا يجوز أن يكون عدد رجالهم الذي قدم من كردفان غير كبير أو أن الناس الذين قدموا منها توطنوا مديرية بحر النزال . ويظهر ان قوة المدو التي يعتمد عليها في هذه المديرية تنحصر بالأخص في العرب الذين كانوا مقيمين فيها من قبل واحتل هؤلاء بالاتفاق مع من قدم محطات خط

الاستواء الغربية وشحذوا غرار المزم على القيام بهجوم على محطة أمادى .
ووقع في أيدي الثائرين علاوة على أجاك التي كانت قد أخليت ، المحطات
الصغيرة الواقعة جنوب غرب رول بما فيها « صيادين » . وكانت محطتا كاليكا
و لوجو Kalika & Loggo قد أخليت كذلك . أما ممبوتو فكانت لم تزل
محتلة ومثلها محطات مكرাকা الواقعة شرقا . ونقلت حامية بوفى وانضمت
الى حامية أمادى لتقويتها وأحيطت هذه بسياج من الخنادق وصارت الحصن
لحدود المديرية والنقطة الحصينة الأمامية للادو .

هذه هي الحوادث التي حدثت في أثناء غيبة جونكر والحالة التي كانت عليها
المديرية يوم ١٧ سبتمبر أى تاريخ رجوعه الى لادو .

جمع الحاميات في أمادى وتحسن الحالة

وفي ٢٦ سبتمبر وصل خدم جونكر الذين كانوا قد تحلفوا عنه ورتبوا
منزله . وكان يصل اليه كما كان ذلك جاريا في المدة السابقة راتب من اللحم
والخضر من الحديقة واردب ذرة من مستودعات الحكومة .

وفي ٢٨ منه دعى جونكر لتناول الغداء في منزل فيتا حسان هو و احمد
افندى محمود و ابراهيم افندى حليم . وكانت دار فيتا حسان ممتازة أكثر من
غيرها من الدور في لادو لأنه كان قد استحضر أشياء حين رحلته الأخيرة
الى الخرطوم . فقد كان يوجد عنده البن والسكر وهما من الأشياء التي كانت
لا توجد عند غيره ولا عند أمين بك . وكان هذا يستعمل مثل الآخريين
السكر كدب وهو حبوب شجيرة يجرها الزوج ويعملون منها منقوعا يشربونه
عوضا عن القهوة .

ووافق أول اكتوبر أول أيام عيد النحر فعمل أمين بك في بكرة النهار حفلة استقبال في ديوان المديرية حضرها جميع الموظفين المالكين و المسكرين فجلس كبارهم مع المدير العام وقدمت لهم المرطبات بحضوره . وأما الآخرون فانسحبوا بعد أن سلموا عليه الى ديوان مجاور لاقوا فيه الحفاوة والا كرام .

وحضر جونكر بالطبع هذا الاحتفال وجلس بجانب أمين بك .

وبعد العيد عقد زواج ابراهيم افندى حلیم على كريمة على افندى سيد احمد وفرض لها مهر قدره ١٥٠ ربيلا وأقيم لذلك حفلة كالمعتاد رغما عن أوقات الشدة التي كان يصطلي الناس بناها .

وفي ٩ اكتوبر سافر على افندى سيد احمد و ابراهيم افندى حلیم و فيتا حسان من لادو فذهب الأول الى الرجاف ليتم عملا كان قد شرع فيه ، والثانى الى مركز عمله وهو مأمورية محطات لا بوريه و موجى و كرى ، والثالث ليعود مرضى المحطات الجنوبية وبالأخص دوفيله حيث كان المستخدمون في انتظاره .

وحفر في مدة غياب جونكر عن لادو خندق حول المحطة والتراب الذى خرج من الحفر عمل منه متراس نصب عليه مدفعا أحدهما في الزاوية البحرية الغربية والثانى في الزاوية الجنوبية الغربية . وقد باشر هذا العمل الضابط المصرى محمود افندى العجيمى وأحسن اتمامه . وهذا الضابط اشترك في حرب الترك مع الروس سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م .

وفي ١٠ منه ورد بريد من مرجان افندى وبه عدة كتب من بينها كتابان من الأمير كرم الله لأمين بك منطوقها كمنطوق كتبه السابقة إلا

أنه زاد على ذلك ان قال ان قدومه الى لادو في القريب العاجل من الأمور التي لا بد منها والمسألة الاساسية في الحالة الراهنة هي مسألة الدفاع عن أمادى وكان قد أقيم حول هذه خندق كالذى عمل حول لادو ووصل اليها حاميات المحطات التي أخليت والتي وصلت اليها الأوامر بالذهاب اليها . وأرسل أمين بك بمض أوامر الى مكراكا واستدعى فيتا حسان و على افندى سيد احمد .

وفي ٣٠ أكتوبر حاول أمين بك ارسال خطاب الى بور وبعد ٢٠ يوما من هذا التاريخ ارتد له خطابه لان الطريق كان يحاصره الزوج الثائرون . وفي اليوم ذاته أبلغ أمين بك جونكر ورود خطاب من مرجان افندى صادر عن أمادى يقول فيه انه أرسل الى محطة صيادين بمض الثقات بقصد الحصول على أخبار وان هؤلاء رجعوا وأخبروا بأنهم لم يتسن لهم الحصول على أخبار عن الأمير كرم الله ولا عن رجاله غير أنهم سمعوا من ناحية أخرى ان الرجال الذين كانوا بصيادين يستعدون للهجوم قريبا على أمادى بقيادة على كركوتلى والشيخ حسن واد الطيب . ويقول مرجان افندى علاوة على ما ذكر ان حامية أجسك بمدافعها وذخيرتها ومتاعها وصلت سليمة معافاة أما حامية بوفى فلم تزل الى الآن في الطريق . ويقول كذلك ان الحامية على أحسن استعداد وان الوفد الذى كان قد سافر من لادو باق بأكمله مع الثوار . وهذه الأخبار سارة لاسيما الخاص منها بحامية أجسك التي كان يسود بصدها القلق والجزع .

وهكذا انتهى شهر اكتوبر وكانت الحالة قد تحسنت تحسنا بينا لجمع الحاميات التي كانت مشتتة وحشدها جميعها في أمادى . وكان أهم الأمور

الآن محاولة استكشاف قوة العدو . أما العرب فجاهروا بالثورة بعد خيانة ابراهيم افندى جورجورو وما قام به على كركوتلى فى محطة صيادين .
Sayadin .

وفى ٨ نوفمبر ورد تقرير من أمادى مذكور فيه ان قوات قادمة من بحر الفزال أمست على وشك أن تهاجها هى و مكراكا بقيادة عبد الله و على كركوتلى و طاهر . وانه أذيع ان عددا من جنود حامية شبي لاذ بالفرار على سفينتين بقصد الانحدار مع النيل والوصول الى فاشودة وان إحدى هاتين السفينتين وقمت فى أيدي الزوج فخطموها .

وفى ١٤ منه قدم رجال من ناحية الجنوب يحملون رسائل من أنفينا يقول فيها إنه بعد اخلاء محطة فويرا بأداه جراه الشرقى والجنوبى بالمدوان ، وهذان الجاران هما كاميزوا Kamisoa بن ريونجما الذى عقد مخالفة الدم مع سير صمويل بيكر ، وكباريجا ملك أونيوورو . ويطلب أنفينا من أمين بك إعادة احتلال المحطة المذكورة لحمايته هو وأراضيه من أعدائه .

وكانت الاحوال الحاضرة لا تسمح باجابة هذا الطلب فكتب له أمين بك انه عندما تتحسن الحالة وتأتى الباخرة من الخرطوم يصير احتلال المحطة ثانية . وانهم جوناكر هذه الفرصة ليرسل خطابات الى المبشرين الذين كان يحتل وجودهم فى أوغندة . وأوصى أمين بك حاملى الرسائل أن يطلبوا من أنفينا موالاته بارسال المكاتب .

وفى ١٣ منه كان قد ورد خطاب من مرجان افندى يذكر فيه ان العرب يقتربون واستولوا على قرية تكفارا المجاورة لأمدى . وجاء بعد ثلاثة

أيام خطاب من عبد الله يقول فيه لأمين بك انه عين على رأس القوة التي ستستولى بأمر الأمير كرم الله على المديرية والخطاب محرر بخط كاتب من لادو وكان قد سافر مع الوفد وصار الآن في خدمة عبد الله .

وفي ١٧ نوفمبر ورد خطاب من مرجان افندى جاء فيه أن الثائرين هاجموا المحطة وصدوا بعد ان تحملوا بعض الخسائر . وتكررت هذه الهجمات في الايام التالية فكانت النتيجة كالمرة الأولى . وجاء فيه ايضا خبر وصول حامية بوفى . وقد بعث مرجان افندى في الوقت نفسه الانذار الذي أرسله اليه الأمير كرم الله بتسليم المحطة .

ولدى انسحاب حاميتي أجاك و بوفى الى أمادى أخذنا عدة مئات من الاسرى وأحضرتاهم الى هذه المحطة . ولما كان يصعب كثيرا على الحامية في الحالة التي هي عليها أمام العدو الاحتفاظ بهؤلاء الأسرى فقد اقتيدوا على دفعات الى خارج المحطة وأعدموا وذلك بسبب العداوة المتأصلة في النفوس بين العرب والزنوج . وجرى بقسم من هؤلاء الى لادو واستخدموا في مختلف الأعمال وفي أعناقهم الاغلال ثم أرسلوا الى دوفيليه غير أنه لم يصل واحد منهم اليها بل كان حظهم كحظ رفاقهم وقتلوا في الطريق تقتيلا . وكان يوجد بين هؤلاء الآخريين ضيف الله مأمور اجاك سابقا وقد بيعت بعد ذلك الاشياء التي كان يمتلكها في لادو بالزاد العلى .

وقبيل آخر شهر نوفمبر أغار الثائرون على أمادى فصدوا حسب ما جاء في تقرير مرجان افندى غير ان الحامية خرجت لمهاجمة العدو فردت هي الأخرى بخسائر فادحة . وكان من جملة خسائرها ٣ ضباط

قتلوا من بينهم فـولة افندى الذى كان قائدا فى كرى و ٣٠ جريحا .
والسبب فى هذه الخسارة الجسيمة هو انه عندما ارتدت الجنود بسرعة صارت
الضباط فى المؤخرة فتعرضت أكثر لثيران العدو .

وقد أرسل أمين بك نجـدات الى أمادى بقدر ما استطاع وأمر زنوج
بومييه ومكراكا ان يسافروا الى المحطة بصفة مساعدين غير أنهم لم ينصاعوا
لهذا الأمر لأن الحالة كانت قد تغيرت والضباط القدماء مثل بنجيت بك
و احمد بك الأطروش وغيرهما من أولئك الذين يعرفون كيف يسوسون هذه
القبائل ذهبوا من المديرية وخلف من بعدهم خلف ليس فى مقدرتهم ولا درايتهم
حسب رأى جونكر .

وبعد ذلك الخروج غير الموفق التزم مرجان افندى جانب الدفاع
وهذا ما مكن العدو من اقامة المتاريس أمام المحطة وعلى ذلك أمسى
من المتعسر زحزحتهم عنها وبدأ من بالمحطة يشعر بألم الجوع . وكان
السعاة الذين يأتون بالأخبار يقولون ان شبان الضباط والجنود يرغبون
فى القتال لأن العدو لم يكمل بعد عدده وان مرجان افندى يصر على
الاستمرار فى خطة الدفاع .

ويؤخذ من منطوق خطابات كازانى الذى كان مقبلا فى مكراكا
ان ادارة هذه الناحية سيئة جدا والضابط فرج افندى يوسف لا يشتغل فى
واندى على ما يظهر بشيء آخر غير السكر ولم يكن تحت يد أمين
بك فى ذلك الوقت أى ضابط من كبار الضباط يرسله ليحل محله لان
ريحان افندى الذى كان فى الزمن السابق مأمورا لها والذى كان
يجب ان يرجع اليها لم يعد للآن من ممبتو مع رجاله . غير انه

لما كان عام ١٨٨٤ م على وشك الانتهاء انتدب امين بك احمد افندى محمود للقيام بعمل تفتيش في مستودعات المحطات الكبيرة والذهاب الى واندى وأوصاه ان يتحقق من مجرى الامور في مكرى كا .

وانتدب من جهة اخرى فيتا حسان للذهاب الى امادى ليعود المرضى والجرحى ويفتش المستودعات ويحاول في الوقت نفسه استكشاف قوات العدو . وانتدب كذلك على افندى سيد احمد لتفتيش مستودعات محطة الرجاف .

وورد في مساء يوم من أيام أواخر ديسمبر على حين بفتة خبر بان مركبا كبيرا وصل الى موضع يبعد بضع ساعات عن لادو . وكان هذا المركب هو مركب عبد الوهاب افندى الذى أرسل من عدة شهور ومعه جنود برسم محطة شمبي ووردت الأخبار من محطة بور بالتجائه الى الهرب ونجاته بمجززة . وكتب الآن يطلب زادا له ولرجاله الذين أتهمهم الجوع وأضنهم التعب وصار في غير استطاعتهم أن يجرؤا مركبهم وأخبر أيضا ان نصف حامية بور قتلهم الزوج وبقى النصف الآخر مسجوناً في المحطة لا يقدر على المقاومة زمنا طويلا بدون زاد . فأرسل أمين بك فى التو والساعة مركبا محملا بالميرة يركبه العدد الكافى من الباريين لجر المركبين . وهاك ما قصه عبد الوهاب افندى عند وصوله الى لادو :

خرج قائد محطة بور مع نصف رجاله للقيام بغارة على مسافة بضعة أيام من المحطة فقتل هو وسائر من كان معه ووقعت بنادقهم وذخيرتهم فى قبضة الزوج ولم يبق بعد إلا خمسون رجلا محصورين فى المحطة وليس لديهم من الزاد إلا القليل . وقال عبد الوهاب افندى انه من الحتم اسعاف بور بالزاد

بلا توان إذ أنه في الاستطاعة انقاذ الباقي من حاميتها . وقال انه قطع المسافة بين بور و لادو في ٢٠ يوما .

أما شمي فقال انه وجد محطتها أترا بعد عين فانقلب راجعا الى بور وقطع المسافة بينها في ٢٠ يوما بعد أن ذاق الأمرين لأن المركب كان كبيرا وليس له شراع فدعت الحالة الى سحبه بالبلان عكس جريان الماء في انحاء سكانها معادون للحكومة وعاد بعسكره بدون أن ينقص منهم أحد اللهم إلا شخصا واحدا قتله الزوج لأن الحالة اضطرته كذلك أن يقاتل .

ومما لا نزاع فيه انه هو ورجاله بشجاعتهم وجلدهم وصبرهم على الشدائد أدوا أعمالا تستحق الاعجاب وتستوجب الثناء . وهكذا انقضى العام .

ولهذه الرحلة تنمة نذكرها في الملحق الأول للعام القادم .

٢ - ملحق سنة ١٨٨٤ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديريةىة خط الاستواء

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى واندى

قضى كازاتى القسم الأول من هذا العام فى الريادة . وفى ٢٨ مايو
جاءه كتاب من أمين بك يستحثه فيه بالحاح على أن ينسحب فى اتجاه
الشرق لأن حوادث ذات شأن عظيم وقعت فى مديريةىة بحر الغزال .
وكان قد ورد اليه فى ١٢ أبريل خطاب من لبتون بك مدير هذه المديرية
يخبره فيه ان جيش المهديين مرابط على مسافة ٦ ساعات من ديم سليمان
الذى فيه محل اقامته ، وانه أتاه اثنان من الدراويش يدعوانه للتسليم الى
الشيخ كرم الله مندوب المهدي . وان أمين بك تلقى عدا ذلك خطابا من
الأمير كرم الله يخبره فيه بما صادفه المهدي من النجاح والفلاح فى أرجاء
السودان وينصح به بتسليم مديريةىة خط الاستواء لهذا النبى المنصور . ويحيطه
كذلك علما بالاجتماع الذى عقده الضباط والموظفون فى لادو وقرروا فيه
تقديم الطاعة ووجوب سفر أمين بك يوم الاثنين القادم الموافق ٣١ مايو
عام ١٨٨٤ م مع وفد الى الأمير كرم الله ليقدم له الاقرار بالطاعة وتألف

هذا الوفد عدا المدير العام من فيتا حسان ، و القاضي ، و معلم المدرسة ،
و الملازم موسى افندى ، و عضوين من الادارة وهما عثمان أرباب و احمد بابا .

وكان كتاب أمين بك مصحوبا بكتاب آخر من جونكر الى اليوزباشى
كازاتى يخبره فيه بما عقد عليه النية من أمر السفر فى اتجاه الجنوب ويحثه
على أن يحدو حذوه .

كل هذا قد علمه كازاتى بغتة وعلى غير انتظار بتاتا فدهش بادية ذى
بدء وبعد أن سبر الأمور بمسبار التعقل استقر به الرأى على السفر الى مكرىكا
والمعدل عن كل ما كان قد قرره من المشروعات .

وفى ٢٠ يولييه انطلق فى السير وكان السفر محفوفاً بأنواع التعب
والنصب واشتم الزوج رائحة الأخطار التى كانت تهدد كيانهم فكانوا يخافون
أن تصيبهم الويلات والمكاره التى تلازم عادة الغارات وتلوح عليهم
سياء الغضب . واضطر كازاتى فى سيره أن يتجنب النواحي المأهولة
بالسكان والسكك المطروقة وأن لا يسير إلا ليلاً وأن يسلك الدروب
الصعبة الكثيرة التعاريج . وانجلى الدناقلة عن الأراضى التى كان بها محطات
للحكومة ورحلوا الى الجهات الشمالية . أما عييدهم فهاوما على وجوههم فى القياق
والقفار حاملين أسلحتهم بأيديهم وأخذوا يشون الرعب والذعر فى أفئدة الناس
فى كل صوب وناحية .

وفى ٢٩ أغسطس وصل كازاتى الى واندى وفيها علم ان أمينا بك
لم يزل للآن فى لادو . وأتت مكاتيب من روميك منبثة بمحدث حوادث
تنصدع لهول فظائرها القلوب وتنفطر لها الأكباد . ذلك ان المهدين بعد

أن احتلوا المديرية أحرقوا المستندات الرسمية ونهبوا المستودعات وباعوا الأسلحة وجردوا منها الجنود وباعوهم هم ونساءهم وأولادهم . ولذلك بادرت حكومة لادو بالعدول عن تنفيذ قرار ٢٧ مايو وقررت ارسال وفد الى الأمير كرم الله ليقدّم الطاعة بشرط حضور باخر من الخرطوم لنقل الجنود والموظفين . وسافر هذا الوفد المؤلف من القاضى و معلم المدرسة و ضابط و موظفين من لادو في ٣ يوليه .

موقف الحكومة ورأى كازاتى فيه

يقول كازاتى ان الحكومة فى بلاد زنوج خط الاستواء كانت واقعة بين شقى الرحى فلا تدرى أى هذين الجنسيتين تفضل : العرب أم الحزب المسكرى .

وكان يوجد بين هذين الفريقين مضادة منشؤها تباين الأجناس وتريد مساوىء النخاسين نارها اضطراما بلا انقطاع . إلا ان هذه المساوىء كانت تقع على قدر الاستطاعة .

وكان يتولد من هذا التصادم بحكم الطبيعة غيظ كامن فى الصدور يدوى صداه كالرعد بين آونة وأخرى فيلحق بأعمال الحكومة ضررا بليغا .

وقد اتخذ أمين بك طرقا كانت على وجه العموم عادلة . ذلك أنه محا تفوق العرب البين فى مراكز رول و روميك و أجاك و أمادى وترك للحزب المسكرى السودانى أملا فى الترقى إلى المنزلة السامية فى إدارة البلاد . ولكن هذا الأمل توارى وحل محله الخيبة عندما منح المدير ابراهيم افندى محمد جورجورو فى مكرا كالثقة التامة والسلطة المطلقة .

نعم انه مما لا مرأى فيه ان ادارته أتت بالخيرات وعادت بالفلاح على الأحوال المالية غير ان القرع الأدبى اتسع من ناحية أخرى اتساعا مدهشا بسبب استمرار النخاسين فى مباشرة أعمالهم . وكان القائمقام بحيث بك من جهة أخرى محبوبا من الأهالى لارتباطهم وایاه برابطة الجنسية ومن الجنود لتقديرهم جدارته وأهليته إلا انه كان مهضوم الجانب مبيض الجناح منحط المنزلة بالقياس الى ابراهيم جورجورو ذلك النخاس الذى كان قد اشتهر أمره . فلم يشأ أن يغمض عينيه على الاهانة التى لحقته فاستعد للمقاومة فكانت العاقبة انخذاله وهزيمته وارساله الى الخرطوم وفوز الجنس العربى .

وعلى ذلك حط على مديرية خط الاستواء عدا الخطر الخارجى خطر من الداخل صير الحالة فى منتهى الشدة والخرج . ولان هو إلا أن علم ابراهيم افندى جورجورو بالقرار المشؤم الذى وضع فى لادو فى أوقيات ضاع فيها الرشد وساد الذعر حتى هزته النعرة الدينية فأعمل فى مستودعات الحكومة نهبا وسلب جميع ما فى مكراكا و كاييندى وخطف عددا جسيما من نساء وأولاد الأهالى وذهب للانضمام الى الثوار . وهكذا قابل ابراهيم افندى جورجورو احسان أمين بك بالشر والعدوان وضرب بعمله هذا جميع نخاسى المديرية الذين كان لديهم أسلحة أسوأ مثل يقتدون به فأصبحت مباءة لأشنع الفظائع .

وكان الأمير كرم الله يبعث بكتب الى الموظفين يحضهم فيها على شق عصا الطاعة ونشر لواء العصيان ولا يتورع عن أن يذكر لهم أن السودان قد ضاع والخرطوم قد أمست محاصرة وصارت على أهبة التسليم .

وعلى ذلك كانت أفكار الجنود والأهالى متهيجة للغاية والمقول متهيئة لأفزع الفواجع الدموية التى سيضحى السودان عمما قريب مسرحا لها . وأفلتت من لسان أمين بك فى الاجتماع الذى عقد فى لادو يوم ٢٧ مايو كلمة كان يقصد بها تدعيم سيطرته والاحتفاظ بكرامته وهذه الكلمة لم تذهب نسيا منسيا بل كانت سببا فى جميع الاضطرابات التى وقعت فيما بعد وفى إباء الجنود ومخاوفهم من الانسحاب صوب الجنوب بعد ذلك . وهذه هى الكلمة التى زل بها لسانه : « ليس أمام البيض ما يخافونه وأنا لهم بذلك كفييل . أما الجنود السود فهؤلاء سأعطيهم الى صديقى الفاضل كباريجا ملك اونيورو ليسمح لنا بالمرور من بلده » .

لم يفت المصريين لإدراك الغرض من هذه الكلمات التى لم يذهب صداها أدرج الرياح ومع هذا لم يظهر السودانيون شيئا من التأثر الذى شعروا به فى داخلهم إلا أن ذلك لم يمنع السهم من اصابة الرمي فكانت الريب تسرب الى نفوس أولئك وتدب الوسوس فى أفكارهم . وسنراهم عند سنوح أول فرصة يجنحون لعصيان رؤسائهم وينتهى بهم الحال الى التمرد والعتو إذ ان هؤلاء لم يكونوا أرقاء يمكن نبذهم هكذا نبذ النواة بدون بحث ولا جدال بل كانوا جنودا . ولما لم يكن سبيل للخلاص إلا بواسطة السلاح قبضوا على أزمة البلد بأيديهم واستغلوا الحالة وأساءوا التصرف .

إخلاء محطات الشمال والشرق وتحصين أمادى و لادو

وكانت محطات الشمال قد أخليت وهى روميك و أجاك و بوفى . وأخليت كذلك محطات ممتسو والشرق . وفى الوقت نفسه حصنت أمادى

و لادو وأرسل الى الأولى ١٥٠٠ بندقية ووزعت ١٥٠٠ بندقية أخرى بين مختلف المحطات التي في مكراكا والتي على النيل .

وطبعت صحيفة يوم ١٨ أغسطس بحروف من الدم إذ قتل فيه الدناقلة بقيادة رجل يقال له على كركوتلي وهو من قنصى الافيال القدماء ؛ من الجنود . وكان قد انضم الى هذا الرجل عدد آخر من الشوار . وبعد ذلك دارت رحى الحرب مرات في مدد مختلفة . وبلغت احدى هذه الحروب درجة كبرى وتلك هي التي وقعت أمام حصون أمادى في ٨ ديسمبر وتمكنت فيها الحامية من الانقضاء على معسكر المحاصرين وتدمير جانب منه وتدخل الأهالى مع ذلك بالسلاح واضطروا الحامية أن تنسحب .

وكان مما لا نزاع فيه ان الأعمال الحربية وحدها لا تنفى بالمرام وان هذه الأعمال عما قليل سيصيبها الشلل بسبب اتساع الثورة وتفاقمها وتكون النتيجة وقوع أمادى في العاجل بين يدي الأمير كرم الله .

ورأى كازاتى ان واجبه يدعوه في مثل هذه الحالة ان يضع نفسه تحت تصرف الحكومة فكتب الى امين بك ينصحه باخلاء أمادى وأن يحصن كابايندى و واندى و مديرفى في مكراكا و مبارا غرب لادو لتصير لادو محمية بخط من الحصون الأمامية . ولزيادة إقناعه بضرورة اتخاذ هذه الخطة بين له ان أمادى فقدت كل أهميتها الحربية لأن المهديين امتلكوا جميع مرتفعات تكفارا الواقعة على ضفة نهير يي Yéi اليسرى وهذا النهير يقل ماؤه ويمسى مخاضة في الفصل القادم ويتمذر عند ذلك امداد أمادى . فلم يقبل أمين بك هذه الخطة .

وانتهى عام ١٨٨٤ م بئبر مشثوم وهو أن حامية بور المؤلفة من يوزباشى
و ملازم أول و ١٠٥ من الجنود قتلها الزنوج وعدا ذلك وضع هؤلاء أيديهم
على ١٠ صناديق ذخيرة و ٥٠ بندقية من طراز رمنجتون .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨٥ م

من

حكمدارية أمين باشا

في مستهل هذا العام أرسل أمين بك مع أحد الضباط و عثمان افندي
وكيل المديرية ٤٠ لردبا من الجيوب وزهاء ٤٠ جنديا على ظهر مركبين
الى بور امدادا لمن بقي فيها على قيد الحياة . وقد زود أمين بك هذا الضابط
بتعليمات مقتضاها انه اذا لم يستطع الوصول الى هناك يترك الامتعة الخاصة ويشق
له طريقا في البر في اتجاه غندوكورو .

الحكيم على جسبارى بالاعدام ونجاته باعجوبة

وبارح فيتا حسان أمادي في أواخر العام الماضي كما سبق القول .
وصادف بالقرب من كوم الشاويش Kom El-Shawish رسولا من قبل
أمين بك قداما ليستحبه على الاسراع على قدر الامكان في العودة الى لادو .

واستعلم فيتا حسان من الرسول عما استجد من الأخبار وعن الباعث
في استدعائه على جناح السرعة فأخبره هذا انه ورد خطاب لأمين بك
من ضباط أمادي وفيه يتهمون ماركو جسبارى وشخصين آخرين بالتواطؤ
مع العدو فقال فيتا حسان انه لمن التورط في السخافة والانتهاز في البلاهة
التصديق بان جسبارى Gasbari المسيحي يتحيز للمهدين .

وكان أمين بك نظرا لوقوع البلد في حالة حرب اتخذ من وقت ما حدثت خيانة ابراهيم افندى جورجورو بتركه مركزه وانضمامه الى العدو القرار الصارم الصائب تلافيا لما قد عسى أن يحدث من الأمور المماثلة وذلك باحالة كل شخص تخوم حوله مظنة أو شبهة بأنه اقترف خيانة أو تواطأ مع العدو الى مجلس عسكري مستعجل . وبما ان هذا القرار اتخذ للمصلحة العامة فقد أمر أمين بك بناء على التقرير الذي ورد له من مرجان افندى ذلك التقرير الذي ما كان في استطاعته أن يشك في صحته ما جاء به باعدام جسبارى ورفيقه رميا بالرصاص وأرسل عدا ذلك خمسة صناديق من المهات الحربية الى أمادى اجابة لرغبة مرجان افندى .

وأخذ فيتا حسان الكتاب والحكم الصادر باعدام الثلاثة الأبرياء حسب قوله وحفظه معه ومنح الرسول رايالا وقال له : خذ الكتاب الأخرى والمهات الحربية . وحذره من أن ينس بينت شفة بشأن الكتاب الذي حجزه وحكم اعدام الثلاثة وأنذره بالاعدام شنقا اذا فتح فاه بخصوص ذلك . ولما كان لفيتا حسان تقريبا نفس المهابة التي لأمين بك كتم الرسول أمر الحكم لدى وصوله الى أمادى ولم يتحدث عنه بشيء مطلقا وعلى ذلك نجا الثلاثة من مخالب الموت .

وبما ان امين بك كان قد طلب من فيتا حسان القـدم الى لادو في اقرب وقت فقد قطع المسافة التي كان يلزم لقطعها ثلاثة أيام في يوم واحد .

وكتب مرجان افندى الدناصورى الى امين بك يقول له ان الأمير كرم الله ومنه ١٢٠٠ من الدراويش يحيطون بأمدى ويلحف في

طلب مهمات حربية ومؤن وامداد فأرسل إليه في بداية شهر يناير ثلة مؤلفة من ١٦٥ جنديا و ٨٠٠ من الأهالي مسلحين بالحرب وبعد ذلك بقليل ورد له نبأ أن سكرتيره قديما عثمان افندى ارباب قدم ومعه ٤٠٠ رجل وقاذفة لهب « صاروخ » امدادا للتأثرين .

وكتب عثمان هذا و عبد الله وشخص ثالث يقال له حسن عجيب خطابا الى امين بك يقولون له فيه انهم مرسلون من قبل الأمير كرم الله ليأتوا بهم جميعا اليه إذ لا فائدة مطلقا من المقاومة لأن اهالي السودان قاطبة لغاية سواكن انضموا الى المهدي وانه ورد لهم كتاب من الأمير كرم الله مذكور فيه استيلاء المهدي على الخرطوم ودخوله في هذه المدينة .

وما كاد فيتا حسان يصل الى لادو حتى طلب منه امين بك ان يصف له الحالة في أمادي لأنه اذا كانت في خطر تكون لادو كذلك في حالة الخطر وهي حالة موجبة لتثبيط المهتم وبث الذعر والهلج في القلوب . فأجاب فيتا حسان بأن أمادي بها حامية مؤلفة من ١٠٠٠ جندي وانها في الحالة الراهنة بعيدة عن الخطر . وبها من السلاح والمهمات الحربية ٧٢٠ بندقية من طراز رمنجتون و ٤٠٠ بندقية من ذات الكبسول و ٤ مدافع عيار ١٢ سنتيمترا منها اثنان غير صالحين للعمل وآلتان تمذف اللهب و ٣٧٠.٠٠٠ حشوة للأسلحة ذات الكبسول و ١٧.٠٠٠ خرطوش للأسلحة رمنجتون و ٣٠.٠٠٠ من الكبسول و ٣٦٠ حشوة للمدافع و ١١٠ من القنابل الصغيرة و ١٩٠ قذيفة يدوية و ٨٠ صاروخا ناريا أى لديها الوسائل الكافية لمحاربة جيش هذا اذا كانت تلك المهمات في حوزة جنود مدربة و ضباط من أصحاب

الكفايات وزاد على ذلك ان قال له انه اذا لم يبادر الى استبدال قومندان أمادى بأخر تبدد الذخيرة باطلاقها في الهواء كما هو الحاصل من منذ شهر . أما المواد الغذائية فهذه جار توريدها من الأهالي على ما يرام . إلا أنها لسوء الحظ يذهب معظمها هدرا في عمل المريسة للضباط . أما أمادى فهي في الحالة الراهنة في أمان واطمئنان غير انه غير مرتاح من جهة مستقبلها .

وخاض بعد ذلك فينا حسان في الكلام عن جسبارى وتحدث بشجاعته وبما أتاه من جليل الأعمال فتغير لون وجه أمين بك عند سماع أقواله وسأله عما اذا كان لم يحدث تواطؤ بينه وبين العدو فأفهمه فينا حسان ان تهمة كهذه لا يقبلها عقل عاقل وانها تعد من قبيل السخافات نظرا لجنسيته وديارته ثم قال له علاوة على ما ذكر ان الذي حاك لكمة وسدى هذه الوشاية لا يقصد منها سوى أمر واحد وهو اخفاء الثروة المظنون وجودها في حوزته كما حدث فيما سبق مع آخرين . وعندئذ أحاط أمين بك فينا حسان بالحكم الذي صدر ضد جسبارى وتصديقه عليه ذلك الأمر الذي كان يعلمه من قبل وأبدى شديد الندم على ما أسلف من التسرع قائلا لقد سبق السيف العذل ولم يعد لدينا وقت لرد ما نزل به القضاء . فهدأ روعه فينا حسان وأبلغه الشيء الذي عمله وأرجع اليه أمر التنفيذ الذي أصدره . فكاد يجن أمين بك طربا وأجزل الشكر لفيتا حسان والثناء عليه جزاء ما فعل .

رجوع جونكر الى لادو وهدوء الحال فيها

ورجع الدكتور جونكر الى لادو مطمئن الخاطر هادىء البال اعتمادا على الخبر المكذوب الذى ذاع بوفاة كرم الله وانحلال جيشه وذلك فى خلال غيابه . وزاره أمين بك وأكد له ان الخطر لم يكن جسيما كما تصوره بعضهم وان الحامية ما زالت ثابتة . وأن عبد الوهاب افندى طلعت الذى كان قد أرسل الى بور رجوع منها مع ستة من الجنود بعد أن نجح فى خدع المحاصرين وطلب ارسال امداد .

وظلت الأحوال هادئة تماما وقتنا ما فى لادو . وقد قرر أمين بك عزل مرجان افندى وارسال سليمان افندى سودان محله وهذا الضابط من ذوى الكفايات إلا أنه لما كان أمين بك يخشى عدم تنفيذ أمره لأن روح التمرد كان قد أخذ يدب فى النفوس كتب الى مرجان افندى لا ليخبره بأمر اقالته بل ليدعوه الى القدوم الى لادو ليتداول معه خلال غياب كبار الضباط الآخرين بشأن خطة الدفاع الواجب اتخاذها بصدد بور المحاصرة . فأهمل مرجان افندى تنفيذ هذا الأمر وكتب عريضة يطلب فيها إبقاءه فى مركزه وجمع الضباط و الصف ضباط يوقعون عليها .

وكان أمين بك قد حث مرارا وتكرارا اليوزباشى كزاتى على الاتيان الى لادو ولكنه لم يلب هذا الطلب . وفى نهاية الأمر أجاب طلبه وقدم من واندى وبلغ لادو فى ٢٣ يناير . ومكث جونكر وقد كان وقتها مقيا فى هذه الناحية معه ثلاثة أيام ثم رحل عنها فى ٢٦ يناير قاصدا مصر

عن طريق أوغندة و زنبار يحمل مكاتيب لحكومة القاهرة .

ذهاب فيتا حسان بأمورية الى دوفيليه وعودته منها

ولم يكد فيتا حسان يبيل من مرض خنثاق شديد أصابه حتى أمره أمين بك بالذهاب الى دوفيليه ليستخبر عن التوات التي يمكن تجنيدها منها ويحضر الى لادو امدادا وذخيرة . وكان ذلك في نفس الوقت الذي سافر فيه عبد الوهاب افندى طلعت الى مكراكا لتوصيل مؤونة الى أمادي والوقت الذي سافر فيه احمد افندى محمود الى هذه المحطة الأخيرة . وهذه هي المأمورية التي خان فيها عهد أمين بك مراعاة لصديقه مرجان افندى حسبما ذكر سابقاً .

واستغرق فيتا حسان يومين في قطع الطريق لغاية خور ابى قره الواقع بين بيدن و كرى لسقوط أمطار بلات الطريق وصيرته غير صالح للسير .

وفي هذه الاثناء انتشرت اشاعة في لادو ليس لها نصيب من الصحة فخواها ان عثمان أرباب أضحى ذراع الأمير كرم الله اليمنى وانه زاحف ووجهته هذه المحطة ومعه ١٦٠٠ مقاتل .

وأبلغ أمين بك هذا الخبر فيتا حسان في خور ابى قره ودعاه للعودة وأن يحضر من الرجاف على افندى سيد احمد وحوالى ٣٠ جملا . وكلفه فوق ذلك ان يبلغ حواش افندى في دوفيليه هذا النبأ ويحثه كثيرا على زيادة السهر واليقظة .

وكان البلاغ بلهجة تجمل فيتا حسان يظن ان الدراويش أحاطوا بلادو وقضى الأمر . وبالنظر الى انه لم يكن والحالة هذه من حسن الفطن الذهباب برا أقلع هو و على افندى سيد احمد على سفينة وتركوا الجمال في بيدن . ولم يتصل بهم في أثناء الطريق أى خبر قل أو جل ورأوا جميع الأمور سارة قارة كالعادة وكذلك رأوا السكينة في لادو ضاربة أطنابها والهدوء شاملا كاملا وليس هنالك أى اشارة تدل على ان العدو صار على أبواب المحطة اللهم إلا هلع الأهالى الصادر عن غير سبب معقول واختفاءهم جميعا وراء جدر مساكنهم ونشاط الجند الذين كانوا يقومون بحفر خندق حول الميدان .

وأكد أمين بك لفيتا حسان الخبر الذى نقله اليه كتابة معربا عن أسفه لتركه الجمال إذ كان فى استطاعتها تأدية خدم جلييلة فى حالة حصول حصار .

وتوجه فيتا حسان الى الثكنة ليستعلم عن مصدر هذه الأخبار لأنه كان يرجح انها بعيدة عن الصحة ويمتقد انه يستحيل على المهدين تهديد لادو بينما تكون أمادى ومكرا كما مستمرتين على الثبات أمامهم وتقطع عليهم الأولى طريق القرب والثانية طريق الشمال . وقد اتضح له عندئذ ان زنجيا صغيرا يصعب فهم كلامه كان السبب فى كل هذا الأزعاج وان أمينا بك قد لعب به مرءوسوه فى هذه المرة وجسموا له الخطر . وانقضت أربعة أيام بعد ذلك ولم يطرأ ما يؤيد هذه الاراجيف .

وفى ٣٠ يناير عادت الى لادو السفيتان اللتان كانتا أرسلتا الى بور برفقة عثمان افندى لطيف وورد معها خبر وهو أن جميع من بالمحطة

في صحة جيدة ولم ينقص منهم سوى أربعة جنود خرجوا بعيدا عنها فكان نصيبهم القتل . وكان عثمان افندى قد اقترح أن يعرض على الأهالي السفر برا الى لادو وضرب صفحا عن ذكر السفن . وعندما عرض عليه في نهاية الأمر أن يكون على رأس الفرقة أبي واعتذر بواسطة رجال المحطة ورجاله بأن السفن لا تسع الجمع كله وان الطريق غير صالح للمسير . وقال ان الأصوب الانتظار الى أن تصل الجيوب ويأتي مدد مؤلف من ٣٠٠ جندي . وأقنع عثمان افندى بعد ذلك على السفن تاركا ٢٠ من جنوده لتقوية الحامية وقدم الى لادو بدون أن يحضر معه أرامل وأيتام الجنود الذين قضوا نحبهم وذلك بعد أن بدد في الطريق ١٨ دسنة من الخرطوش في صيد الجاموس .

ولقد يدرك المرء السبب في توقف الناس عن مبارحة بور عندما يتبين ان مسكن جمه افندى قائد المحطة وهو رجل بلغ من العمر ٧٩ عاما يحتوي على ٣٢ نسمة من بينهم ست محظيات ، ومسكن الكاتب يحتوي على ٢٨ ، و الجاويش ١٢ ، و الأونباشي ١٦ ، وهلم جرا . فاذا بارح هؤلاء الموظفون بور يضطرون الى ترك ثلاثة أرباع هؤلاء الأرقاء وهذا هو الأمر الذي دعا أولئك السادات الى الامساك عن السفر والبقاء حيث هم .

وأبلغ أمين بك عثمان افندى عندما آب الى لادو الحوادث التي وقعت أخيرا وطلب منه ابداء رأيه فرد عليه بوقاحة قائلا ان المسؤولية في هذه الحوادث تقع عليه هو نفسه ويجب عليه ملافاتها .

وكان أمين بك هو وسواه ضحية لهذه الحوادث المشثومة التي لم يك هو قط مسئولا عنها . فكان لاذن لا بد لاتهم عثمان افندى لرئيسه من معنى

آخر وسبب ذلك الاتهام عزله من وظيفته . ولم يبلغ أمر العزل هذا إلا قبيل وصول استائلي بأيام قليلة .

وبعد ذلك بأيام قلائل شخص فيتا حسان الى دوفيليه ليتم لدى البكباشي حواش افندى المأمورية التي كان قد عهد اليه القيام بها عندما استدعى للرجوع عاجلا الى لادو .

ما عمله حواش افندى في دوفيليه احتياطا للطوارئ

ولم يكن في دوفيليه جنود ولا ذخيرة كافية ليرسل منها مقدار الى لادو فضلا عن ان دوفيليه هي المعقل الأخير الذي لا بد للجميع من الالتجاء اليه مهما كان مآل ذلك . وحرمانها من القوة الضئيلة التي بها يعد من الخطل وعدم أصالة الرأي وربما جر فيها بعد الى أسوأ العواقب . وفوق ذلك فان ال ٥٠ جنديا الذين يمكن على أكبر تقدير ارسالهم من دوفيليه وكذلك بعض صناديق الذخيرة لا ينتظر منهم ولا منها فائدة تذكر بجانب الحوادث الجارية في أمادي حيث يوجد ١٠٠٠ جندي وكمية كبيرة احتياطية من الذخيرة .

وعلى ذلك كتب فيتا حسان الى أمين بك ان حواش افندى لا يستطيع أن يرسل جنودا ولا مهمات وبمض له في الوقت نفسه ٢٠٠ اردب من النرة ميرة للادو . .

ومن باب الاحتياط أفعم حواش افندى مستودعات دوفيليه بالجبوب والمؤونة ، والزرائب بالانعام . وهو احتياط مبني على الفطنة وبعد النظر . وأنشأ كذلك زراعات واسعة للاقطان وألزم الأهالي والجنود بزراعة هذا

النوع . وبواسطة هذا التدبير تمكن فعلا من جمع الجنية الأولى وأخذ الجنود في غزل القطن تحت مباشرة رجل دنقلاوى من فاديك وتعلموا نسج ضرب من النسيج اسمه « الدامور » . ونشر حواش افندى فيما بعد زراعة القطن ونسيج الدامور كثيرا لدرجة ان كافة سكان المديرية من ملكيين وعسكريين أمكنهم أن يكتسوا منه .

محاصرة المهدين لأمدى والحرب حولها

وبعد طول الانتظار ورد مكتوب من أمدى في ٤ فبراير مذكور فيه أن عبد الله عبد الصمد وهو أحد رؤوس جيش المهدين أصيب بقنبلة من مدفع فكسرت ساقه وأهلكت حصانه ، وان كثيرين من الدراويش وقعوا صرعى في حومة الوغى وكثيرين أيضا لاذوا بأذيال الفرار . وأيد احمد افندى محمود الذى كان قد أرسل من لادو لجرد المستودعات هذا الخبر . وقال الترجمانان اللذان أتيا بالرسالة ان ابراهيم ادريس من أهالى بحر الغزال ورجب افندى صالح وقعا قتيلين . أما على كركوتلى فقرر مع عدد كبير من الرجال وان الغارات ليلا انقطعت ويلازم الأعداء في النهار زريتهم فلا يخرج منها أحد . وروت فتاة من الهاريين ان الدراويش يشتغلون في جمع الحبوب استعدادا للرحيل . وقال أيضا التراجمة ان الاذكار التى كان يقيمها المهديون ليلا ويصل دويها الى المحطة انقضت انفضاضا تاما من زمن يسير وانقطعت كذلك الهجمات الليلية .

وكان من رأى أمين بك انه من المحتمل أن يكون على كركوتلى و عثمان ارباب قد ذهبا الى جهة بحر الغزال ابتغاء الحصول منها على امداد . وعلى كل حال لم يصل الى تلك الساعة الألقان من الرجال الذين قيل ان العدو

في انتظار قدومهم .

وفي ٨ فبراير أتت رسالة من أمادي جاء فيها انه حدث هجوم عام على زريبة الدراويش قام به قسم من الحامية بقيادة سليمان افندي سودان . وفي أثناء اشتعال نار الحرب التي استمرت من الصباح الى الساعة ٢ مساء وقعت قنبلة يدوية على زريبة العدو فأحدثت فيها حريقا هائلا دمرها تدميرا وصيرها أترا بعد عين وانفجرت الذخيرة وقتلت عددا كبيرا من الثوار . أما الحامية فلم يصبها أى أذى وخسائر العدو كانت جسيمة وقد أخذ سليمان افندي سودان يتأهب لمطاردة فلول الثائرين .

وفي ١٥ فبراير ورد الى لادو بريد من أمادي به بلاغ من احمد افندي محمود يقول فيه ان المهديين ما زالوا الى الآن يقاومون رغما عن تدمير زريبتهم وانفجار الجزء الأكبر من ذخيرتهم وعمما لحقهم من الخسارة وفرار كثير من صفوفهم . وان في عزم سليمان افندي القيام بهجوم آخر عام وحسم هذه المسألة حسما نهائيا إن أمكن وذلك بعد رجوعه من تجريدة صغيرة سيرها للحصول على حبوب .

وكتب المذكور ان مرجان افندي أظهر عدم مقدرة على القيام بأى عمل اللهم إلا افعام جيوبه ولم يبق على شيء حتى على تركات ضباطه الذين أدركتهم المنية في ساحة القتال .

وكتب مرجان افندي الى امين بك خطابا فيه الشيء الكثير من عبارات الاحتشام . أما أمين بك فقرر ان يتركه موقتا في مركزه اجتنابا للفضائح وان ينظر في أمره فيما بعد .

وقال احمد افندى ايضا انه علم من الهاريين ان عبد الله عبد الصمد وأخاه محمود قد جرحا جروحا بليغة في واقعة ٢ فبراير وتوفيا على إثرها .
وفي اليوم التالى لورود هذه الأخبار شخص امين بك الى ناحية تبعد عن لادو شمالا بضع ساعات ليعاقب بعض المتمردين الذين أهدروا دم ثلاثة جنود كانوا حاملين بريد بور . وكان قد عقد النية على ان يرسل الى هذه المحطة سفيتين مع ستين خطريا قبيل آخر الشهر .

وفي ٢١ فبراير ورد لأمين بك خطاب من مرجان افندى وبداخله ست رسائل منها نسختان من نداء وجهه المهدي الى اهالى مديرتى بحر الغزال وخط الاستواء يصرح فيه بمهمته ويحثهم الانضواء تحت لواء الأمير كرم الله . وخطابان من هذا الأخير الى مرجان افندى يقول فيهما انه قد حضر بنفسه الآن الى امادى ويلح عليه فى طلب الخضوع ويقول ان لديه ما ينيف على النهى مقاتل وفيهم كثيرون من رعوس الدناقلة من كردفان . هذا بصرف النظر عن الضباط القداماء والجنود والكتبة . ويقول كذلك انه من العث ضياع الوقت فى الخطابات وان الخضوع أمر لازم . وخطاب من عثمان ارباب الى مرجان افندى لا يختلف فى نصه عن خطابى الأمير كرم الله . ثم خطاب بتوقيع عثمان بدوى كاتب لتون بك قديما ، وبرنجى زبير ، ورؤساء دناقلة آخرين من كوردوفان غير معروفين من أمين بك ، وجمع كبير من ضباط الصف وضباط يقال له على بشارة يلحون فيه على مرجان افندى بالتسليم .

وكتب مرجان افندى الى أمين بك بطلب ١٠٠ جندي ليعاونوه فى

الانسحاب الى لادو ويوصيه بنوع خاص برسالة جوب . ويقول انه أرسل احمد افندى محمود ليسط له الحالة .

وأرسل الافندى المذكور من زريسة على توتو الى أمين بك خطابا مؤرخا في ١٨ فبراير فـواه انه سائر في الطريق ووجهته لادو وانه سيسط له الأحوال شفويا وانه علم ان المهديين الذين قدموا من بحر الغزال قليل عديدهم إلا أن معهم زمرا من الزوج مسلحين بالاقواس والنبال ومعهم أيضا مدفعا بذخائره .

وطلب أمين بك في الحال جنودا من مكراكا و لا بوريه وساورته الآمال أن يجد سييلا لارسال الجنود المائة المطلوبة .

وفي ٢٢ فبراير وصل احمد افندى محمود الى لادو وروى أن القادمين من بحر الغزال لا يجاوز عددهم الثلاثمائة منهم ٥٠ فقط من العرب والباقيون من الزوج وانه يقال ان عثمان بدوى سكرتير لبتون بك بين هؤلاء القادمين . أما المدفع فهو عبارة عن قاذفة لـب « صاروخ » لا أقل ولا أكثر وان واقعة ٢ فبراير خسر فيها الدراويش ٣٠٠ نفس من بينهم عبد الله وأخوه وأنه يظن ان الأمير كرم الله لاذ بالفرار وان على كركوتلي انضم الى من قدموا حديثا . ويعتقد احمد افندى انه اذا وصل الى مرجان افندى بعض الامداد لاسيما المؤونة فانه يكون عندئذ في استطاعته تماما اتمام هذه المسألة على الوجه المرضى .

وفي الحال أرسل أمين بك عبد الوهاب افندى طلعت الى مكراكا لتنظيم عملية التعمين . وسافر فرج افندى الى أمادى بالجند والتراجمة .

وفي ٢٧ فبراير ورد خطابا من أمادى منبثا بإحاطة المهديين بها من جميع الجهات وبقطع الماء عنها . وفيه ان الجنود حفرو آبارا في داخلها وأخذوا يستقون منها الماء ويطلب مرجان افندى زادا وذخيرة .

وفي ٤ مارس ورد الى أمين بك خطاب من قومندان المحطة في زريبة على توتو الواقعة على مرحلة ١٠ ساعات من أمادى من ناحية لادو . وجاء في هذا الخطاب انه منذ ٢٣ فبراير لم يصل اليه أى خبر من مرجان افندى وانه لم يتمكن من ارسال حبوب لأن المحاصرين أقاموا على مسافة ساعة من أمادى نقطة للمراقبة ولمنع المرور والقاء القبض على أى انسان حتى التراجمة . وانه كتب الى مكرا كما يطلب ارسال نجدات .

وورد في ٧ مارس من نفس الضابط السالف ذكره كتاب آخر مؤرخ في ٣ منه جاء فيه ان ترجمانا قدم من أمادى وبلغه شفويا عن لسان مرجان افندى ان النظام مستتب بها وانه لا يطلب إلا زادا . وان المهديين انتهزوا فرصة زول مطر هطال وقاموا بهجوم إلا أنهم دحروا تاركين ٨ من القتلى في ميدان الحرب غير من قتل من التراجمة ، وقتل كذلك جندي بحر الغزال الموكل اليه استعمال قاذفة اللهب . وبعد ذلك أخذت المدافع وقاذفة اللهب الى ضفة النهر القريبة . وتتألف كل نقطة من نقط النطاق المضروب حول أمادى من خمسة أنفار مسلحين بالبنادق ومن ١٠ زوج من الأهالي الواحد منهم على مقربة من الآخر .

وورد لأمين بك في نفس هذا الوقت خبر من فرج افندى انه وصل في رجوعه من مكراكا الى مسافة قريبة من زريبة على توتو ومعه ٧١ جنديا وترجمان مسلحون بالبنادق و ٥٠ زنجيا من أهالي بومييه وكذلك

٥٥٠ حملا من الحبوب . وانه أخبر بذلك مرجان افندى ومنتظر أوامره .
والثيران التي أرسلت من لادو وصلت أيضا بدون أن يصادفها عائق .

وفي بـكـور ٩ مارس كانت جنود الامداد المتجمعة من لادو و كرى
قد سافرت من المحطة الأولى . وكان ابراهيم افندى قد أرسل ضابطا و ٤٠
جنديا وجمع أمين بك من لادو و الرجاف ضابطا و ٨٠ جنديا وزودوا بألف
ربطة من مظاريف رمنجتون (١٠٠٠٠ طلقة) ، و قنابل و صوفان و أسهم
نارية وغيرها . وعلى هذا بقي مع أمين بك في لادو خمسون جنديا فقط
واكثرهم من المرضى فكان هو يتناوب الحراسة ليلا مع اليوزباشيين على افندى
سيد احمد و محمود افندى المعجى .

وفي ١٠ مارس تلقى أمين بك خطابا من فرج افندى صادرا من
زريية على توتو يؤيد فيه خبر الهجوم الاخير على امادى ويطلب سرعة
لارسال الامداد لأنه يود تقوية النقطة الصغيرة والانضمام الى مرجان افندى .
وجاء ايضا في هذا الخطاب أن اثنين من الدناقلة الذين تعلقوا بأذيال
الفرار من أمادى أخذا يمرضان الثوار على الهجوم بقولهما ان الجنود
يموتون جوعا . وأنه في اثناء الهجوم الذى حدث في وقت كان المطر
فيه نازلا ثجاجا وقمت ٢٥ قبلة و ٤ أسهم نارية على المحطة إلا أنها
لم تحدث أى ضرر .

وفي ١١ مارس تناول أمين بك خطابا من فرج افندى بمحطة
كومى Komi مذكورا فيه ان اقارب بعض الجنود قدموا اليه من أمادى
وأخبروه ان الناس فيها يأكلون جلود الثيران بسبب المجاعة وأنه أى فرج
افندى سافر في الحال مع ٨٠ جنديا وأحرق في طريقه نقط خط المهديين حتى

وصل الى مسافة تبعد عن أمادى نصف ساعة وعندئذ أتاه ضابط صف وترجمان ومعهما أمر من مرجان افندى يقول فيه : « أولى لك ان تنسحب اذا لم يكن لديك القوة الكافية لأن العدو كثير العدد » .

وبالفعل انسحب و ينتظر الآن الامداد . ولم يفهم امين بك لماذا لم يحاول مرجان افندى القيام بخروج للانضمام الى فرج افندى والاتيان بالحبوب .

وفي ١٥ مارس ورد خبر لأمين بك ان ريجان افندى ابراهيم سافر من ممبتو وهو سائر في الطريق وبذلك تزداد القوة التي لدى امين بك ٢٠٠ جندي . وورد من دوفيليه الى لادو ضابط و ٥٠ جنديا وبعض الزاد . ومن المنتظر ان يتبع ذلك ورود ٢٠٠ بقرة .

وفي ١٦ مارس أرسل أمين بك الى أمادى ضابطا و ٥٠ جنديا وبذلك بلغ عدد الجنود التي أرسلها الى هذه المحطة ٢٣٥ جنديا . وقد انقضى زهاء عشرين يوما ولم يصل اليه منها خبر من طريق مباشر .

وأخذت أخبار أمادى تزداد سوءا يوما بعد يوم . وبعد فترة طويلة أتت الاخبار في ٢٢ منه ان المهديين قوا صفوفهم تقوية كبرى وان الأمير كرم الله نفسه وصل مع القسم الأكبر من جيوشه وطوق المحطة وشرع في احكام الحصار وان مرجان افندى يطلب المعونة والازاد وقد تولاه اليأس والقنوط . وأرسلت اليه من مكراكا نجدة من ٥٠٠ جندي . وكثير من أهمل الذرة إلا أنه لدى وصول قائد النجدة الى كوم شاوئش

الواقع على مسافة ست ساعات من أمادى علم ان العدو يحاصر الحصن ورأى ان من الحماقة محاولة اقتحام الخطوط . ورغمما عن ذلك قد حاول مرارا شقها إلا أنه فشل ولم يفتد قتيلا ما أتته جنوده من ضروب البسالة حيث لم تعاضدها جنود الحامية بالخروج وعلى ذلك انسحب الى كوم شوايش وظل يرتقب الطوارئ وما تلهه الأيام .

وفي غضون هذه المدة أخذت المجاعة تشتد في أمادى وبعد زمن يسير شرع المدافعون يأكلون الجلود بعد إنضاجها على النار ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل أخذوا يأكلون جلود أحميتهم .

وجمع أمين بك بمشقة عظيمة ٤٠٠ جندي ليحاول بهم انقاذ أمادى . واستدعى حواش افندى ليمسند اليه بالقيادة ولكنه عندما وصل الى لادو كانت الأخبار الواردة عنها داعية لليأس وموجبة للقنوط حتى ان أمينا بك اعتقد ان كل معونة تبذل في سبيل انقاذها مقضى عليها بالفشل فأرجع حواش افندى الى دوفيليه لكى يضاعف نشاطه ومجهوداته في سبيل انقاذ مركزه .

وفي ١٩ مارس وردت الأخبار لأمين بك من فرج افندى بوصول جميع الجنود وسفره مع ٢١٠ من الجنود لكى يحاول انقاذ أمادى غير انه في ٢٣ من الشهر المذكور أتى منه خطاب من كومي ذكر فيه انه ذهب الى أمادى وهاجم الزرائب التي اقامها المهديون على الطريق غير ان شدة مقاومة هؤلاء اضطرته أن يرجع القهقري وبلغت خسارته ١١ قتيلا من ضمنهم الضابط ضياء افندى من لادو و ١٦ جريحاً من ضمنهم فرج افندى نفسه إذ أصابه في فخذه عيار نارى . أما الزرائب التي ذهبت طعمة للتيران فثلاث ورغمما

عن ذلك ظل المهديون قابضين على ناصية الحـالة في الميدان . وقال حامل الرسالة علاوة على ما ذكر ان جنود حامية أمادى خرجت في ذلك الوقت ولكنها لم تستطع أن تنضم الى جنود فرج افندى لأن هذا أسرع كثيرا في الانسحاب .

محاولة الجنود الخروج من أمادى بعد احداق المهديين بها

وفي ٢٥ مارس تسلّم أمين بك خطابا من فرج افندى بمحطة كومي ذكر فيه ان سبعة من الجنود فروا من أمادى مدفوعين بعامل الجوع وانضموا اليه . وان هذه المحطة محاصرة حصارا شديدا وان الجرحى أرسلوا الى مكراكا وان ضباط الفرقة الثلاثة عزموا على القيام بغارة اخرى .

وفي ٢٧ منه جاء خطاب من عبد الله افندى بمحطة على توتو مذكور فيه ان الهجمة الجديدة فشلت أيضا وان فرج افندى سافر بجنوده الى مكراكا بدون أن يرتقب ما تأتي به حوادث الأيام . وأن عبد الله افندى والضابطين الآخرين على وشك ان يلموا شعث المساكر الذين تشتتوا ليعودوا هم الآخرون الى مكراكا . هذا ولم يذكر شيئا بصدد أمادى .

وفي ٢٨ منه رجع الى لادو جندي كان قد أرسل منها ومعه مکتوب الى فرج افندى . والسبب في رجوعه انه قابل في قرية على توتو القانص على كركوتلى ورجاله فجرده من اسلحته واخذوا منه البريد وهمسوا بقتله غير انهم في نهاية الامر تركوه يسافر . وقال ذلك الجندي ان عساكر أمادى شقوا لهم طريقا بين خطوط الأعداء .

وفي ٢٩ منه قدم الى لادو ثلاثة عساكر من حامية أمادى ورووا

ان الجنود طلبوا من ضباطهم مرارا وتكرارا ان يحاولوا القيام
بمخروج وان يشقوا لهم طريقا بين خطوط العدو ولكن هؤلاء كانوا
يترددون دواما في اجابة هذا الطلب . وحل اليأس في نهاية الأمر في
نفوس الجنود فتركوا الحصن بغير ارادة كبار ضباطهم واخترقوا لهم
طريقا في وسط المهديين وذلك بقيادة ستة من الضباط البواسل وألحقوا بالعدو
خسائر فادحة . واغلب هؤلاء ولوا وجوههم شطر مكركا . واخذ الجنود معهم
الذخيرة إلا انهم تركوا المدافع وحشوها .

وفي ٣٠ مارس شعر امين بك بارتياح إذ علم ان ثلاثة ضباط و ٢٦٠
جنديا من حامية أمادي وصلوا بنجاة من الصحة والسلامة الى واندى
من اعمال مكركا ، وان الجنود التي استدعيت من ممبوت منذ ثلاثة
أشهر قد وصلت اليها ايضا بعد ان قدم قومندانها اعذارا تافهة ليس لها آخر
عن تأخره .

ورجع فيتا حسان الى لادو بعد ان تم مأمره في دوفيليه .
وبينما كان سائرا في الطريق بين خور أبو ولا بوريه تلقى خطابا من
أمين بك يخبره فيه بسقوط أمادي ويذكر ان الذين امكنهم النجاة
٢٠٠ جندي لا غير ولوا وجوههم شطر مكركا . وان مرجان
افندي واغلب ضباطه قتلوا . أما الباقي من الحامية فلاذ بالغابات ولا
يعلم شيء من امره .

واتضح بعد ذلك ببضعة ايام ان كل ما كان يصلح للأكل
في أمادي سواء أكان جلودا مطبوخة أم جلودا أحذية أم قشا أم غير ذلك
الهمه الناس ولذلك تقرر القيام بمخروج واخترق خطوط العدو ولسوء الحظ

ونكد الطالع اختلف الضباط في الرأى وما استطاعوا أن يجدوا وسيلة للاتفاق . وهذا كان السبب في ضياعهم . فعوضا عن أن يكونوا مربعا من كافة من كان حاملا سلاحا وعددهم يربو على الألف ، ويضعوا في قلبه النساء والاولاد ثم يشقوا لهم طريقا بين المحاصرين ، أراد بعضهم الخروج والآخرون أرادوا البقاء فتولتهم الحيرة وما توفقوا الى أى أمر يقرونه . ولما رأى الجند ان الضباط منقسمون في الرأى قرروا هم وحدهم الخروج فانقض عليهم المهديون وقتلوا منهم خلقا كثيرا . أما سليمان افندى سودان وهو الضابط الوحيد القدير بين ضباط أمادى فاستولى عليه الغضب من جراء هذا التردد وهذه الحيرة والانقسام في ساعة الخطر وأقدم هو والثلاثمائة جندي الذين تحت إمرته على القيام بهجوم عنيف وتوفق الى اقتحام حصار المدو وحمله خسائر باهظة .

لإحراق المهديين أمادى وانسحابهم الى مديرية بحر الغزال

واستمر سليمان افندى سودان منسجبا الى ان بلغ ريمو من أعمال مركز مكراكا وفيها انضم الى جنود ممبتو التي يقودها ريجان افندى . أما المهديون فتركوا قسما من جنودهم أمام أمادى بقيادة الأمير كرم الله والقسم الآخر شرع في مطاردة سليمان افندى ولحق به في ريمو وعندئذ انقضت جنود ريجان افندى و جنود سليمان افندى مجتمعمة على المهديين وعلى رأسهم ضباطهم مستيئسين . وكان اليوم ممطرا عبوسا توالى فيه زجيرة الرعد وأومض البرق بلا انقطاع فأغشى لمعانه على أبصار المقاتلين . وكانت الوثبة الأولى مفزعة رهيبة سقط فيها عدد كبير من المهديين في حومة الوغى وتخيّلوا ان أمامهم جيشا عرمرما فلاذوا بأذيال الفرار

وتشتوا في الغابات . وتتبعهم الجنود مستبسلين فأبادوا تقريباً جميعهم وشتوا شملهم ولم يرجع الى الأمير كرم الله في أمادى إلا بعض من الجنود المدبرين . ولخوف هذا من قيام جنود الحكومة بهجوم أحرق أمادى بأسرها وألقى بالمدافع في النهر وانسحب هو ومن بقي من جيشه الى مديرية بحر الغزال . وهكذا أنقذت واقعة ريمو Rimo مديرية خط الاستواء زمناً من أيدي المهديين الذين ظهروا فيما بعد في الرجاف ودوفيليه .

وصول من نجا من جنود ريمو و أمادى الى مكراكا

وفي ٣١ مارس ورد لأمين بك رسالة من مكراكا جاء فيها خبر وصول فرج افندى وجنوده وكذلك الضباط الثلاثة وهم عبد الله افندى و مرجان افندى و على افندى ومهمم ٢١٣ جندياً ومهمات حربية ووصول سليمان افندى ومعه الجنود الذين نجوا من أمادى .

وفي أول أبريل جاء الى لادو خبر يسر القلب وهو خبر وصول كمية كبيرة من المهمات الحربية الى مكراكا بالسلامة . وهذه الكمية كانت معدة لمحطة أمادى . وكان يساور أمينا بك بصدها الخوف والقلق .

إنذار الأمير كرم الله أمين بك بالتسليم ورده عليه

وفي ٣ منه تلقى أمين بك خطاباً من الأمير كرم الله و عثمان ارباب يقصون له فيه ما وقع من الحوادث ويقولون له ان مرجان افندى لم يدعن ويسلم بعد أن أنذر خمس مرات . وانهم اضطروا أن يضربوا حوله حصاراً وأن العساكر تخلصت في نهاية الأمر ومن بقي حياً لاذ

بمكراكا . وان المدافع والذخيرة وقعت في أيديهم ، وان مرجان افندى
الناصرى و رهيب افندى على وهو من الضباط البواسل قتلا في الطريق
وجيء برأسيهما الى أمادى . وأنه يوجد في هذه المحطة من اللاجئين زهاء
٢٠٠ نفس بينهم ضباط وجنود . وفي ختام الخطاب ليماز الى أمين بك
بأن يسلم هو و وكيله و فيتا حسان و احمد افندى محمود و الضباط الى
الأمير كرم الله في ظرف عشرة أيام والا فهو يسير الى لادو وعندئذ يكون
عليه تبعه ما يحدث .

وروى حاملا هذه الرسالة وهما زنجيان ان كرم الله بارح امادى .
وجاوبه امين بك ردا على خطابه انه يجب عليه اولا رد الناس الذين سافروا
من لادو حتى يهدى روع من حوله .

وورد خطاب من مكراكا جاء فيه انه ما زال يأتي يوميا
من امادى ضباط وجنود الى واندى وانه من غير الممكن معرفة عدد
من بقى حيا بالضبط .

من المسئول عن ضياع أمادى

وجاء في خطاب آخر من سليمان افندى ان مسئولية تسليم الحصن
تقع على شبان الضباط الذين أغرروا الجنود بالسفر . اما عن نفسه
فيقول انه آخر من سافر وذلك عندما دخل العدو نهائيا المحطة . ويعزو
حامل الرسالة وهو جاويش من محطة كومي الخطأ الى المرحوم مرجان
افندى و سليمان افندى اللذين امرا مرارا وتكرارا الجنود بتسليم اسلحتهم
وهؤلاء أبوا الامتثال .

قرار المجلس الحربى الانسحاب الى الشرق
ومعارضة حواش افندى وغيره لهذا القرار

وكان امين بك قد أخبر فيتا حسان فى كتابه السالف الذكر الذى أرسله اليه مكتوبا باللغة العربية ان مجلسا حريبا مؤلفا من الموظفين الملكيين وكبار الضباط انعقد فى لادو وقرر الانسحاب لناحية الشرق وذلك بعد تحطيم الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » واتلاف ما بالمستودعات من الأغذية . وكان من ضمن ما دون فى آخر هذا الخطاب أمر لفيتا حسان بأن يتفق مع حواش افندى بشأن تنفيذ هذا القرار . هذا وفى خطاب آخر سرى مكتوب بالايطالية نصح امين بك لفيتا حسان ان لا يضغط على حواش افندى فى تنفيذ هذه التدبيرات اذا أبى العمل بها .

وفى الحال عاد فيتا حسان وبلغ خور أيو فى نفس المساء وحصل من هذه الناحية بشق الانفس على ترجمانين ليرافقاه الى دوفيليه لأن حالة الجو كانت غاية فى الرداءة وما كان فى الاستطاعة المجازفة بالسير بدون دليل . وكان المطر ينزل ثجاجا بدون انقطاع والليل أرخي سدوله والطريق غير مأمونة . وبعد ان قطع مسافة منه اختفى الترجمانان والتزم فيتا حسان ان يستمر فى السير مع خادمه وحلاق الحكومة كحرس له . ولحسن حظه اضطر تهاطل المطر ورداءة الجو الزوج ان يستكنوا فى اكواخهم فوصل هو ومن معه الى دوفيليه بدون ان يلحقهم أذى اللهم إلا نفوذ المطر الى اجسامهم .

وسلم فيتا حسان الى حواش افندى الأمر الخاص به وهو فى

مغزى ومبنى خطابه فقرأه بترو وصاح وهو فى حالة تهيج : « إن تحطيم البواخر والسفن ، وإبادة المستودعات بما فيها من كميات الذرة البالغة ٣٠٠٠ أردب ، وترك الحقول الخصبية بمزروعاتها ، وتأليف قافلة من ١٠٠٠٠ نسمة ثلثاها نساء واولاد ، وزجهم فى بلاد مجهولة ليتركوا على قارعة الطريق طعمة للحيوانات المفترسة ، كل ذلك من المستحيلات بل هو جنون صرف واننى اعارض فى ذلك بكل ما أوتيت من قوة » .

ونبهه فيتا حسان الى أن هذا أمر رئيسهم ومن الواجب إطاعته وأن من المعلوم أن أميننا بك لا يجمل نتيجة ما يعمل وان ليس من شأن مرءوسيه انتقاد اوامره . غير انه لما كان أمين بك قد قال فى الخطاب السرى لفيتا حسان إنه لا ينبغى الضغط على حواش افندى استنتج فيتا حسان من ذلك انه ربما كان امين بك لا يريد هو نفسه ان تنفذ أوامره . فلماذا السبب امتنع ان يبدى أى تشدد مع حواش افندى كما كان يتشدد حتما اذا لم يصل اليه الخطاب الثانى وينجح فى تشدده .

وكان الجميع فى دوفيليه من موظفين وضباط متحدين على معارضة قرار المجلس الحربى فى لادو . وأبلغ فيتا حسان فى نفس ذات اليوم أميننا بك أمر هذه المعارضة الاجماعية .

ومشروع الانسحاب نحو الشرق هذا تقدم به كازاتى الذى كان قد وصل الى لادو من أمد يسير . والدليل على ذلك هو ان أميننا بك لم ينس عنه من قبل بينت شفة البتة إذ لم يكن واضعا نصب عينيه سوى طريق الجنوب . وبما ان الخطر كان يزداد

يوما بعد يوم حتى أمست المديرية مهددة قرر امين بك الانسحاب امام
المهديين وعند ذلك ألّف كازاتى فى الأتجاه صوب الشرق . ولما
كان امين بك يريد من صميم قلبه ان يرفع عن عاتقه بعض
المسئولية فى هذه الظروف المرحجة عرض هذه الخطة على كبار ضباطه
وهؤلاء وافقوا عليها فى الحال . ووقتئذ ارسل امين بك الى فيتا حسان
وحواش افندى الامر السالف ذكره لأنه كان يرى ان من المخاطرة
السير بجمع غفير من الناس وسط وديان وارض مجهولة . وكان
لم يزل باقيا على رأيه الأول وهو الانسحاب عن طريق أوغندة غير
انه كان لم يزل قائما دواما امامه مسألة إباء الجنود السير شطر الجنوب
فلا تترك له سيلا لتنفيذ إرادته . على أنه كان من السهل مع استعمال
قليل من الحزم تبديد مخاوفهم وحملهم على الطاعة وذلك بالمشور على
من عزا الى امين بك ازماعه يبع الجنود لكباريجا ، ومعاقبته
عقابا صارما .

نتائج واقعة ريمو وانسحاب الجنود الى لادو

وفى ١٥ أبريل قدم بريد من ريجان افندى فى ريمو . ومن اخباره
ان الواقعة التى حصلت فى هذه الناحية قتل فيها كثير من المهديين
وانه استولى على علم وصندوقين من الذخيرة . أما خسارة الحامية
نقمة قتلى من بينهم ضابط صف واحد ، وثمانية جرحى منهم ٥ من
الجنود و ٣ من الضباط . ومن بين هؤلاء الأخيرين اليوزباشى فرج
افندى يوسف وهو مصاب بجرح بليغ . ومن أخباره أيضا أنه يريد
الآن الانسحاب الى الرجاف .

وقال الجاويش الذى أتى بالبريد ان مدد لادو المؤلف من ٥٠ جنديا وصل الى بيدن وانه لاستعجال ريحان افندى فى كتابة الخطاب لم يلتفت لأهمية الاسلحة والذخيرة التى أخذت غنيمة . وانه كان فى ريمو كثير من الجنود وان بعض الخطرية ظلوا مخلصين وقاتلوا قتال الابطال . وقد حدث الجاويش المذكور عن بسالة الجنود .

وفى ١٧ أبريل وصل على افندى الى الرجاف قادما من ريمو ومعه ٥٧ جنديا . وفى الوقت نفسه ورد خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت من مكراكا وكان هذا الخطاب قد تأخر وصوله . وقد جاء فيه انه بادر بالسفر وبهذه الكيفية بلغ ريمو فى ٦ من هذا الشهر ومعه المقدمة والمرضى ، وأن بلال افندى من كاييندى و فرج افندى الجوك من ممبتو قد انضموا اليه .

وفى ١٨ أبريل جاء الى امين بك مكتوب من ريحان افندى يذكر فيه انه يأمل ان يصل الى بيدن فى ١٤ من هذا الشهر وأن فرج افندى يوسف الذى كان قد جرح فى واقعة ريمو مات متأثرا بجراحه وان المساكر تامة العدد .

وفى ١٩ أبريل وردت الأخبار من ريحان افندى ومن عبد الوهاب افندى طلعت انهما وصلا مع جنودهما الى بيدن وسافرا منها فى الحال الى لادو .

وفى ٢١ منه جاء خطاب من ريحان افندى يقول فيه انه وصل هو و ٥٥٤ جنديا الى الرجاف ومن بين هؤلاء المرضى و الجرحى وهم

جميعا الجنود الذين أمكنهم النجاة . وان العمل جار بهمة في سبيل نقل الأسر والامتعة الى غندوكورو .

وفي ٢٣ أبريل وصل الى لادو ريجان افندى و سليمان افندى وضباط آخرون ومعهم ١٣٠ جنديا لتقوية حامية هذه المحطة .

عقد اجتماع للنظر في الحالة واصدار قرار

وفي ٢٤ منه استدعى امين بك جميع الضباط ليتداولوا في الاحتياطات التي يلزم اتخاذها تلافيا للمجاعة ولمقاومة الخطر الذي يهدد المديرية . وبعد ان بين الغرض من هذا الاجتماع انسحب وفوض رئاسة المجلس الى البكباشى ريجان افندى حتى يكون للضباط الحرية التامة في وضع قرارهم . أما كازاتى فحضر ايضا هذا الاجتماع . وهذه صورة ما قرره المجلس بعد المداولة :

« حيث ان محاصيل الحبوب في لادو و الرجاف و بيدن الخ . . . غير كافية لتموين الأهالى بعد اخذ حاجتنا منها . وانه سيمر وقت قبل حصاد المحصول الجديد ، وان تنجز الطلبات يستهلك المؤونة القليلة الباقية في حوزتنا ويدعنا تحت رحمة الزوج . وحيث انه من المستحيلات الحصول على حبوب بأية وسيلة اخرى ، فقد تقرر نقل النساء والاولاد والامتعة في الحال الى الجنوب والاحتفاظ بالمحطات مؤقتا وذلك بواسطة احتلال عسكري فقط والانسحاب منها عند الضرورة وحشد كل قواتنا في الجنوب . وان خط الانسحاب سيكون شطر الجنوب لأن طريق الشمال بمد بور غير مطروق واخبار الخراطوم مقطوعة وغير معلوم ان

كانت سقطت يقينا في يد العدو أم لا . أما في الجنوب فدوفيليه و وادلاى صالحتان لجلعها محطتين اساسيتين وبهما الشيء الكثير من الجيوب وضواحيها خصبة ومنهما الامل الأخير للاتصال بمصر عن طريق زنبار واذا وقفنا في اسوأ الاحوال فتلجأ عندئذ الى كباريجا أو الى ابن متيسا .

وبناء على هذا القرار أصدر امين بك في الحال الاوامر اللازمة وقرر نقل قاعدة المديرية الى وادلاى حيث تكون الحكومة في مأمن ويمكنها منها الاتصال بسهولة مع الاونيورو وأوغندة .

وهذا المشروع في الحقيقة كان احسن المشاريع غير ان حامية لادو رفضت اخلاء المحطة وذلك إما من باب العناد أو خوفا من المسير في اتجاه الجنوب مع أن أمينا بك حاول أن يضطرم الى إخلائها بواسطة تسفير ونقل المستخدمين المالكين . وأخيرا وعدت الجنود بتسفير أسرم الى وادلاى وان يبقوا هم في لادو ليمنعوا المهنديين عن التقدم اذا حاولوا المسير الى الامام . والتمسوا من أمين بك أن يرسل اليهم فقط الزاد بانتظام .

ولم ينقد أمين بك في هذه المسألة لأحد إلا لما أوجت به بصيرته وفي الواقع لو كان العدو قدم لحصار لادو لكانت العاقبة بلا ريب تكرار نفس ما حدث لحامية أمادى أى المجاعة والتخاذل وتكون الخاتمة مجزرة عامة . نعم كان أمين بك قد ألف أورطة بقيادة ريجان افندى الذى ترقى الى رتبة بكباشى مكونة من ثمانية بلوكات كل بلوك فيه

١٠٣ من الجنود فيكون المجموع ٨٢٤ جنديا . وكانت ثلاثة بلوكات منها مرابطة في لادو والباقي في غندوكورو و الرجاف و كري و يدن . ولكن مع هذه القوات الضعيفة لا يكون في استطاعة لادو أن تحتل حصارا طويلا . ثم ان تجريد هذه المحطات لتقوية لادو معناه تعريض تلك المحطات لخطر كبير من جانب قبائل الزنوج . وخطه أمين بك القاضية بنقل قاعدة الحكومة الى الجنوب كانت الوحيدة التي في تنفيذها بعض الأمل بالنجاة .

وفي ٢٥ أبريل شخص أمين بك الى غندوكورو مع موظفيه وأسرته ليراقب مسألة النقل صوب الجنوب . وقد كان في الامكان أن يلاحظ في غضون ذلك بوادر العصيان إلا أن هذه العلامات لم تبد علانية ما دام أمين بك في لادو .

وودع أمين بك على ظهر السفينة الشراعية التي كانت مقلة له شطر الجنوب بشيء قليل من الاحترام والتشريفات العسكرية إلا أنه ما كادت السفينة تمخر به عباب اليم حتى أخذ جندي من الجنود السودانية يسخر قائلا : « تعلق مديرنا بأذيال الفرار » . وتردد صوت هذه السخرية في لادو ولا كتبها الألسن وشاعت في سائر انحاء شمال المديرية .

وقد علم أمين بك ذلك وهو في غندوكورو واتصل به كذلك خبر فخواه ان ضباط لادو بعد رحيله قرروا الانسحاب نحو الشمال بدلا من الجنوب فأرسل اليهم في الحال مندوبا ومعه مذكرة الى القائد يأمره فيها بمنع كل محاولة من هذا النوع . فأتاه رد اجماعي على هذه المذكرة موقع عليه من جميع الضباط يؤكدون له فيه تأكيدا كليا شدة اخلاصهم ويرجونه

أن يذهب هو نفسه الى الجنوب في أول فرصة بطريقة يأمن معها سرعة ارسال الجيوب الى بيدن و الرجاف و لادو حيث المـؤن نقصت نقصا كبيرا .

فوقع كل ذلك في نفس أمين بك موقعا دعاه الى الارتياح فيهم وعدم التعويل عليهم عند الحاجة . هذا عدا أن الحوادث الماضية قد أقامت الدليل على ذلك ومع كل فكان الأصوب أن يرجع الى لادو ليفند بوجوده فيها اشاعة الهروب السخيفة التي اذاعوها عنه .

واقام امين بك مع ذلك زهاء خمسة عشر يوما في غندوكورو حيث يندر ايضا وجود الجيوب . وبعد ان اعطى اوامر صريحة بصدد وجوب حسن معاملة قبائل الباريين حتى لا يدعوا لهم سييلا للثورة ، واوامر اخرى بارسال الجنود بقدر ما يستطيع الى بور بقصد سحب الجنود التي فيها . هذا اذا كان لم يزل هنالك الوقت الكافي . لذلك انتقل امين بك الى الرجاف وكان قد اتصل به ان جنود هذه المحطة ينوون اخذه اسيرا فاسرع على قدر الاستطاعة في الذهاب اليها ليرى اذا كان في استطاعة أحد ان يتجاسر حقيقة على وضع يده عليه ولكنه قوبل فيها بالحقاوة العسكرية حسب المعتاد وحسن سلوك جميع الحامية من ضباط وجنود لا يمكن ان يدع سييلا للارتياح في نية أحد منهم .

وانتقل امين بك من غندوكورو الى بيدن ولحق به في الطريق اونهاشي كان المهديون قد قبضوا عليه ولكنه استطاع الافلات منهم وقص عليه انه لحق بهؤلاء في امدى و ريمو خسائر فادحة وان ذخيرتهم أوشكت أن تنتهي . وانهم يواصلون ليلهم بنهارهم في جمع الرقيق وارساله الى بحر

الغزال وان الأمير كرم الله أصدر أمرا من « كمارى » Kamari بأعداد كل شىء والتأهب للسير نحو هذه المديرية حيث ينتظر قدومه عمما قليل . وان عددا من الناس كان قد قدم من مديرية بحر الغزال ولكنه رجع اليها وان الستة والعشرين جنديا الذين أخذوا أسارى كانوا مصنفين بالاغلال ومجبرين أن يخدموا كعمالين . وقص أيضا انه عندما سمع ذلك قرر هو وثلاثة من رفاقه الياذ بالفرار غير انه يجبل مصير رفاقه لأنه تركهم ليجتاز النهر ساجحا بالقرب من أمادى وان الأسارى تركوا بين مخالب الجوع يكابدون أشد آلامه . وأن الدناقلة احتفلت بسقوط الخرطوم وذلك باطلاق ٢٥ مدفعا .

انتقال أمين بك من بيدن الى موجى وارساله مؤونة الى لادو

وبعد ذلك ببضعة أيام قدم رفاق الاونباشى الثلاثة وأيدوا ما قصه ويلوح ان أمينا بك مر بمحطة كرى ولم يقف بها وقد انتقل من بيدن الى موجى وأقام فى هذه مدة غير قصيرة وحالته التوفيق إذ تمكن من أن يرسل الى لادو كمية كبيرة من الجبوب ومن القول السودانى لتستخرج منه الزيوت . وفى غضون هذه المدة قدم من أمادى الى لادو اناس آخرون من الفارين وأجمع الكل على القول ان الدناقلة يستعدون بسرعة للتوجه الى بحر الغزال ويستنتج من ذلك ان مؤونتهم استهلك منها المقدار الأكبر وانهم لا يرغبون أن يفاجئهم فصل الأمطار فيتعرضوا لخطر قطع الطريق عليهم وهم فى أرض ضربت فيها المجاعة أطنابها . وقد يحتمل أيضا انهم كانوا مهتمين بالرجوع الى الخرطوم ويجوز من جهة أخرى أن يكون المهدي قد أصيب بهزيمة فأخذ فى لم شمل رجاله وحشدهم فى

موضع من المواضع . وعلى كل حال فن الصعب معرفة السر في تصرف المهديين بهذه الكيفية .

الدسائس التي كانت تحاك لمرقلة أعمال أمين بك

وورد لأمين بك في موجى خطاب من اليوزباشى سليم افندى مطر من دوفيليه جاء فيه ان حواش افندى يابى هو ورجاله ان يسلك طريق الشرق ولكنه هو يأخذ على عهدته مع الارتياح هذه المأمورية اذا أمرته الحكومة بذلك وانه يتعهد أن يقوم بها خير قيام وانه يرى ان هذه الخطة هي الخطة المثلى وانه من رأى جميع الموظفين الانسحاب نحو الشرق .

وكان أمين بك يبعث كل فكرة ترمى الى الانسحاب صوب الشرق وكان من جهة اخرى قد وافق على قرار المجلس الحربى الذى انعقد في دوفيليه واتفقت فيه آراء جميع الضباط اتفاقا نهائيا على رفض الانسحاب لجهة الشرق وكان من جملتهم سليم افندى مطر والموظفون أى نفس هؤلاء الذين أصبحوا الآن يرغبون فيما رفضوا قبوله من بضعة أيام .

وأسخط هذا الموقف الغامض الذى يوجب وراءه دسياسة جديدة أميناً بك وأغضبه . وكان قد رأى وعان سابقاً من الأورطة الأولى ما فيه الكفاية . ولما كان لا يود أن يعاضد سليماً افندى مطر في موقفه المتعمم بالمساء لرئيسه أرسل الى حواش افندى خطابه وزوده بتوقيع حكم عليه بحجزه عن الخروج من الحجر مدة سبعة أيام وحبس جميع الموظفين الذين اشتركوا معه في هذه المؤامرة وعزل رئيسهم ميخائيل افندى سعد .

وكان أمين بك يعرف معرفة تامة - وقد قامت الادلة على ظنه هذا فيما بعد وأيدته - ان سليما أفندى مطر وهو ضابط زنجي وأمي لا يعرف القراءة والكتابة أعجز من أن يدبر بنفسه دسيمة وان الذي حاكها هم الموظفون الملكيون في دوفيليه إذ أن هؤلاء برهنوا فيما سلف على انهم من أصحاب الكفايات في مثل هذه التدابير .

وقد لاح على سليم افندى في أول الأمر أنه ينجح للتمرد وعدم تنفيذ الحكم الصادر عليه إلا أنه لما أرسل له حواش افندى نسخة من قرار الايقاف أذعن وانقلب في وداعة الحمل . والسر في هذا الانقلاب المدهش في الموقف هو تبليغه الأمر كتابة .

ويقول فيتا حسان ان الزنجي لا تؤثر فيه أصعب الكلمات وأشدها وان الذي يؤثر فيه ما كان مسطورا . فالأمر الذي يعطى شفويا يترك في زوايا النسيان أما الأمر الذي يكون أسود على أبيض فهذا ينفذ بكل عناية ودقة . ويظهر ان الورقة هي « عفريت » الجوزع الأكبر في نظر الجنود السودانية .

وسافر أمين بك من موجي الى لا بوريه ومن هذه أرسل كمية كبيرة من الحبوب الى لادو . وبلغه وهو في لا بوريه أن المهديين انسحبوا نهائيا بدون ان يصله تفصيلات هذا الانسحاب . وعندما كان في هذه المحطة أذيعت إشاعة بأن أمينا بك يريد أن يجعل فيها قاعدة المديرية وأنه أعد هناك دارا له غير انه بعد ذلك بأربعة أيام انتقل الى محطة خور أبو ومنها استدعى البكباشي حواش افندى ليتداول معه في تأليف الأورطة الثانية إلا ان هذا الضابط لم يحضر ولم يكتب ليعتذر عن تخلفه

عن الحضور .

وهنا يتساءل المرء عن السبب في عدم احترام أوامر الرئيس .

وللجواب على ذلك نقول ان السبب بلا مرء هو دسائس الملكيين وسوء نيتهم إذ أن هؤلاء كثيرا ما كانوا سببا في حدوث ارتباكات وقيام عراقيل أمام أمين بك . ولا عجب فهؤلاء الاشخاص ينتقون من بين صفوف أردأ الموظفين الذين أساءوا السلوك في الخرطوم فصدرت الأوامر بنفيهم الى خط الاستواء ليكفروا عما اقترفوه من الذنوب . وكان ايضا الضباط غير السودانيين ما عدا القليل منهم محكوما عليهم من مجالس عسكرية وأتوا ليقضوا مدة العقوبة المحكوم عليهم بها في السودان . وما كانت تنقطع قط دسائس الزنوج وغيرهم وكانت النتيجة رفض الأورطة الاولى اطاعة المدير بالمسير في اتجاه الجنوب .

وكان امتناع حواش افندى عن تلبية طلب أمين بك ناشئا عن دسياسة دسها كذلك الموظف الملكي احمد افندى رائف ذلك بأن قال له ان في ثنايا استدعائه الى خور أبو شركا نصب لوقوعه فيه .

الترتيبات الجديدة

ولما كرر أمين بك استدعاه لحواش افندى مرارا لم يستطع هذا الاستمرار على الامتناع عن الذهاب اليه خوفا من أن ينسب اليه التمرد . وعندما مثل أمامه قابله بالأنس والبشاشة حتى عرف انه لم يقع في مغالب الخدع . وبعد أن لامه أمين بك بطريقة أبوية لتخلفه طويلا عن الحضور رقاها الى رتبة البكباشي نظرا للخدمات العظيمة التي

أدائها للمديرية وليستوى هو ورفيقه ريجان افندى قومندان الأورطة الأولى في المرتبة . ثم أخذ يشغل معه في ترتيب المستخدمين المالكين وضباط الأورطة الثانية التي كان سيؤخذ منها حاميات المحطات الجنوبية .

وعملت الترتيبات العسكرية في المديرية بالكيفية الآتية :-

أورطتان كل واحدة منها مؤلفة من ٨ بلوكات في كل بلوك ١٠٣ بين ضباط و ضباط صف و جنود فيكون مجموع الأورطة الواحدة بما في ذلك القائد ٨٢٥ ويكون مجموع الأورطتين ١٦٥٠ ما بين ضباط و ضباط صف و جنود . وتم توزيع هاتين الأورطتين بهذه الكيفية وهي :-

توزيع الأورطة الأولى بقيادة البكباشى ريجان افندى ابراهيم

- أركان حرب الأورطة والمدافع والبلوك الأول والثانى فى لادو .
- والبلوك الثالث فى غندوكورو .
- والبلوك الرابع والخامس فى الرجاف .
- والبلوك السادس فى بيدن .
- والبلوك السابع والثامن فى كرى .

وهذه أسماء ضباط الأورطة الأولى كما وردت فى بيان أرسله الينا عبد الرحمن افندى رحى نجل المرحوم البكباشى عثمان افندى لطيف وكيل مديريةية خط الاستواء فى عهد حكمدارية امين باشا :-

		عدد
حامد افندى محمد	اليوزباشى	١
سليم » مطر	»	١
ابراهيم افندى آدم	»	١
سالم » خلاف	»	١
محمد » الصياد	»	١
عبد الواحد » مقلد	»	١
سعيد » عبد السيد	»	١
فرج » يوسف	»	١
فرج » الجوك	الملازم الأول	١
جادين » احمد	»	١
على » جابو	»	١
عبد المين » شلى	»	١
بخيت » برغوت	»	١
سليمان » السودانى	»	١
حسن » الجوهري	»	١
مصطفى » احمد	»	١
بخيت » المصرى	»	١
بخيت » كاسا	»	١
حسن » بريه	»	١
فرج » دنكاوى	»	١



البكباشی حواش افندی منتصر

توزيع الاورطة الثانية بقيادة البكباشى حواش افندى منتصر

- اركان حرب الاورطة والمدافع والبلوك الاول والثانى فى دوفيله .
البلوك الثالث فى لابوريه .
البلوك الرابع فى موجى .
البلوك الخامس فى فاديك .
البلوك السادس فى فاتيكو .
البلوك السابع فى وادلاى .

وهذه أسماء ضباط الاورطة الثانية كما وردت فى بيان عبد الرحمن

افندى المذكور :-

		عدد
عبد الوهاب افندى طلعت	اليوزباشى	١
مصطفى » العجى	»	١
محمود » العجى	»	١
احمد » الاسيوطى	»	١
خير » مرتنيك(امريكانى)	»	١
كودى » احمد	»	١
فضل المولى » الامين	»	١
احمد » على	»	١
عبد الله » محمد	الملازم الاول	١
		٩

نقل بعده

عدد	ما قبله	
٩	الملازم الاول	عبد الله افندى منزل
١	»	عبد الله » العبد
١	»	سرور » على
١	»	بنجيت » محمود
١	»	فرج » الزهيري
١	»	فرج » زغالول
١	الملازم الثانى	محمد » موسى
١	»	حسين » محمد
١	»	سليمان » عبد الرحيم
١	»	خالد » احمد
١	»	اسماعيل » حسين
١	»	محمد » عثمان المصرى
<u>٢١</u>		

* * *

وفىما عدا تنقلات الجنود التى تستلزمها ضرورات الاعمال أو اخلاء
بعض المحطات واحتلال غيرها استمر هذا الترتيب بهذا الوضع لغاية
نهاية الادارة المصرية .

فكان على ذلك البكباشى ريجان افندى يتولى القيادة من لادو

الى كزي ، و البكباشى حواش افندى فى قسم المديرية الجنوبي ابتداء من كرى . وقد شمروا عن ساعد الجسد وواصلوا ليهم بنهارهم فى اصلاح الأسلحة وترتيبها فكانت نتيجة ذلك صلاحية بندقيتين أو ثلاث للاستعمال من كل عشر بندق كانت غير صالحة للاستعمال . وهذه الكيفية صار فى حيز الامكان ايجاد بندق يبلغ مجموعها ٢٥٠٠ بندقية . ولهذا المناسبة أصدر امين بك عدة أوامر بتريقات حملها حواش افندى معه وهو مسافر .

وكان قبل ذلك زمن يسير قد فصل احمد افندى محمود الامور الملكى وعبد الوهاب افندى طلعت الامور العسكرية جزاء ما عزياه الى امين بك من الاقوال المفتراة . ولوساطة فيتا حسان عفا عنها امين بك حسب عادته المألوفة غير أنهما فى نفس ذات اليوم الذى عفا فيه عنها عادا الى القدح فيه بقولهما انه ليس بأهل للحكم . وهذا ما جعل فيتا حسان يتميز من الغيظ وهم بأن يطلب من امين بك ان يوقع عليها أقصى عقوبة غير انه ما لبث أن عدل عن فكرته هذه وأخذ هو نفسه يستعطف أمينا بك قائلا : ينبغي ان يغفر الانسان عن الزلات .

نقل قاعدة المديرية الى وادلاى

وقال امين بك لفيتا حسان ، وذلك قبل رجوع حواش افندى الى دوفيليه ، انه يريد الانتقال صوب الجنوب ليقم قاعدة حكومته فى وادلاى ، وانه يود أن لا يذهب الى هناك إلا بدافع من الاورطة الثانية . ولعل ذلك كان لخوفه من ان انتقاله الثانى هذا يحمل الاورطة المذكورة على الاعتقاد فى صحة اشاعة هروبه . وقد يجوز أيضا ان يكون ذلك صادرا

من طريق غريزته التي كانت دواما تحمله على اتخاذ طرق ملتوية معوجة ليتوصل الى حل المسائل البالغة منتهى البساطة .

وكان فيتا حسان يعتقد جواز الأمرين . غير أن أميناً بك قدم الى حواش افندى سبباً لا يمت بصلة ما لغرض من هذين الغرضين وأقنعه بأن يطلب منه انتقاله الى وادلاى لأسباب طبيعية يبررها العقل . وهي ان المواصلات بين خور أبو و دوفيليه غير ممكنة إلا برا ، وبالتالي يصعب قطعها على الجنود وعلى الأهالي الذين يستخدمون كحاملين بينما يمكن قطع المسافة بين دوفيليه و وادلاى بانتظام في سائر ايام السنة بواسطة الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » .

وكان فيتا حسان حاضراً مع المدير في نفس البرهة التي عرض فيها طلب حواش افندى على أمين بك الذي تناوله في الحال وتصفححه بسرعة البرق وأقره .

انشغال المدير بشحن الغلال الى الشمال
وتطبيب مرضى أمادى وجرحاها

وشخص حواش افندى الى محل وظيفته في دوفيليه ولبث امين بك في خور أبو يشرف على شحن الغلال الى الشمال وعلى تطبيب مرضى وجرحى امادى . أما اليوزباشى كازاتى الذى كان لم يزل مقبياً في لادو فقدم وقابل اميناً بك في خور أبو وأبلغه انه علم ان ترجاناً من الباريين أتى الى لادو وأخبر أن المهديين أخذوه معهم من مكراكا وان هؤلاء دمروا هذه المحطة تدميراً تاماً بعد ان أخلوها .

وقرر امين بك السفر الى دوفيليه بعد ان أرسل الى لادو زهاء ٤٠٠ اردب من الجبوب وكان ذلك عقب أن ورد له إخطار رسمي من البكباشى قائد الاورطة الثانية فى دوفيليه فخواه عدم استطاعته ارسال جبوب الى خور أبو بعد ان كلف بتموين لادو بالحبوب .

أما اليوزباشى كازاتى فقد رحل قبله الى وادلاى .

سفر المدير الى دوفيليه وخطر الطريق الموصل اليها

وكان امين بك قد قرر السفر من خور أبو الى دوفيليه فى ٢٣ يونيه وأعد كل أدوات السفر غير أن الجمالين لم يأتوا الى الساعة التى توارت فيها الشمس بالحجاب . فدعت الضرورة أمينا بك أن يؤجل سفره الى القند لأن الطريق كانت غير مأمونة ويستطيع ان يهاجمه فيها عدد قليل من الأهالى بسهولة . وكان هؤلاء فى الواقع ونفس الأمر منذ ثورة الماتويين Metus التى قمها حواش افندى قبل ذلك بستة أشهر قد صيروا الطريق مخوفة إذ أقاموا فيها المكامن على مقربة من خور الطين Khor El Tin فى منتصف الطريق بين خور أبو و دوفيليه ليهاجموا منها عابرى السبيل الذين لا يكون لديهم الحرس الكافى .

ولما كان احمد افندى محمود السالف الذكر ليس فى امكانه الانتظار سفر والدته وشقيقته مع أربعة من الخدم وأربعة من الجمالين فمرت عليه هذه المجازفة أعظم المصائب وأكبر الويلات إذ هاجم هذه القافلة الصغيرة منسر من الزوج فى خور الطين فأبداها ولم ينج منها

سوى خادم واحد تمكن من الوصول الى دوفيليه بنجنى عندئذ حواش افندى من الاغارة على قافلة امين بك فأرسل ليلا أربعين جنديا ليحافظوا عليه لناية دوفيليه . ودخل امين بك هذه المحطة فى ٢٤ يونيه .

وأقام أمين بك نحو عشرة أيام فى دوفيليه ومنها استمر فى تصدير الحبوب فى اتجاه الشمال . وتلقى فى اثناء اقامته فى هذه المحطة خطابا من ريجان افندى فى لادو فخواه أنه قام ببنارة خلف جبل لادو فى اتجاه فادجيلو Fadjelu فنجحت وغم ذرة ودخنا بمقادير كافية لتموين الجند زمتنا .

مبارحة المدير لدوفيليه

وتكليفه حواش افندى القضاء على دسائس الموظفين

وعند مبارحته دوفيليه وجه الى حواش افندى فى مواجهة الجند والموظفين مجتمعين فى المرسى الكلمات الآتية .

« لقد حاق بى من الهم والاذى ما فيه الكفاية . وليس لى متسع من الوقت لاشتغل اكثر مما مضى بدسائس وسخافات الموظفين . فأنا افوض لك الأمر فى كبح جماحهم وعدم خروجهم عن حد الواجب . واترك لك مطلق الحرية وأؤيد سلفا ما تتخذه من التدابير » .

وسافر امين بك من دوفيليه فى ٤ يوليه ودخل وادلاى فى ١٠ منه واقام بها عامين تقريبا فى هدوء نسبي لناية قدوم استانلى أول مرة ووقوع الحوادث التى قلبت المديرية رأسا على عقب .

ووجد امين بك في وادلاى زريبة كبيرة بها ممدات الراحة كانت قد اعدت له من قبل فنزل بها وقدم اليه فيها رئيس هذه الناحية وكان من عاداته ان لا يأتي قط الى المحطة ووعده بان يرسل اليه رجالا وتراجمه .

واول عمل اقدم عليه امين بك في وادلاى عزل احمد افندى محمود إذ ان شخصيته أمست لا تطاق بسبب رداءة سلوكه وشدة وقافته .

ورأى امين بك انه قد أزيح عن عاتقه الاهتمام بمشاكل المهديين وتمرد الاورطمة الأولى ودسائس الموظفين زمنا ما فأخذ يشغل بتحسين حالة المديرية بنشر الزراعة وأرسل كذلك رسله سرا الى كبار مجا ملك الاونيورو ليحس نبضه عن مقاصده نحو المديرية وعن اجتيازه بلده إذا طرأ ما يدعو الى ذلك .

الغرض من محاولة أمين بك إيجاد مخرج له في أونيوورو

وقد كان امين بك من جهة اخرى ينوى مد حدود مديريته الى ما وراء بحيرة البرت نيازرا حتى اذا جدد المهديون غاراتهم تكون البحيرة فاصلة بينهم وبينه . ولم يكن قصد امين بك من تلمس مخرج له في أرض الاونيورو الرغبة في ترك المديرية ومبارحتها ، بل كان غرضه الوحيد من ذلك إيجاد طريق للانسحاب مفتوحة ليسلكها عند الحاجة إذ أنه كان مغرما بمديرية خط الاستواء ويرى نفسه سعيذا بوجوده فيها وبدلا من ان يتركها كان يأمل ان يوسعها ويقويها

ويجعلها مقرا سعيدا . غير ان انقسام الجنود السيء العاقبة وخبائة المستخدمين وعويلهم كل ذلك كان يجعل تنفيذ هذه الخطة من الامور الصعبة بل المستحيلة .

ولقد اطارت بادىء الامر غارة المهديين غير المتوقعة لب امين بك إلا أنه حتى في هذه الآونة المضيية لم ييأس من النجاة . والدليل على ذلك كلامه الذى فاه به عشية اليوم السابق لوصول الأمير كرم الله وتناقلته الألسن وحرفته تحريفا مشثوما وهو :-

« إن فى استطاعتى بمون الله وحوله أن أحافظ عليكم وأسير بكم عن طريق أوغندة . وأخذ على عاتقى ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتمونى الطاعة . وفى قدرتى ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق أونيوورو و أوغندة . أما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريجا يسمح لهم بالمرور من أرضه . والخديو ليس فى حاجة الى بعض جنود سودانية والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانيون فى بلدكم .

لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعتمونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة سالمين . »

وفى غضون حصار أمادى لم يعد امين بك يفكر فى انسحاب قد يمكن ان تكون عاقبه القضاء المبرم عليه وعلى سائر من معه لأن نقل عدة آلاف من الاشخاص بينهم بوجه خاص النساء والاطفال فى جوف غابات افريقية أمر غاية فى الصعوبة ان لم يكن مستحيلا كما جرب ذلك بضعمة

الاشخاص الذين امكنهم بلوغ ساحل البحر مع استائلى .

وكان امين بك على بينة من هذه الصعاب التى كانت الباعث الوحيد فى ترده كلما دعت الحالة الى سفر أو انسحاب . وكان من ناحية اخرى اغلب اناس مديرية خط الاستواء سواء أكانوا جنودا أم أسرا لهم من الزوج وهم يرتاحون لوجودهم فى تلك الاصقاع ولا يميلون إلا قليلا لترك مسقط رؤوسهم ليذهبوا الى مصر بعد ان يقاسوا فى الطريق من المشاق والصعاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

والموظفون المصريون الذين يرغبون فى الرجوع الى بلدهم كانوا اقلية لا تذكر وكان السفر معهم وحدهم فى رحلة كهذه أمرا محفوفا بالأخطار . وعدا ذلك فان أمينا بك شغوف بخط الاستواء وفى نيته الإقامة فيه . فلقد كان مجذوبا اليه بهوائه العليل ، وسكانه الهادئين هدوءا نسبيا ، وعيشته الرخية . ولو أراد حقا اخلاء المديرية لما استطاع ذلك إلا بعد موافقة الجنود . واذا وافق هؤلاء فليس هنالك شئ أسهل من الرحيل مع ال ١٦٥٠ جنديا المسلحين سلاحا تاما والمزودين بالمؤونة التى فى حوزتهم . اما مملكتا أوغندة والاونيورو فهاتان لا يمكن ان يخطر ببالهما الوقوف فى طريق جيش عرمرم كهذا لتعرضاه .

ولم يكن أمين بك يفكر إلا قليلا فى انسحاب كهذا بعد القيام به تقريبا من الاشياء المستحيلة بل كان بالعكس يرغب فى اخلاء المنطقة الشمالية ونقل المديرية الى القسم الجنوبى ليخضع الاهالى النازلين بين بحيرتى البرت نيازا و تنجانيقا . ونقل قاعدة الحكومة الى وادلاى هى أول خطوة خطاها فى سبيل تنفيذ هذه الخطة . وتهيئة المديرية على هذه

الصورة يصير لها بحيرة البرت نيازاً بمثابة حصن يقمها هجوم المهديين
هلى انه لا يظن ان هؤلاء يقومون بأى هجوم بعيدا هكذا
عن قاعدتهم .

غير ان تنفيذ هذا المشروع يتوقف على عدم تمنع الجنود وخصوصا
الاورطة الاولى عن تقديم المساعدة . وكان امين بك ينتظر ان
يتكفل الزمن بتذليل الأمور فكان الزمن وحده كفيلا بان ينتزع من
قلب الجنود ما زرعه يد أولئك الطغام السيئى المقاصد من الأفكار الخبيثة
ويرجع اليه الثقة والطمأنينة .

وكان امين بك يرتقب من حوادث الأيام أن يطـرأ من جانب
المهديين هجوم على لادو يضطر الجنود الى إخلاء جهة الشمال والانسحاب
صوب الجنوب . وفى انتظار حدوث ذلك كان امين بك يشغل فى
سبيل اكتساب ثقة الأورطة الأولى وازالة الصعوبات التى كانت قائمة
أمام امتداد المديرية لشطر الجنوب وذلك بمحاولة عقد صلوات مع الرؤساء
والامراء المستقلين .

وفى ٢٥ يوليه جاء مع بريد لادو خبر مشئوم مؤداه ان جنود
بور اتخذوا سييلهم مولين وجوهم شطر غندوكورو حسب الأوامر
التى كان أصدرها اليهم امين بك فى يناير وذلك عندما انتقل اليها
عثمان افندى لطيف وكيل المديرية فهاجموا أثناء الطريق ولم ينجح
من مجموعهم البالغ ٥٤ نفسا سوى ١٣ نسمة وان هذا العدد وصل الى
لادو . وعد امين بك ريجان افندى مسئولا عن هذه الكارثة لأنه
رغمها عن الأوامر المتعددة التى بعث بها اليه لم يرسل جنودا عندما كان

لم يزل لديه الوقت الكافي وبعد فوات الوقت أرسل ٢٠٠ جندي بقيادة فضل الله افندى .

وفي ١٦ أغسطس وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وورد بها بريد لادو ومن ضمنه بلاغ من عوض افندى فخواه ان ترجمانا من الفارين من « جور غطاس » روى ان الأمير كرم الله كان آخر من بارح مكراكا وانه أحرق وهو سائر في طريقه جميع ما صادفه من النقطة العسكرية واقتاد معه كل من كان بها .

وفي أوائل سبتمبر بلغت أمينا بك أخبار من مكراكا أتى بها اناس كان قد أمر بارسالهم من الرجاف . وخلاصة هذه الأخبار ان المحطات جميعها سليمة غير انها خاوية خالية وان بعض الرؤساء اقتادهم المهديون معهم الى بحر الغزال وان هؤلاء لم يتركوا منهم أحدا لا في مكراكا ولا في أمادى .

وفد كباريجا ملك أونيوورو الى امين بك

وفي ٢٠ سبتمبر جاء وفد الى وادلاى من قبل كباريجا ملك أونيوورو مؤلف من ثلاثة مندوبين ليزور أمينا بك ردا على زيارة الرسل الذين كان قد بعث بهم اليه . وكان الوفد المذكور يحمل معه هدايا من منسوجات ودخان وبن . ومن مهمته أيضا أن يؤكد لأمين بك أميال الملك الحية واستعداده لأن يحضر الى أونيوورو الطيب جونكر الذى كان محبوزا لدى أنقينا . وأقام الوفد أياما عومل فيها أحسن معاملة وقدم له أمين بك فى نهاية الأمر جملة هدايا ذات قيمة برسم الملك

وكلفه بأن يعرب له عن شكراته لظهار استعداده لاحضار جونكر من عند
أنفينا ويؤكد له صداقته .

ووزع أمين بك المنسوجات المرسله من طرف كباريجا على ضباط
الأورطتين . فأنخذت خيانة المستخدمين من هذه المسألة وسيلة لبث
دسائس جديدة فزعم أحدهم وهو شخص يقال له باسيلي افندى بقطر كاتب
الأورطة الأولى في لادو ان هذه المنسوجات لم تأت من عند
كباريجا بل هي آتية من قبل أمين بك و فيتا حسان . أما القول بأنها
هدايا مرسله من الملك المذكور فهذا ادعاء القصد منه حمل الجنود على السير
صوب الجنوب حيث يسهون الى كباريجا تمننا لمرور امين بك ، بل
حدث ما هو أدهى وأنكى إذ تطرفوا وشطوا في الادعاء فقالوا ان
النسيج مسموم وأرسله أمين بك بقصد اهلاك ضباط الأورطة الأولى
ومواراتهم عن الأعين . واحتفظ بكباشى الأورطة المذكورة ريجان
افندى بهذا النسيج ولم يشأ أن يستعمله قط وأرسل واحدا من ضباطه
وهو اليوزباشى على افندى سيد احمد الى أمين بك ليستعلم عن حوادث وادلاى
ويفيده بالنتيجة .

تدمير الزوج محطة بور وارسال حملة لتأديبهم

ولان هو إلا أن سافر الوفد المرسل من كباريجا حتى قدمت باخرة
من دوفيليه تحمل أخبار الخراب والدمار . ذلك ان محطة بور قد دمرها
الزوج في آخر الأمر وان هذا التدمير حدث تماما في اللحظة التي كانت
فيها حمايتها على أهبة الذهاب الى لادو . ويظهر انه على الرغم من الأوامر
الصريحة الصادرة من أمين بك لم يخطر ببال البكباشى قومندان لادو

أن يرسل جنديا واحدا الى بور ولكن عندما نزل القضاء ووقعت الواقعة بادر بارسال ٢٠٠ جندي بدون أن يكون من وراء ارسالهم أمل ما وبدون أن يحسب ان هذا العدد غير كاف .

ووصلت هذه الحملة الى بور بدون أن تصاب بضرر وغنمت بعض المؤن غير انها بدلا من أن تقنع بهذه الغنيمة وتمود توجهت شطر الشمال وربما كان ذلك حسب أوامر البكباشي الآف الذكر . ولدى وصولها الى بحر الزراف أحيطت بمجموع كبيرة من الزوج وأيدت تقريبا .

وتمكن الى الآن ٤٣ جنديا فقط من المائتي الجندي المذكورين من الرجوع وكانت نتيجة هذه الكارثة ان ثار الباريون الذين ارتاحوا لوهن الحكومة وضعفها .

إيفاد امين بك فيتا حسان الى أنفينا
لاسترجاع الدكتور جونكر

وحاول أمين بك الاستفادة مما أبداه كباريجا من الاستعداد لاسترجاع الدكتور جونكر من لدى أنفينا حيث مر عليه ثمانية أشهر وهو عنده بدون أن يستطيع أن يقوم بحركة أو أن يرسل خطابا أو يصل إليه شيء من ذلك ، فهد أمين بك الى الضابط سليمان أفندي عبد الرحيم القيام بهذه المهمة فاستصحب هذا بعض الجنود وشخص الى فودا Foda عاصمة ماجونجسو ومحل وجود جونكر ، غير ان ما أبداه الأهالي من العداوة اضطره الى الرجوع من « خور جالوبا » Khor Galuba الواقع في منتصف الطريق . ورأى عندئذ أمين بك أن

يكلف ضابط مراسلته عبد الوهاب افندى طلعت ومندوبه الأول احمد افندى رائف بهذه المهمة لكنها أيا القيام بها .

وقد طلب أمين بك من فيتا حسان أن يأخذ هو هذا الأمر على عاتقه فلبى الطلب وقام على متن الباخرة « نيازرا » في ١٠ أكتوبر . ولكون غاطس هذه الباخرة كبيرا ولا يمكنها الوصول الى « تور » Tor اضطر فيتا حسان أن ينزل منها في « فاكأنجو » Fakango وسار في طريقه هو و الجاويش عبد الجبار و جندي ظانا أنه ليس من أصالة الرأي استصحاب عدد كبير من الجند لأن ذلك لا يكون من ورائه غير لقت الانظار وزيادة الاحتراس بينما أن اثنين أو ثلاثة أشخاص يستطيعون السير بدون أن يراهم انسان .

وبلغ فيتا حسان في ظرف أربعة أيام فودا عاصمة ماجونجو وفيها قابله الرئيس أنفينا ، وكان قد بلغه خبر قدومه ، عند باب داره ببشاشة وائناس أدهشاه . وكان الرئيس يرتدى ملابس غريبة وطربوشا وحذاء حتى أن من رآه يخاله موظفا مصريا وهو لا يلبس هذه الكسوة إلا في الاحتفالات الرسمية كاستقبال رسول من طرف الحكومة المصرية . ويتكلم أنفينا اللغة العربية باتقان بكيفية مكنت فيتا حسان من محادثته بدون احتياج الى ترجمان .

وقد أحضر أنفينا الى ضيفه قهوة وهذا أمر يقوم به عادة رؤساء الزوج الآخرون .

ولا يمتاز رجال الماجونجو الذين يسكنون هذا القسم عن الأقسام الرحل

الآخرين الذين سبق وصفهم إلا بنظافتهم وكثرة استعمالهم الملابس . وأكثر ما يشتغلون به الفلاحة وقليل منهم يشتغل باقتناص الفيالة . وأهم أغذيتهم الموز ويحصلون عليه من مزارع لهم واسعة من هذا النوع . ولهم عادة تمد من أعجب العادات ذلك ان بنات ملك هذا البلد يملكن تماما بلا حياء أن لا يتزوجن . وهن مع ذلك غير ملزمات أن يبقين أبكارا لأن كل رجل يعجبهن يجب عليه أن يظل طوع ارادتهن غير انهن متى قضين منه وطهرن أمرن باعدامه حتى لا يستطيع الاقتنار بما نال منهن من تنعم . ولا ينجو من الاعدام إلا من ساعده الحظ وانقرست محبته في قلوبهن فهذا عندئذ يرفع الى مرتبة « ماتونجولى » أى وزير . وعدا ذلك فان الرئيس له وحده امتياز الزواج من اخته .

وكانت « فودا » التى يقيم فيها أنفينا نقطة مصرية فى السابق تابعة لمركز فويرا وأخلت فقط عند هجوم المهديين . ويشق هذه القرية نهير ويوجد على الضفة المقابلة مسكن الطيب جونكر . وهناك على هذه الضفة أمر أنفينا ببناء مسكن فيتا حسان ولا يفصله عن المسكن الأول غير حديقة صغيرة . ورافق أنفينا فيتا حسان لغاية حافة النهر وأمر بأزال متاعه فى مركب ولم يبق فى هذا البر سوى بقلته .

وأحضر أنفينا خلال عبور الأمتعة مقعدين جلس هو و فيتا حسان عليهما متفيئين ظلل شجرة من أشجار التمر هندی وأخذنا يتجاذبان أطراف الحديث . فسأل أنفينا فيتا حسان عن الداعى الى سحب الجنود من بلده قائلا ان وجودهم يحميه من غارات كباريجا الذى يخافه ويخشاه كثيرا . ورجاه أن يطلب من أمين بك باسمه رجوع الحامية وانه يتعهد أن يقوم بلوازمها .

وأردف أنفينا أنه كان دائماً أبداً مخلصاً للحكومة وأنه ليس من العدالة في شيء تركه هكذا تحت رحمة كباريجا وأنه سيأتي بلا ريب يوم يدمر فيه ذلك الملك بلده .

فهدأ فيتا حسان روع أنفينا وطمانه من ناحية مقاصد كباريجا ووعده بأن يكلم أميناً بك في هذا الموضوع . ثم سلم عليه وعبر وحده النهير فوجد جونكر في انتظاره ولدى مقابلتها صافح كل منها الآخر معبراً عما يمكنه له من الشوق وبعد ذلك وليا وجهها شطر منزل الطيب .

وظل الطيب جونكر في هذا المكان ثمانية أشهر لم يستطع في خلالها أن يرسل جواباً واحداً الى ساحل زنبار . أما أوغندة فكانت في حرب مع ماجونجو ولم يكن في استطاعة انسان أن يجتاز أرض ملك أوغندة المدعو موانجا Mwanga وهو ابن متيسا الذي توفي وقد تولى عرش أوغندة بعد وفاة والده . ولقد جرب جونكر كل الوسائل للخلاص من هذا الأسر فلم تنجح منها وسيلة وكان يقضى أوقاته في فلاحه بستانه ومتابعة دروسه .

لرسال حامية من الجنود المصرية الى عاصمة ماجونجو

وبرفيتا حسان بوعده لأنفينا وكتب الى أمين بك ليرسل ثلثة من الجنود الى فودا . ويقول فيتا ان الأيام التي قضاها في هذه القرية هي أطيب الأيام التي قضاها من حياته في السودان . وكان أنفينا يقدم لهما بانتظام الذرة واللحم وفي كل مرة يطلب منهما اللحاح على أمين بك برسال حامية مصرية .

وفي نهاية الأمر أتى الى فودا في أوائل ديسمبر ضابطان وهما سعيد افندى عبد السيد و نجيت افندى ومعهما ١٥ جنديا . وهذا المدد الأخير من الجنود مكلف بالاقامة في القرية السالفة الذكر بصفة حامية .

وفي ١١ ديسمبر بمد أن ودع فيتا حسان و جونكر أتينا انطلقا في السير مع الضابطين مولين وجوههم شطر فكواج Fakwadj الواقعة على بعد ١٥ دقيقة من بحيرة البرت نيازنا فبلغوها بمد سفر أربعة أيام ونزلوا في دار رئيس القرية منتظرين حضور الباخرة « الخديو » وقد وصلت في اليوم التالي الموافق ١٦ ديسمبر وعلى ظهرها أمين بك . وعاد الجميع معا الى وادلاى .

ويقص لنا فيتا حسان قصة في تدوينها هنا شيء من الفائدة والفكاهة ، قال :

« مما يلفت الانظار ان أسماء القرى الكبرى الواقعة في المنطقة التي بين النيل الأبيض ونيل فكتوريا ابتداء من دوفيليه لغاية بحيرة البرت نيازنا حيث توجد مساقط مورشيرون ، تتبدى تقريبا جميعها بحرف « ف » وذلك مثل :

« فاديبيك . فويرا . فاتيكو . فالورو . فابو . فادوللى . فارابوجو . فاتانجا . فارادجوك . فارشيللا . فاتاجورا . الخ . . .

« وهذه الممثلة في بدء هذه القرى بحرف الفاء لم تأت عفوا فلقد حفظ الأهالى سيرة عجيبة بصدد هذه المسألة تلقاها الخلف عن

السلف . ذلك انه في زمن بعيد جدا ظهر في تلك المنطقه شيخ من شيوخ العرب ومن أولياء الله الصالحين . ولم يكن معه من الأتباع سوى رجل واحد من المؤمنين وكان كل ما لديه من السلاح فرع أخضر يستعمله كمنسأة يتوكأ عليها . ورأى الأهالي في ظهور هذا الرجل الأبيض الذى لم يسبق لهم أن رأوا مثله آية من الآيات ومعجزة من المعجزات . ولم يلبث أن صار موضع إعزاز الأهالي واحترامهم بحسن سلوكه وطيبته وصلاحه . وكان ذلك الشيخ يعرف كيف يتوصل الى إفهام الأهالي ما يريد افهامهم إياه وكيف يطفىء جذوة حدهم عند المخاصمات وكيف يصلحهم . فقدر له الناس صلاحه حق قدره الى أن علا صيته وشاع وذاع وملاً الاصقاع وصارت كلماته لها منزلة الوحي المنزل .

« وكان الشيخ فرج ، وهذا هو اسمه ، نبيء الأهالي بأنه سيأتى يوم يظهر في هذه البلاد اناس بيض نظيره ويوصيهم بمقابلتهم كاخوان لا كأعداء (وربما كان يلوح الى المصريين) . ولكيلا تسمى تعليماته نسيا منسيا كان يضيف على اسم النواحي التي يمر بها أول حرف من حروف اسمه وهو الفاء . وقال للناس ان أسماء هذه النواحي يجب ان تذكركم على الدوام بالشيخ فرج وتعليماته حتى لا تكونوا سيبا في حدوث أذى يلحق باخوانكم البيض عندما يأتون .

« فاذا سألت من أين أتى هذا الشيخ ومن هو والى أين ذهب فلا تجد مجيبا . وان الذين بلغوا من الكبر عتيا هم وخدمهم دون سواهم الذين ادعوا ذكر ولى مر ببلدهم مرور الطيف ولكنهم لا يعطونك من أوصافه شيئا غير أمره الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر . »

حوادث المديرية اثناء غيبة فيتا حسان

أما الحوادث التي وقعت في المديرية خلال غياب فيتا حسان عن وادلاى فها هي :-

في ١٤ أكتوبر وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى على حين فجأة قادمة من دوفيليه وذلك في الساعة التاسعة والنصف مساء وجاء معها الخبر الآتى وهو :

انتقل ريجان افندى الى غندوكورو في ٢ أكتوبر ليتفقد فيها أشغال الدفاع الجارية بها . وفي ٤ منه ورد له خطاب من اليوزباشى محمود افندى المجهى أخبره فيه انه عند بزوغ الشمس نهبه رئيس تراجمة البارين الى ما يأتى :

ان رئيسى البارين المقيمين بجوار المحطة وهما وادمارى Wad Mari و واديانجا Wad Ianga أخذوا أبقار الحكومة ليلا ونشراهما وأتباعهما راية المصيان . وبعد ذلك بساعتين هاجم جمع غفير من الزوج محطة لادو فصوبت عليهم ثلاث طلقات من أفواه البنادق فولوا الأدبار غير ان لادو محصورة وجميع المواصلات مع الرجاف مقطوعة .

وقدم تراجمة البارين مبكرين وطلبوا ذخيرة فصرف لكل منهم ربطة بها عشرة مظاريف وذهبوا ليحضروا الى المحطة عشائهم ومتاعهم غير انه لم يرجع منهم سوى أربعة رجال بسلاحهم وبعض رجال آخرين بدون سلاح .

وأخبر ترجمان ظل مخلصا للحكومة ان الذين قاموا بالهجوم على لادو و غندوكورو هم عشائر الشير Shirs ، و الدنكا Dinkas ، و النيامبارا Niambaras ، و الألياب Elliabs ، الذين انضموا الى الباريين . ويقول ريجان افندى علاوة على ذلك ان الرئيس بافو Befo كان روح العصابة وان هذا الرئيس من البانينان Belinien . فأرسل أمين بك في الحال ضباطا مزودين بالتعليمات اللازمة وأرسل معهم المؤونة الكافية برسم لادو و الرجاف وهي عبارة عن ١٥٠٠ اردب تقريبا إذ أن الباريين أرسلوا أولا الجبوب الى الحكومة وبعد ذلك ثاروا .

وفي ١٨ أكتوبر قدم اناس من قبل كباريجا بقيادة أمسيجي Msigi ترجمان أمين بك سابقا وكانت مأمورية هذا تنحصر في أن يتأكد اذا كان رئيس الأتراك (أى المصريين) هو نفس صديق كباريجا قديما أى أمين بك وانه اذا وجده هو بعينه يضع نفسه في خدمته . أما اذا ظهر له عكس ذلك ينقلب راجعا لأن كباريجا لا يريد أن يكون له صلة ما بالحكومة .

وقص أمسيجي على أمين بك ان موانجسا ملك أوغندة الجديد أعدم سائر كبار الرجال الذين كانوا في بلاط أبيه ولم يستبق منهم إلا صديقه الوزير الأول . وان أربعة من الأجانب نزلوا في أوغندة وان الملائق بينها وبين الأونيورو متوترة ولكن السلع ما زالت تغدو وتروح بدون أدنى عائق حتى ان العرب يصدرن ويستوردن البضائع والمراسلات من غير ارهاق ولا اعنات .

وهمس أمسيجي في أذن أمين بك ببعض تعليمات سرية نحوها ان كباريجا يمرض عليه أولا ان ينتقل هو ورجاله إليه وذلك عند مسيس الحاجة أو ان يقدم له الوسيلة بان يجتاز بلده متجها نحو الجنوب . وكان يعلم امين بك ان في هذا الأمر سرا غامضا وان وراء الأكمة ما وراءها .

ومن حوادث المديرية أيضا ان اليوزباشي على افندي سيد احمد الذي أرسله ريجان افندي الى وادلاي ليتصيد الأخبار كما ذكرنا قبلا ، سافر منها راجعا في ١٤ أكتوبر وبلغ الرجاف في ٢٤ منه ووجد الطريق مسدودة من اسبوعين بين لادو و الرجاف و غندوكورو فطلب ١٠٠ جندي وذخيرة . واختفى تراجع الرجاف كافة وأخذوا معهم اسلحتهم وظل الرئيس لاکي Laki وحده على عهده مع الحكومة والله يعلم الى متى يظل محافظا على هذا المهدي .

وفي ١٤ أكتوبر كتب ريجان افندي ان البارين جددوا غاراتهم وانه لو تراءى ان لادو في غير استطاعتها الثبات تتراجع حاميتها الى الرجاف . وان الطريق في جنوب هذه الناحية خالية للرائح والغادي لغاية هذا اليوم .

وفي أول نوفمبر أرجع امين بك زسل كباريجا على متن باخرة الى محطة كيبورو Kibiro الواقعة على بحيرة البرت نيازا بمد ان زودهم بالهدايا والخطابات واصبح الآن كل شيء مطلقا بحسن ارادة كباريجا ولكنه اذا رفض وآل ذلك الى الفشل يقول امين بك انه يبقى لديه وسيلة ارسال ١٥٠ جنديا الى أوغندة عن طريق مرولي حتى لو دعت الحالة

الى استعمال القوة .

وفي ١٧ نوفمبر وصلت الباخرة « الخديو » في البكور الى وادلاى آتية من دوفيليه وبها خطابات من على افندى سيد احمد في الرجاف علم منها ان الرئيس لاكي انضم الى الثائرين ، وعلى هذا أمسى بلد الباريين برمته متمردا حاملا راية العصيان ، وان لادو ما زالت محصورة وان جمعا غفيرا من السود الباريين و الدنكا هاجم الرجاف فصد بعد ان منى بخسارة قدرت بـ ٥٠٠ قتيل وكثير من الجرحى ، وان الزوج قاموا بهجوم آخر فصدوا ايضا بخسائر فادحة وان الرجاف محصنة تحصينا منيعا وممونة تمويثا حسنا وعلى ذلك تمد كل هذه الغارات تافهة ولا يؤبه لها . وأرسل امين بك نجذات وكرر أوامره بصدد انسحاب الحامية .

وكان أمين بك قد أرسل ثلة من الجنود كما ذكرنا قبلا لينشئ محطة في فودا لدى انفينا وأرسل معها جمالين ليعودوا بمجوناكر و فيتا حسان . وكان الأول قد فشل في مأموريته وهي فتح باب المفاوضات مع زنبار عن طريق أونيوورو و أوغندة ثم علم في ١١ ديسمبر بوصولهم الى فاجانجو Fagango الواقعة على شاطئ بحيرة البرت نيانزا فأقلم في الحال على ظهر الباخرة « الخديو » للاتيان بهم ورجع هو وهم الى وادلاى .

وفي ١٥ ديسمبر قدمت الباخرة « نيانزا » الى وادلاى آتية من دوفيليه ومن اخبارها ان جنود الرجاف قاموا بغارة كللت بالنجاح وغنموا فيها من الباريين كثيرا من الانعام .

وفي ٢٣ منه قدم الى وادلاى جماعة كباريجا الذين كان أنيط بهم

مرافقة الطيب جونكر الى أونيسورو . وكانوا يحملون خطابا من ملكهم الى أمين بك يقول فيه ان سبب تأخير أولئك الجماعة هو عدم وجود سلع لدى العرب على ان أمين بك علم انه لم يرخص لتجار زرتبار بالذهاب الى وادلاى .

وقرر جونكر السفر فى الحال الى أونيسورو وان يحاول الذهاب منها الى أوغندة ومنها الى زرتبار . وعين أمين بك فيتا حسان وكيللا للحكومة لدى كباريجا وأصدر له أمرا بالسفر مع جونكر .

وكان جونكر محتاجا الى شىء من النقود ليدفع أجر خادمة حبشية وهى أرملة ضابط خطرى . وكانت هذه الخادمة فى بادىء الأمر فى خدمة ماركو بولو . هذا عدا احتياجه الى شراء ما قد يطرأ عليه من اللوازم خلال السفر . ولما فاتح فيتا حسان بما هو فيه من الحيرة أشار عليه بأن يخاطب فى ذلك حواش افندى لأنه سخى وكريم فلا يبخل بشىء ثم انه الوحيد فى المديرية الذى يملك نصابا كبيرا من النقود .

وكان حواش افندى يملك عددا كبيرا من الرقيق يستخدمه فى كل أنواع الاعمال مثل زراعة البصل والقطن وصناعة الدامور والاحذية وكانت قطعانه العديدة تستطيع ان تفى بالشرط الأكبر من حاجات المديرية بل تأتى له بقدر طائل من الايرادات .

وكان حواش افندى من جهة اخرى ليس بالرجل الشحيح ولا من أولئك الذين تأبى نفوسهم اسداء المعروف ولا يمكنه أن يرفض شيئا يطلبه صديق له لاسيما إذا كانت المسألة مسألة دراهم والطالب

جونكر الذى تربطه وإياه رابطة صداقة متينة وله فى نفسه منزلة سامية .
فوضع حواش افندى بسرور مبلغ سبعمائة ريال تحت أمر الطيب جونكر وتمهد
هذا ان يدفعه لاسرته عندما يصل الى القاهرة .

واتفق جونكر و فيتا حسان على ان يقيم وليمة وداع لأمين بك و كازاتى
ولكبار الضباط والموظفين فى وادلاى . فأكلوا هنيئا فرحين لاذ كان يخامرهم
الأمل بأن يفتحوا طريق الاتصال بالعالم المتمدين .

١ - ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

تموين محطة بور وارسال حملة لانقاذها

قرر أمين بك في مستهل هذا العام لإرسال جنود الى بور لتموينها واستدعى على افندى سيد احمد من الرجاف سريما ليختار الضباط والمساکر اللازم اشتراكهم في الحملة التي عزم على إرسالها الى بور لانقاذ من بقي بها على قيد الحياة فشحن بمركبين ٤٠ اردبا من الجبوب وأُتزل بها ٤٠ جنديا بقيادة ضابط معه عثمان افندى لطيف مأمور المديرية . وتقضى الأوامر الصادرة اليها انه اذا رؤى ان حامية هذه المحطة في غير استطاعتها أن تثبت زيادة عما مضى يجب عليها عندئذ اخلاؤها والرجوع الى غندوكورو برا . أما الامتعة والمرضى فينقلون بالمركبين . وبعد أن تزودت الحملة بهذه التعليلات اتخذت طريقها في اليوم .

وكانت الأخبار قد انقطعت عن أمادي مدة . وكانت حاميتها في ذلك

(١) - راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

الوقت مؤلفة من ٥٠٠ جندي مسلحين بينادق رمنجتون . أما قوة العدو فكانت غير معلومة إلا أنه يؤخذ من الاشاعات الدائمة أنها مؤلفة من رجال عبد الله و على كركوتلى ويمدهم العرب الذين فى الناحية وهذا كل ما لديهم .

إنذار عثمان أرباب أمينا بك بأخذ أمادى

وبعد الانتظار وصلت مكاتبات من أمادى فى أوائل شهر يناير . ووردت أيضا خطابات من عثمان أرباب بمسكر الثوار يقول فيها انه عاد من بحر الغزال ومعه ٤٠٠ مقاتل ويصرح فى عبارات سداها ولحمها التعصب بأنه صار من كبار انصار المهدي ويىدى دهشته من انه حين رجوعه وجد اخوانا يقتلون ويصرح فيما يتعلق بشخصه بأن مقاصده سليمة وينذر أمينا بك بعد ذلك بأنه اذا لم يأت اليه فى ظرف عشرة أيام لوضع حد لسفك الدماء فانه يستولى على أمادى برجاله .

ومما قاله انه ما كان ينتظر ان يلاقى الحرب ولذلك لم يحضر إلا ٤٠٠ رجل غير انه عند الحاجة يرسل بلا توان ٢٠٠٠ مقاتل من جور غطاس .

وورد كذلك عدة رسائل من الثائرين لموظفى المديرية يجرسونهم فيها على الانضمام الى المهدي ورسالة من الأمير كرم الله يقول فيها ان المهدي نازل امام الخرطوم .

رد أمين بك على عثمان أرباب

وعلى أثر ورود هذه الأخبار بث أمين بك برسل ليستدعوا على افندى السيد احمد من الرجاف و احمد افندى محمود من مكراكا .

وهذه اجابة امين بك لعثمان أرباب :-

« ان الذين أضرموا نيران العداوة هم العرب أنفسهم وان الموقف تغير تغييرا كبيرا بهرب ابراهيم افندى جورجورو وفرار العرب . وانه هو - أى أمين بك - لا يمكنه أن يبارح المديرية وانه ينذر عثمان ارباب بصفته مرءوسا له بأن يحضر للمثول بين يديه في لادو » .

موقف المديرية واستعدادها للطوارئ

أما الموقف في المديرية في ذلك الوقت فكان كالاتي :

أخلى قسم كبير من المديرية وحشدت الحاميات التي كانت مرابطة به في المحطات المهمة لأن هذه الحاميات لم يكن في استطاعتها وهي على ما كانت عليه من التشتت أن تثبت في اماكنها في الظروف الحاضرة . وريحان افندى الذي كان يرتقب يوميا مجيئه من ممبتو ليذهب ويتولى القيادة في مكراكا لم يحضر بمد . أما المائة الجندي النظامي الذين سيحضرهم معه فسيرسلون الى أمادى . واذا رؤى انه في غير حيز الاستطاعة ابقاء قاعة المديرية في لادو عندئذ يكون من الأفضل اخلاء هذه المحطة في أقرب وقت ممكن من المالكين ، وان لا يترك فيها إلا حامية عسكرية كما تراءى ذلك في العام الماضي .

والظاهر ان هذا الرأى الأخير أقرب الى الصواب لأنه لو حصل انسحاب من أمادى يعقبه فى الحال قحط فى الجيوب فى لادو . وهذه المادة نقص الوارد منها الى لادو نقصانا بينا منذ ظهر العدو أمام محطة أمادى . أما عن مقدار الجيوب الذى يمكن استيراده من مكركا فهذا لا ينبغى التعويل عليه لو سقطت أمادى . وكان من الضرورى التراجع الى المحطات الجنوبية لأنه لم يكن فى حيز الامكان اخلاء محطات دوفيليه و وادلاى و فاتيكو لوجودها فى قلب بلد غنى بمحاصلاته من الجيوب لاسيا المحطة الأولى إذ أن بها الترسانة النيلية والباخرتين « الخديو » و « نيازنا » اللتين هما روح المديرية ولا يمكن ان يحدث مثل هذا الاخلاء إلا عند الضرورة القصوى . أما لو حدث شىء كهذا من باب الاتفاق عندئذ يجب الرجوع الى احتلال محطات الجنوب التى تركت ونقل قاعدة المديرية الى ماجونجو (١) حتى يكون فى الاستطاعة الاتيان اليها بالباخرتين المذكورتين . وهذا وان كان يستلزم كثيرا من المشاق فى نقل الأهالى من مدينين وعسكريين لكثرة عددهم لكن فيه من جهة اخرى امتياز وجودهم فى بلد مصاف للحكومة لأن أتقينا طلب من أمين بك احتلال بلده وكرر هذا الطلب . وعدا ذلك فانه من المحتمل بل فوق المحتمل ان المهديين لا يتبعونهم لغاية هذه النواحي القصية . تلك هى آراء أمين بك يشاركه فيها أيضا جونكر مشاركة تامة .

ونقل رسل اتقينا الذين كانوا قد قدموا للمرة الثانية ان الخطابات التى سلمت اليهم ما أمكن ارسالها الى متيسا و المبشرين المقيمين عنده وذلك

(١) - عند مصب النيل فى بحيرة البرت نيازنا .

بسبب عدوان كاميزوا Kamiswa وان هذه الخطابات ما زالت عند
رئيسهم انقينا .

وقدوم رسل انقينا هذا بعث في نفس جونكر فكرة سفره صوب
الجنوب هذه الفكرة التي كانت خامرته قبلا ولذا استبقى هؤلاء الرسل في
لادو بغية السفر معهم .

وشرع أمين بك في تنفيذ مشروعه فأرسل الى لابوريه و دوفيليه
عدة شحنات من الأمتعة . وبعد بضعة أيام جاء على افندى سيد احمد
الى لادو وأتى توا على اثره فيتا حسان من أمادى . ولم يأت هذا الأخير
بأخبار كثيرة لم تكن معلومة من قبل . وأبلغ عن كثير من الخرق في
الأعمال وسوء التصرف الذي شاهده وكان هذا سببا في ارسال خطاب تعنيف
الى مرجان افندى وتغيير كتيته .

وروى فيتا حسان انه وان كانت حامية أمادى مؤلفة من ٥٠٠ جندي فلم
يكن أمامها سوى ٣٠٠ من الثوار وان جميع التقارير التي أرسلت قد بالغ فيها
عمدا الكاتب عثمان افندى .

وجمع أمين بك كبار الموظفين وأحاطهم بخطته وترك لهم الخيار في
ارسال أمتعتهم في الحال أو تأجيل ذلك إلا انه صرح لهم بأنه قد
يحتمل ان يتمكن فيما بعد ان يجد لهم حمالين . أما جونكر فحزم
متساعه وأرسل بعضه وانتظر مجيء كازانى و احمد افندى محمود
من مكراكا المرتقب وصولهما يوما بعد يوم لكى يستقى منهما
الأخبار .

وفي ٢٠ يناير وصل كلاهما ومعه توابع كثير عديدهم . وأيد احمد افندى محمود أقوال كازاتى بأن الحالة فى مكراكا ليست مرضية إلا قليلا وأنه لغاية سفر جونكر لم يكن ريجان افندى قد بارح ممتو ولم يكن قد جمع السلاح من العرب النازلين فى المحطات النائبة ، وان هؤلاء لا ينوون تسليمها لانهم ينجحون للثورة وانه من المحتمل ان يغيروا على المحطة قريبا .

أما فيما يتعلق بأمدى فان مرجان افندى لا ينفك يطلب لها ذخيرة على انه يوجد فى المستودعات حسبا هو مسطور فى الدفاتر ١٠٠٠.٠٠٠ مظروف وانه لم يقع حول المحطة وقائع هامة . والظاهر ان مرجان افندى لم يكن أهلا للمهمة التى أقيمت على عاتقه رغمًا عن كونه اشترك فى حرب المكسيك . وفوق ذلك فانه يصرف همه فى تعاطى المسكرات ولكونه أميا يجهل القراءة والكتابة كان الكتابة لا ينفك عن أن يلعبوا به . ونظرا لهذه الحالة قدم احمد افندى محمود نفسه للذهاب الى أمادى مع انه لم يسترح من وعشاء السفر فى مكراكا لكى يأتى بمعلومات صحيحة لأمين بك عن الحالة السائدة فى تلك المحطة ، وسافر فعلا .

سفر جونكر الى لابوريه

ظل جونكر بعد ذلك عدة أيام مع كازاتى ثم سافر من لادو فى ٢٦ يناير . وكل من كان عليه أن يبقى بها سار معه الى ما بعد الباب الكبير . وبعد ان صافح الجميع - وقد صافح أغلبهم مصالحة الوداع الأخير - امتطى حماره ولحق بمجاله .

وتسلم جونكر اشياء كثيرة منها ١٥ حملا من امين بك و ١٠ من على افندى سيد احمد ، وهذه الأشياء يجب توصيلها الى لا بوريه . وتسلم كذلك كمية من الرسائل برسم تصديرها ان امكن الى زربار ومنها الى القاهرة . وسلمه امين بك ايضا تقاريره لترسل الى الوزارة في القاهرة وخطابات برسم المبشرين في أوغندة وبرسم شوينفورث Schweinfurth في ديار مصر .

وأخذ جونكر من الرجاف حملين من الملح لأن هذه المادة مطلوبة كثيرا في البلاد الجنوبية . وفي هذه المرة قطع المسافة بين بيدن و كرى برا لأن السفينة التي سافر عليها في المرة الأخيرة قد غرقت ومع انها انتشلت كان لا يرجى منها نفع في ذلك الوقت .

وكان جونكر قد عقد النية على أن يقيم يوما في كرى عند احمد افندى الاسيوطى الذى أكرم مشواه عند زيارته له في رحلته الأخيرة . وبما ان احمد افندى المذكور كان قد انتقل الى محطة موجى فقد استمر جونكر آخذا في السير وعندما وصل الى هذه المحطة علم ان ابراهيم افندى حليم قد استدعاه في لا بوريه لأن هذا كان قد صحت عزيمته على القيام بغارة . وبعد أن قضى في هذه المحطة الليل انطلق في سبيله . وعندما بلغ لا بوريه استقبله هذا الضابط وأزله في ديوانه .

سفر جونكر الى دوفيليه

أقام جونكر في لا بوريه يوما وأحاط الضابطان بما حدث في لادو كما أبلغهم الأخبار التي جاءت اليها . وتسلم ابراهيم افندى حليم الاحمال

التي أرسلها أمين بك و على افندى سيد احمد الى جونكر . وبما ان حواش افندى كان قد اصدر الى ابراهيم افندى حليم أمرا بأن يحضر مع جونكر الى دوفيليه فقد سافرا معا ووصلا أولا الى خور ابو وقضيا فيها الليل في ضيافة قائد المحطة مصطفى افندى .

وفي ٣ فبراير سافرا من خور أبو وبلغنا دوفيليه . وكان حواش افندى وقتئذ غائبا في وادلاى ولمدم وجود باخرة اضطر جونكر أن يقيم فيها لغاية ٩ فبراير .

وكثر عليه خلال اقامته طلبات الموظفين الذين يريدون مرافقته بصفة كتبه لأن أمينا بك كان قد سمح له بقصد تسهيل مأموريته أن يأخذ معه الموظف الذي يريده . وكان فيتا حسان مستعدا لمرافقته ثم قدم عبد الوهاب افندى لهذه الخدمة وفي نهاية الأمر استقر الرأي على انه اذا جرت الأمور في مجرى غير حسن يسافر معه حواش افندى الى زنبار وبعدها الى القاهرة .

وطلب أيضا احمد افندى رائف استخدامه بصفة مندوب فوق العادة لأنه كان يخشى كثيرا أن يقع في مغالب الثائرين ولكن جونكر رفض طلبه لشدة خوفه وجزعه . وتظلم الكاتبان القبطيان باسيلي افندى و توما افندى له من سوء معاملة حواش افندى لهما وطلبا السفر معه مصحوبين بزوجتيهما القبطيتين فقبل جونكر ذلك في بادىء الأمر ولكنه عدل واستقر به الرأي أخيرا على ان لا يأخذ معه احدا .

ووصلت في نهاية الأمر الباخرة « نيازنا » من وادلاى بدون أن

يكون فيها حواش افندى وعلى ذلك رجع ابراهيم افندى حليم الى لا بوريه وأراد جونكر أن يعجل بالسفر ولكنه استحال عليه أن يسافر قبل ٩ فبراير . وكانت الباخرة مقلة عددا كبيرا من الركاب وليس بها غرف للمسافرين إلا أنه عندما وضع قدمه على ظهرها تخيل له انه وضعها في أرض المدينة . وتسلم من دوفيليه كثيرا من الخطابات برسم القاهرة والخرطوم وهذا ما زاد في حجم طرد البريد الموكل اليه توصيله زيادة كبرى .

سفر جونكر الى وادلاى

استمر السفر في أول يوم الى ساعة متأخرة لأن قناع النهر كان مأمونا ومعلوما تماما . ووقفت بهم الباخرة جملة مرار لأخذ الوقود الذى أحضره الأهالى الخاضعون للحكومة . وكانت محطة أبى نخرة القائمة على الضفة الغربية فى نصف الطريق بين دوفيليه و وادلاى والتي بنيت فى العام الماضى قد أخليت وتركت .

وفى اليوم الثانى وصلت الباخرة الى وادلاى بعد الزوال . وكان حواش افندى هناك وكان قد أرسل ١٧٥ جنديا ليقوموا بنارة فى أرض الملايين ابتغاء الحصول على مغنم من الأنعام . وهذا العدد يؤلف أكبر قسم من الحامية .

وكانت وادلاى قائمة على هضبة فى الضفة الغربية مشرفة على بلد اللور الواقع فى الجنوب على امتداد النهر .

وكانت المحطة مكنتفة بالتاريس وقلاع من الأتربة مثل دوفيليه .

وتمت هذه الأعمال في الشهر الأخير . وكان الزوج في النواحي المجاورة يعرفون حق المعرفة انه من سنين مضت لم ترد أية باخرة من الخرطوم وكانوا يشاهدون المحطات تترك الواحدة تلو الاخرى ولا يخلو الأمر من ان هذا يدع أتراسيئا في نفس الأهالي من جهة الحكومة أو يستنتجون منه ان يومها مالت شمسها الى الغيب وعلى ذلك يرفضون الدخول في خدمتها بل يثورون في بعض الأحوال .

سفر جونكر الى كامبوزا لتسهيل طرق المواصلات مع أوغندا

وكان من الواجب على جونكر أن ينتظر الى حين رجوع الجنود الذين كانوا قد ذهبوا لشن الغارة إلا أنه مرت الأيام تترى ولم يحضروا بل أذيع انهم ذهبوا بعيدا عما كان مقررا في الخطة التي رسموها أولا . وعلى ذلك أدرك حواش افندي ان جونكر لا يستطيع الانتظار أكثر مما مضى وقرر تسفيره بالباخرة « الخديو » الى نقطة يقال لها « خط الطور » ومنها يسلك برا الى أن يصل الى محل اقامة أفينا وان يؤلف حرسه من بضعة جنود وتراجه ويأخذ معه جمالين من « اللورين » . وركب قسم من أعضاء هذه الحملة في الباخرة والقسم الآخر في مركب حديدي قطرته الباخرة . وكان لهذا المركب أهمية خاصة لأنه احد المركبين اللذين طاف عليهما جيسى حول شواطئ بحيرة البرت نيانزا لأول مرة .

ورفعت الباخرة « الخديو » مراسيها في ٢١ فبراير وكانت أكبر من الباخرة « نيانزا » وبها معدات للراحة أكثر منها أيضا وكان بها غرفة صغيرة أقام بها جونكر . وكان منسوب ماء النهر قد هبط هبوطا

كثيرا وبعد أن سارت الباخرة زمنا أمسى غور الماء قريبا جدا وتمذر متابعة السير وعلى ذلك قرر الربان الرجوع الى وادلاى ولكن جونكر أمر بوقفها على مسافة بضع ساعات من المحطة ونزل الى البر بقصد متابعة السفر .

وفى ٢٢ فبراير انطلق فى السير محترقا أرض الشولى ووصل فى ٢٧ منه الى النيل قرب محطة فودا التى كانت قد أخليت . وكان أتقينا ينتظره فيها هو وعدد من الرؤساء . وكانت سلطة أتقينا قد تضاءلت وضعفت ضعفا يينا بعد سفر المساكر لأن هؤلاء كانوا يحمونه من عنت كباريجا و كاميزوا واستبدادهما .

ودعاه خوفا من بطش هذين الجارين الى أن يرحل ويقيم فى جزيرة صخرية فى وسط النهر وابتعد عنه كثير من رعاياه وتركوه والباقي نزع الى الجزيرة وأقام معه فيها .

وفى ٢٧ فبراير عبر جونكر النيل ونزل فى محطة الحكومة القديمة وكانت الأكواخ قد احترقت إلا أن اثنين منها بقيا فى حالة حسنة فاتخذهما سكنا له .

وكانت مهمة جونكر الرئيسية تنحصر فى أن يعمل على مرور المراسلات التى معه الى أوغندة وتسهيل المواصلات معها وأن يتصل بكاميزوا بن ريونجا من أجل هذه الغاية . وكانت الخطابات التى أرسلت من لادو قبل ذلك بزمن ما زالت عند أتقينا ولم يقبل أحد أن يتكفل بنجاز هذه المهمة . وعلى هذا كتب جونكر الى كاميزوا خطابات يقول له فيها انه يريد الحضور عنده لزيارته ويطلب منه

المعونة لتسهيل سفره .

وفي ١٢ مارس أرجع جونكر الجنود الذين رافقوه في رحلته من وادلاى وحملهم رسائل برسم أمين بك ولم يحجز إلا ترجمانين و ضابط صف يقال له عبد الرجال وقد عزم على ارجاعهم فيما بعد .

وفي ١٥ منه ورد رد كاميزوا بالسماح لجونكر بالحضور عنده إلا أنه يحظر على أتباعه أن يدخلوا أرض أتينا . وعلى هذا قرر الانطلاق اليه وان كان لم يرتح لهذه الاجابة إلا قليلا .

وفي ٢٥ منه أرجع جونكر الترجمانين الباقين عنده الى وادلاى واحتفظ بضابط الصف الذى كان قد اعتزم على ان يدعه في المحطة مع متاعه عندما يسافر لزيارة كاميزوا وأرسل مع هذين الترجمانين خطابات لأمين بك وتبنا لفتنا حسان .

وفي ٢٧ مارس سافر ووصل الى حيث يقيم كاميزوا ولم يعترضه شيء في طريقه ونزل في كوخ كان قد أعد له . وقابل جونكر كاميزوا مرارا وعلم منه ان متيسا ملك أوغندة قد قضى نجبه وخلفه على العرش ولده « موانجا » وانه يوجد لدى هذا ثلاثة من البيض .

وحصل جونكر على وعد من كاميزوا بأن يتكفل بتوصيل المراسلات الى هؤلاء البيض وأن يرسل إليه الرد الذى يأتيه منهم عند وروده في الحال .

وفي ٢ أبريل استأذن جونكر من كاميزوا وبلغ المحطة في اليوم التالى وبادر

لدى وصوله بإحاطة أمين بك علما بما عمله .

وقبيل منتصف شهر أبريل ورد إليه خطاب من وادلاى وطرد به ليمون إلا أنه لم يصل إليه شيء من أمين بك . ومما جاء في هذا الخطاب انه ورد لحواش افندى وهو فى لابوريه أمر بأن يرجع الى دوفيليه ويؤلف بها على قدم الاستعداد نجدة من ٢٥٠ جنديا ويسافر معها الى أمادى .

سقوط أمادى وما جرى من الحوادث أثناء سفر جونكر

وفى ١٩ منه وردت من أمين بك أخبار طويلة ومزعجة ذلك ان ما كان يخشاه الناس طرا قد وقع فعلا فأمدى سقطت وأمست فى قبضة الثائرين واب بعضا من الجنود شق له طريقا بين صفوف الأعداء وهو يقاتل وتعلق بأذيال الفرار . وهالك ما حدث منذ أن سافر جونكر من لادو فى شهر يناير من هذا العام (١٨٨٥ م) :

بعد أن عاد عبد الوهاب افندى من بور يحمل أخبار الخسائر التى لحقت هذه المحطة أرسل عمان افندى لطيف ومعه مركبان مشحونان بالجبوب وبعض الجنود لتجديتها . ورجع هؤلاء فى آخر يناير وقالوا ان الحامية استقر رأيها على أن تقاوم الى أن تأتيا امداد لترجعها الى غندوكورو وعلى ذلك اجتمع سائر العساكر غير النظاميين الذين فى المديرية تحت اشراف واد الملك الذى ذاع صيته من عهد سير صمويل بيكر وسافروا لاسترجاعها .

أما الأخبار الاخرى فكانت مسطورة فى عدة مكاتيب نذكر كل واحد

منها بتاريخه وما حواه من الأنباء فيما يأتي :

في ٢ فبراير كتب أمين بك ابن سليمان افندى قام بغارة مع قسم من الحامية على زريبة الثائرين أمام أمادى ولدى اشتداد وطيس القتال سقطت قبلة في زريبة العدو فأحدثت بها حريقا وانفجر ما فيها من الذخائر فقتل عدد كبير من الأعداء وجرح عبد الله ومات بعد ذلك متأثرا بجراحه .

وفي ٢١ منه كتب أمين بك انه ورد له خطابات من مرجان افندى وضمنها نداء من المهدي كالنداء السابق ونداء آخر منه له يدعو فيه الى الانضمام الى الأمير كرم الله . ورسالة من هذا الأخير يقول فيها لمرجان افندى انه قادم بنفسه الى أمادى ويطلب منه أن يسلم عاجلا . ويقول علاوة على ما ذكر انه استحضر معه ٢٠٠٠ مقاتل وانه من الواجب على مرجان افندى أن يخضع في الحال بدون مخابرة أمين بك في هذا الشأن .

وكتب عثمان ارباب الذي كان بصحبة الأمير كرم الله رسالة الى مرجان افندى أيضا بمبنى ومغزى الرسالة السابقة وجاءته رسالة اخرى من عثمان بدوى الذي كان سكرتير لبتون بك . وطلب مرجان افندى قبل كل شيء جبوبا و ١٠٠ جندي ليستطيع الانسحاب الى لادو .

وقال أمين بك انه أرسل عبد الوهاب افندى الى مكراكا ليرسل الجوب وعين فرج افندى لمرافقة الجنود الى أمادى وان جميع الضباط الذين

في هذه المحطة مؤيدون لخطة الانسحاب في اتجاه الجنوب .

وفي ٢٧ فبراير كتب أمين بك ان الأمير كرم الله حاصر محطة أمادى من جهاتها الأربع وقطع عنها الماء وان الجنود حفروا بئرا في داخل المحطة . وفي خلال ذلك كان فرج افندى قد سافر من مكراكا ومعه ٧٠ جنديا و ٥٠ قنبلة و ٥٥٠ حملا من الجيوب وبلغ الى مسافة ١٠ ساعات من أمادى من جهة لادو غير انه لم يتمكن من الانضمام الى مرجان افندى . وأرسلت في الحال من لادو قوة مشكلة من ١٢٠ جنديا و الف حزمة مظاريف رمنجتون وقنبيلات وعدد من قاذفات الاله لانجاد فرقة فرج افندى لأن الموقف في أمادى أسمى ميثوسا منه واضطرت الحامية الى أكل جلود الأبقار ليطفئوا حرارة الجوع . وكان ريجان افندى قد وصل الى مكراكا قادما من ممبتو ومعه جنوده . وسافر أيضا من دوفيليه ضابط ومعه ٥٠ جنديا و ٥٠ بقرة لامداد فرج افندى . وكان حواش افندى قد وصل الى لادو قادما من دوفيليه ليلحق بالجيش التي سافرت لأمداد أمادى ولكنه رجع الى دوفيليه على أثر الاضطرابات التي أذيع انها حدثت في هذه المحطة الأخيرة .

وفي ١٩ مارس كتب أمين بك ان فرج افندى أخبره ان سائر الفرق انضمت الى بعضها وانه هو على وشك السير على رأس ٢١٠ من الجنود لمعاونة أمادى .

وفي ٢٣ منه ورد الى أمين بك خطاب من فرج افندى انه سار نحو أمادى وهاجم متاريس الشائرين ولكنه لم يستطع أن يتخطاها رغما عن استيلائه على ثلاث زرائب وانه اضطر أن يقاتل منسجبا وانه خسر

١١ قتيلا من بينهم ضابط من لادو يقال له ضياء افندى و ١٦ جريحا من بينهم فرج افندى إذ أصيب في فخذه . وقال الرجل الذى أتى بهذا الخطاب علاوة على ما ذكر ان حامية أمادى خرجت لتنضم الى الفرقة المساعدة فلم تتمكن بسبب انسحاب فرج افندى بسرعة .

وفى ٢٧ مارس ورد خطاب من عبد الله افندى يخواه انه بذل مجهودا آخر بقصد نجدة أمادى وان هذه المحاولة فشلت كالمحاولة الأولى وان فرج افندى رجع الى مكرাকা وان عبد الله افندى شرع بمعاونة ضابطين آخرين فى جمع المساكر والرجوع الى مكرাকা .

وفى ٢٩ منه وصل الى لادو ثلاثة جنود من أمادى وقالوا ان المساكر الذين كانوا يموتون جوعا طلبوا بلجاجة مرارا من رؤسائهم لاسيما من مرجان افندى القيام بخروج فلم يلب أحد لهم طلبا وانهم فى نهاية الأمر تركوا المحطة بقيادة ضابط وشقوا لهم طريقا فى صفوف الأعداء ثم ولوا وجوههم شطر مكرাকা . وانهم تركوا وراءهم فى أمادى ضابطين سودانيين و ١٥ جنديا جميعهم مرضى وانهم أخذوا معهم أسلحتهم وذخيرتهم وتركوا المدافع بقنابلها .

وفى ٣١ مارس ورد بريد الى لادو من مكرাকা جاء فيه ان فرج افندى وجنوده قد وصلوا وكذلك عبد الله افندى والضابطان اللذان كانا معه وهما مرجان افندى و على افندى ومعهم ٢١٣ جنديا وذخيرتهم . وقدم أيضا من أمادى سليمان افندى و ٢٣ جنديا . أما مرجان افندى الدناصورى فقتل وقت الخروج وفصل رأسه وأرسل الى معسكر الثائرين ووصل ريجان افندى الى كبايندى وعينه أمين بك

قائدا لمكراكا .

وفي أول أبريل كتب أمين بك انه صرف النظر عن الانسحاب صوب الجنوب إذ أنه أذيع في لادو ان النية عقدت على اقتياد الجنود في ذلك الاتجاه ويبيعها لملوك الزنوج هناك والتعلق بأذيال الفرار فيما بعد . ويعزون هذه النية الى أمين بك و جونكر و فيتا حسان . وان أمينا بك عقد اجتماعا تقرر فيه استدعاء جونكر وأخذ رأيه . وتقرر كذلك اخلاء فاتيكو ، و وادلای ، و لابوريه ، و موجي والاحتشاد في لادو ، و بور ، و مكراكا ، و غندوكورو ، و الرجاف ، و بيدن ، و كيري ونبذت ظهريا مسألة طريق الجنوب مع انها كانت قد نالت الاستحسان في بادىء الأمر .

وفي ١١ منه كتب أمين بك انه تلقى رسائل من الأمير كرم الله و عثمان أرباب من أمادى فذكر الأول ما وقع في هذه المحطة وان مرجان افندى أبى أن يسلمها مع انه انذر خمس مرات ، ويستحث أمينا بك على الاتيان عنده هو و فيتا حسان و احمد افندى محمود والضباط مؤكدا له بأنه لا يمسه أدنى أذى أما إذا أبى فانه يأتي الى لادو في عشرة أيام والمسئولية تقع على رأسه . وخطاب عثمان أرباب في مبنى ومغزى الخطاب السابق .

والخطاب الثالث مرسل من المساكر الذين أخذوا أسارى من أمادى وهؤلاء يلقون كل الخطأ على عاتق الضباط ويقولون أنهم اضطروا الى أكل أحذيتهم ويستعجلون أمينا بك في التسليم . ويقول أمين بك ان سليمان افندى وهو من الضباط الذين نجوا من أمادى يوجه كل

الليوم في سقوط المحطة الى الضباط الشبان الذين حرضوا. المساكين على
المصيان وانه هو نفسه كان آخر من هاجر من المحطة . وقال أمين بك
علاوة على ذلك لان حواش افندى لم يقبل أن يترك فاتيكو ولا أن ينضم
اليهم ويستعجله بالانتقال الى الجنوب . ويقول أمين بك ان تلبية طلبه
أمر مستحيل نظرا لمسلك جنوده ولأن الضباط قدموا له التماسا يعربون فيه عن
رغبتهم جميعا في ابقاء لادو وانهم يأخذون على عاتقهم أمر تخصيصها الى أن يصير
في حيز الامكان ايجاد طريق .

وفي ٢٥ أبريل كتب أمين بك يقول انه بعد أن زابت الجنود
أمدى احتشدت في واندى وتتبعها المهديون وأرسلوا اليها انذارا يدعونها
فيه الى التسليم فلم تعبأ بانذارهم واستمرت في الانسحاب فوصلت المقدمة
بقيادة عبد الوهاب افندى الى ريمو في جنوب واندى في ٦ أبريل
ومعها الجرحى والمرضى وانضمت اليها المؤخرة بقيادة ريجان افندى
في اليوم التالي . ووجدت الجنود في ريمو الذخيرة والنقود التي كان
يلزم ارجاعها الى لادو وتوقف رجوعها لعدم وجود حاملين ..
وكان بهذه المحطة بلال افندى من كاييندى و فرج افندى الجوك
من ممبتو .

وهاجم المهديون الذين كانوا يقتفون أثر الجنود المذكورة محطة
ريمو فصدتهم هذه بقيادة ريجان افندى وحملتهم خسائر فادحة وقتلت
منهم خلقا كثيرا واستولت على عدد كبير من الأسلحة وكمية جسيمة من
الذخائر وعلى علم واحد . وقد تعلق المهديون بأذيال الفرار وتتبعهم الجنود مسافة
عدة ساعات وقد أصيب فرج افندى يوسف بجروح بليغة ومات بعد أيام

متأثراً بها . وانسحبت الجنود عقب هذا النصر الى محطة بيدن الواقعة على النيل منقسمة الى جملة فرق . وبلغ عدد الجنود الذين وصلوا الى هذه المحطة ٥٥٤ جندياً بما في ذلك الجرحى .

وفي ٢٣ أبريل وصل الى لادو الجنود الذين كانوا قد أعدوا لتقوية حامية هذه المحطة وعددهم ١٢٣ جندياً ومعهم ريحان افندى وسليمان افندى وضباط آخرون كان قد استدعاهم امين بك ابتغاء فحص الموقف ووضع قرار بالخطة الواجب اتباعها .

وتلقى امين بك كذلك من الأمير كرم الله خطاباً يخبره فيه بسقوط الخرطوم . ووردت اخبار سارة من بور ذلك ان المركب التي كانت قد أرسلت اليها في ١٥ مارس عادت تحمل خبراً مؤداها ان الزوج هاجموا المحطة فصدتهم الحامية وحملتهم خسائر فادحة .

وفي اليوم التالي لوصول ريحان افندى أى يوم ٢٤ أبريل انعقد مجلس برئاسة هذا الضابط مؤلف من كازانى و احمد افندى محمود و عوض افندى ومن ٦ من الضباط المصريين و ٦ من السودانين . اما امين بك فامتنع عن الحضور . وقد وافق الجميع ما عدا الثلاثة الأولين على الانسحاب في اتجاه الجنوب والاحتشاد في دوفيليه ، و وادلاى ، الخ . . . وقال امين بك علاوة على ما ذكر انه على وشك الشخوص الى غندوكورو ليمد المعدات اللازمة للانسحاب .

ولم ينفذ مع ذلك هذا القرار ولم تنسحب الجنود من لادو لأن المهديين الذين كان يظن انهم سيتابعون التقدم بعد انتصارهم ويعيرون

على هذه المحطة انسحبوا بقتة لأسباب غير معلومة وارتدوا الى
بحر الغزال .

وأحيط جونكر علما بالقرار الأول الخاص بالانسحاب نحو الجنوب
وكتب له أمين بك انه أمر حواش افندى أن يرسل له حرسا ليأتوا
به ثانية . وبما أن ذلك كان مناقضا لرأى جونكر رد عليه هذا بأنه
يرفض العودة ويطلب منه أن لا يشغل نفسه به لأنه يريد أن ينتظر الرد
على الرسائل التي بث بها الى أوغندة ولهذا فرح فرحا جزيلًا عندما علم بتغيير
هذا القرار .

وفي ٢٦ مايو كتب أمين بك من موجى انه بلغ هذه الناحية وهو
أخذ في طريقه نحو محطات الجنوب وانه شرع ان يرسل اليه الكاتب
سليمان افندى وبعض الترجمة ويرجوه الحضور لمقابلته عندما يصل
الى وادلاى .

وبعد انسحاب المهديين عملت الترتيبات اللازمة وذلك بالكيفية الآتية :

أن يبقى ٣ بلوكات في لادو بقيادة ريجان افندى و بلوكان في بيدن
و بلوك ونصف بلوك في كرى وبلوكان في لابوريه .

وكان على كركوتلى يتولى القيادة في أمادى وعندما وصلت اليه الأخبار
بسقوط الخرطوم أمر باطلاق ٢٥ مدفعا .

وكان الأمير كرم الله قد أقام حاميات في جميع محطات مكراكا ثم
رجع الى أمادى . وكان أكبر قسم من المهديين قد سافر الى بحر الغزال

والقسم الباقي يتأهب لاقتفاء أثره . وما كان يدري أحد الباعث لهذا الرحيل الذي أتى فجأة فأنفذ المديرية حقا من شر غاراتهم .

وفي ١٠ يونيو كتب أمين بك من خور ابو انه هو و حواش افندى حشدا جميع قسوات المديرية وألقا منها أورطتين في كل أورطة ٨ بلوكات وفي كل بلوك ١٠٣ من الضباط والجنود . وعين لقيادة الأورطة الأولى البكباشى ريجان افندى وصار توزيع قواتها بين المحطات من لادو الى كرى بما فيها هذه المحطة الأخيرة . اما الاورطة الثانية فعين لها حواش افندى وشرعت تحتل سائر المحطات القائمة جنوب كرى . وشرع في تصليح البنادق وبأتمام ذلك يكون لدى الجنود ٢٥٠٠ بندقية صالحة للاستعمال .

وفي ١٠ يولييه وصل امين بك الى وادلاى وأسس فيها قاعدة المديرية وكتب بذلك الى جونكر ولكن هذا كان قد دخل في مكاتبات مع كباريجما ويرغب ان يبقى بعد ذلك مدة يحاول فيها الحصول على ترخيص له بالمرور أو بمرور خطباته التي يريد ارسالها الى المبشرين الذين كان قد سمع أنهم في أوغندة .

وفي ٢٥ يولييه كتب امين بك من وادلاى ان حامية بور أخلت هذه المحطة ولدى انسحابها نحو غندوكورو أغار عليها الزنوج فلم ينبج من جنودها البالغ عددهم ٥٤ جنديا إلا ١٣ جنديا لا غير . وان المسئولية في هذه الكارثة تقع على ريجان افندى لاهماله ارسال فرقة في الوقت اللازم للملاقة هؤلاء الزنوج رغما عن الأوامر المتكررة التي كانت صدرت له من أمين بك مع

أنه أرسل الآن ٢٠٠ جندي بقيادة فضل الله افندي .

وفي ١٦ أكتوبر كتب أمين بك من وادلاي ان الأهالي البارين جميعهم شقوا عصا الطاعة وأضرموا نيران الثورة وانقضوا على لادو خلال غيبة ريحان افندي في غندوكورو فصب عليهم اليوزباشي محمود افندي العجيمي نيران المدافع واضطروا الى الانسحاب ومع ذلك بقيت لادو محصورة ومنعزلة عن الرجاف إلا أنه يوجد في مستودعاتها ١٥٠٠ اردب من الجيوب إذ أن الزوج وردوا الجيوب قبلا ثم تمردوا . وان على افندي سيد احمد في الرجاف يطلب ذخيرة و ١٠٠ جندي بصفة نجدة وان تراجمة هذه المحطة فروا جميعهم ومعهم أسلحتهم وانه لو أمست المقاومة في لادو غير ممكنة عندئذ يصير لإخلاؤها وحشد الجنود في الرجاف .

وفي ٢١ نوفمبر كتب أمين بك من وادلاي ان البارين بعد الفارة الأخيرة التي قاموا بها على لادو شنوا غارة اخرى على الرجاف وكان عدد المغيرين في هذه المرة ٥٠٠٠ زنجي ولكنهم صدوا وبلغت خسارتهم ٣٠٠ من القتلى وكثير من الجرحى وأخذت أنفاس الثورة تماما وضربت على البارين غرامة فادحة ووردوها .

وانتظر جونكر لغاية أكتوبر بلا جدوى وبدون ان يفوز بإشارة يستدل منها على امكان نيته مبتغاه وكان ينتظر كذلك بفارغ الصبر الرجال الذين كان امين بك قد وعده بإرسالهم اليه . وبينما هو على هذه الحالة إذ أتاه خبر في ١٧ أكتوبر ان فيتا حسان وصل الى ضفة النهر الأخرى فهرع جونكر لمبوره ورجع الى مسكنه بضيفه فرحا مسرورا برفيق متمدين يستطيع ان يطارحه اطايب الحديث .

وبعد ان أقاما معا لغاية آخر شهر نوفمبر وبعد ان يتسا من الحصول على افادة من كباريجما مع طول الانتظار استقر رأى جونكر على الرجوع الى وادلای وعلى هذا رحل هو و فيتا حسان فبلغا النهر في ٩ ديسمبر وأتى أمين بك على ظهر باخرة في ١١ منه لاستقبالهما وكانا قد أبلغاه خبر قدومهما ورجعوا معا الى وادلای وفيها وجدوا كازانى .

وفي ١٣ ديسمبر أى بعد وصولهم بيومين الى وادلای جاء اليها حواش افندى من دوفيليه ليقابل امينا بك ورجع منها في ١٧ منه مع جونكر الذى اقترض منه مبلغ ٧٠٠ ريال لمصروفات سفره على شرط ان يدفعها لأسرة حواش افندى في مصر عند وصوله اليها . وبعد ان قبض هذه القيمة اشترى بعض المتاع وعاد الى وادلای في ٢١ منه فدخلها في اليوم التالى وفيها علم بوصول وفد من قبل كباريجما وبالقرار الذى أصدره امين بك بأن يرسل معه فيتا حسان الذى سيكون بصفة وكيل رسمى للحكومة لدى هذا الملك .

عودة جونكر الى بلده

وانتهى جونكر من اعداد معمدات السفر وكانت آخر ليلة من عام ١٨٨٥ م هي ايضا آخر ليلة من ايام اقامته فى وادلای . وجمت الكل فى تلك الليلة حفلة باهرة . وفى الفد بعد ان ودع الحاضرين الذين لن يراهم بعد أجمل الوداع ركب هو و فيتا حسان متن الباخرة « الخديو » فأقلعت بهما وأخذت تشق عباب الماء ووجهتها بحيرة البرت نيازنا .

وفي ٤ يناير من عام ١٨٨٦ م بلغا كيبورو القائمة على الضفة الشرقية للبحيرة

وهناك نرلا وقلت الباخرة راجعة الى وادلای . أما هما فاتخذنا سييلهما برا وسافرا معا إلى أونيورو وبعد ان أقاما شهرا تقريبا في هذا البلد اقترقا من بعضهما فسافر جونكر الى أوغندة ورجع فيتا حسان الى كييرو .

وأقام جونكر مدة في أوغندة وشخص منها الى زربار فدخلها في اول ديسمبر سنة ١٨٨٦ م وأقلع من هذه المدينة في ٢١ منه ووصل الى عدن في ٣ يناير سنة ١٨٨٧ م ووصل الى السويس في ٩ منه ومن هذه انتقل الى القاهرة حيث أقام لغاية شهر مارس لكي يقابل استانلى الذى سيتولى قيادة الحملة المزمع ارسالها على ما يقال لاغانة امين بك مع أنها فى الحقيقة كانت مرسله لاقتلاعه من مديريته واخفاء آخر آثر من آثار مصر الرسمية وذلك لفتح الطريق لغيرها ممن يزنون بيمين الطمع الى تلك الاصقاع من زمن بعيد وهم أولئك الذين انتهزوا هذه الفرصة مسرورين كل السرور ليشبعوا بطونهم ويشفوا امراض مطامعهم بالحاق الضرر بمصر .

وبعد ذلك بارح جونكر بلاد مصر وولى وجهه شطر بلده بمد ان غاب عنه ثمان سنوات .

٢ - ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديريةته خط الاستواء

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استيلاء المهديين على أمادى

لم يكن طالع عام ١٨٨٥ م أحسن حالا من العام الذى سبقه إذ كانت أخبار الخرطوم قد انقطعت ولم يعد بعد إلا قليل من الأمل فى الحصول على معونة .

والوفد الذى أرسل الى الأمير كرم الله انضم الى العدو . وكتب عثمان ارباب وهو من أعضاء الوفد فى ٦ يناير انه جاء أمام أمادى ومعه ٤٠٠ جندى وانه فى انتظار ورود امداد وانه يقدم النصيح بالخضوع ويتكفل باقتياد الجنود والموظفين الى ديم سليمان لتقديمهم للأمير كرم الله . وحدثت ثلاث وقائع فى أمادى ولم يأت منها فائدة تذكر رغما عما تحمله الجنود من الخسائر . هذا عدا ان اختلاف الرؤساء وتمرد جنود الحامية جعل نجاح الهجومات التى تخرج وتقوم بها أمرا مشكوكا فيه وجنود مذبذبو لم تمثل الى الآن للأمر وتراجع الى مكراكا .

وأذعن كازاتى أخيرا لرغبة أمين بك وجونكر وطلباتهما المتكررة وبارح واندى فى ٢٠ يناير ميمما لادو فدخلها بعد رحلة خمسة ايام ولم ير أى تحسين فى الحالة وكانت ترسل امدادات الى امدى .

وفى ٢٦ يناير سافر جونكر الى الجنوب ابتغاء الحصول على اخبار عن طريق أونيوورو و أوغندة .

وفى ٢٢ فبراير رجع رجل كان امين بك قد أرسله الى امدى لاستكشاف الاحوال فيها . وقدم هذا تقريرا عباراته معقدة ومتضاربة . ومما جاء فيه ان الأمير كرم الله قدم الى ساحة الحرب على رأس عدد كبير من الدنافلة ورغمما عن جميع ذلك ختم تقريره بانه يرى ان المقاومة ممكنة . وبناء على ذلك أرسل أمين بك امدادات جديدة ومؤونة . ويعتبر كازاتى ان هذا التصرف ضرب من العمى يعجز العقل عن ادراك كنهه . ويقول انهم وان كانوا يمدون الحامية ويزودونها بالذؤن إلا أن المحاصرين من جهة اخرى ما كانوا قاعدين مكتوفى الأيدى وعمما قليل تنقطع المواصلات مع الحصن . وبعد أن لبثت الأخبار مقطوعة مدة أتى فى ٢٩ مارس ثلاثة من جنود حامية امدى يحملون خبرا مشثوما ألا وهو خبر اخلاء محطة امدى . ذلك ان الجوع لما نهش احشاء الجنود خرجوا خروج اليأس ومنهم أسلحتهم وشقوا لهم طريقا بين صفوف المحاصرين فى اتجاه مكراكا وذلك رغم ممانعة ضباطهم وجروا معهم هؤلاء على غير ارادتهم وصير المهديون بطبيعة الحال هذا الخروج مجزرة يشيب لهولها الولدان واختلط فيها الحابل بالنابل والرجال بالنساء والاولاد . هكذا كانت آخرة امدى وهكذا ضاع فيها عدد عظيم من قوات المديرية الحربية .

انذار الأمير كرم الله أمينا بك بالمسير الى لادو
وتقرير لاخلائها والانسحاب الى الجنوب

وفي ٣ أبريل على اثر كارثة أمادي التي اعتبرها المهديون الحد الفاصل
والطور الأخير من أطوار هذه الحرب كتب الأمير كرم الله الى
أمين بك خطابا يخبره فيه بما ناله من الفوز وبوفاة القائد مرجان افندي
الناصروري . وزاد على ذلك ان قال انه اذا لم يحضر أمامه في ظرف عشرة
أيام يسير الى لادو . فاجتمع الضباط والمستخدمون بهيئة مجلس وقرروا
باجماع الآراء رغبة منهم في مرضاة أمين بك ، اخلاء لادو والانسحاب
صوب الجنوب . وعلى هذا جاوب أمين بك الأمير كرم الله بمكتوب جاء
من ضمن ما سطره فيه ان الجنود مانعة له من الذهاب عنده كما
كان يريد .

وكان أمين بك في أشد حالة من التهيج وقد يستطيع المرء أن يدرك
ذلك بسهولة عندما يفكر في المسئولية الملقاة على عاتقه . فعندما تناقش هو
وكازاني في الموقف عرض عليه هذا حشد الجنود على الضفة الشرقية في
غندوكورو ثم الانسحاب الى بور فالى اتجاه شمالى شرقى شطر السوياط .
فأظهر أمين بك انه مقتنع بهذا الرأي ولكنه كان يرى استشارة مرؤوسيه وفلا
استدعاهم من أجل ذلك في اليوم التالي .

وانمقدت الجلسة بكرة ذلك اليوم وبعد أن عرض عليهم كازاني
خطته صودق عليهم باجماع الآراء وبناء على ذلك صدرت الأوامر .
لأن هذه الأوامر أمست بعد قليل من الزمن خبرا على ورق لأن

قائد دوفليه وضباطها وموظفيها لم يقبلوا العمل بهذه الخطة لأنها حسب رأيهم تجر خسائر فادحة على المالية المصرية بتدمير الباخرتين . أما أمين بك فكان لا يشاطر كازاتي رأيه ووجد الفرصة سانحة بوجود سبب يرتكز عليه في اهمال تلك الخطة .

محاولة الأمير كرم الله اخضاع مكراكا وانهزامه في ريمو

وفي خلال ذلك كانت جنود ممبتو قد وصلت الى مكراكا وانضمت الى الجنود التي نجت من واقعة أمادى وبهذا تجمع فيها ٦٠٠ من الضباط والجنود .

وأراد الأمير كرم الله اخضاع مكراكا قبل أن يزحف على لادو وشجعه على اقدمه هذا انتصاره فائق في أوائل أبريل من عام ١٨٨٥ م في ريمو على الجنود السالف ذكرهم وقد كانوا عندئذ يستعدون للتراجع الى لادو . وبعد أن دارت رحى حرب طاحنة أظهر فيها الفريقان المتقاتلان منتهى الصرامة والشدة انهزم المهديون انهزاما تاما وولوا الادبار صوب أمادى تاركين عددا كبيرا من رجالهم في حومة الوغى .

دعوة الأمير كرم الله موظفي المديرية الى الخضوع والطاعة وعقد اجتماع للنظر في الحالة

وأخذت كتب الأمير كرم الله تترى الى المستخدمين والضباط يدعوم فيها الى الخضوع والطاعة . واعلن أمين بك أنه قادم اليه بنفسه عوضا عن أن يرسل اليه وفدا مؤملا أن لا يكون قد قصر فيما

تقتضيه اللياقة . ووردت في نهاية الأمر رسالة من الأمير كرم الله وممها صورة مكاتبة من نفس المهدي مؤرخة من الخرطوم في ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ م معلنة الاستيلاء على هذه المدينة وقتل غوردون باشا واعداد كافة اعدائه . وقد ختم المهدي مکتوبه متمنيا ان يكون الأمير كرم الله قد استطاع هو الآخر ان يكمل اعماله بالنجاح . ويستطيع المرء ان يدرك بسهولة ما يحدثه خبر كهذا من الشغب والاضطراب في لادو .

وصار توزيع الجنود التي كتب لها الظفر بالاعداء في ريمو على المحطات الواقعة على النيل وتركت مكررا كاللأعداء وأصبح يخشى الآن ان يخطر ببال الأمير كرم الله ، وقد أغراه انتصار المهدي الذي امتلك الخرطوم فصار التحكم في شئون السودان ، ان يهتم بالقيام بضربة قاضية .

ودعيت جمعية عمومية للانمقاد في ٢٤ أبريل وكان انمقادها على اثر الانفعال الأليم الذي أحدثه هذا الخبر الأخير المحزن وقررت الانسحاب في اتجاه الجنوب . ودعى كازاتي الى هذا الاجتماع ولكنه انسحب إذ رأى ان الأصوات لا تعطى عن اخلاص وصفاء نية بل كانت تعطى بحباة للمدير ابتغاء كسب رضاه .

انسحاب أمين بك الى الجنوب وتقرير عدم اخلاء لادو

وبارح أمين بك في بكرة اليوم التالي الموافق ٢٥ منه لادو . ولم يحضر لتوديمه عند الاقلاع من المرسى غير كازاتي و ريجان افندي قائد المحطة . ورأى كازاتي ان في هذا التخلي من جميع مرؤوسيه معنى واضحا وانه نذير طالع مشئوم .

وقد كان لريحان افندى ابن أخ يقال له عبد الله ولقب بـ « نيامبارا » وكان نيامبارا هذا قائدا لمحطة مديرية الى أن شبت الثورة وامتدت حتى اتصل لهيها بمديرية خط الاستواء . وقد عرف كيف يجمع حوله ٧٠ من الدناقلة ويقوم هو وهم بخدم جلى . ولم يتورع الحزب المسكرى عن أن ينهز كل فرصة تسنح له لالصاق التهم بهذا الرجل ورجاله ابتغاء الحاقهم بصفوف المشبوهين مع أنهم اظهروا اخلاصا لا يمكن لكائن أن يمارى فيه .

وعندما وضع على بساط البحث مسألة اخلاء لادو وارجاع قاعدية المديرية مؤقتا في غندوكورو تكفل عبد الله بتموين مستودعات هذه المحطة الأخيرة وفلا أحضر ٧٠٠ حمل من الجوب وتركها في الرجاف مع مرؤوسيه السبعين المدججين بالسلاح قبل أن يرجع الى لادو . وبينما أمين بك يكيل له المدح والثناء ويرفع درجته ويزيد مرتبه كان قومندان الرجاف يحاول تجريد رجاله من الأسلحة والقبض عليهم لكن هؤلاء قاوموه وانسحبوا الى الجبال المجاورة . ولما لم يجد عبد الله رجاله عند رجوعه الى الرجاف تحرى عنهم فعلم بما تم فذهب ليلا وانضم اليهم ومنذ ذلك التاريخ لم يرو عنه أحد خيرا .

ويعزو ریحان افندى كل الجور والمظالم التي حاقت بقريسه الى الرغبة في الانتقام لثأر قديم يرجع الى ما كان يظهره عبد الله من الميل الى القائ مقام بجيت بك عندما حصل شقاق بين هذا و أمين بك . وكان ریحان افندى لا يحاول أن يكتم غضبه فلقد كان رجلا متقدما في السن من صفاته الصلاح النادر والصلابة مع الرحمة وقد كانت الجنود تحترمه

كثيرا وتجبه حبا جما .

وما غابت سفينة أمين بك عن الانظار حتى شاع وذاع وملاً الاسماع
ان أميناً بك فر هاربا .

واجتمع مجلس غداة يوم سفره وقرر عدم وجود ضرورة لاخلاء لادو
وتكليف أمين بك بتموين هذه المحطة . وفي خلال ذلك شرع في الحال بالقيام
باعداد وسائل الدفاع .

انسحاب المهديين من مكراكا و أمادى

بإدر كازاتى بالكتابة إلى أمين بك يخبره بما حدث ويرجوه أن
لا يعتمد أكثر من غندوكورو اذا كان يريد أن يتجنب الانشقاق الذى
بات حصوله قاب قوسين ولكن أميناً بك لم يمر هذا الكلام
أذنا مصغية واستمر آخذاً في طريقه الى الجنوب جاء لاله مستقبلاً
مجرداً من السطوة والاحترام مملوءاً كدراً غير ان العناية الالهية أظلت
بوارف رحمها المديرية أيضاً هذه المرة فنزع الأمير كرم الله عن
مكراكا و أمادى نجاة لأمر لا يعلمه إلا علام الغيوب وانسجبت قواته الى
مديرية بحر الغزال .

موالاة امين بك الانسحاب الى الجنوب وتوطئه خور أبو

وما زال أمين بك يتابع السير منسجبا نحو محطات الجنوب ذلك
الانسحاب الذى نعمته الرأى العام بالقرار . فهاج الضباط وأرادوا حجزه في
الرجاف لكنه تشبث برأيه ومع ذلك وعد بالاقامة في لابوريه بل
أصدر أمراً باقامة المباني اللازمة في هذه الناحية الأخيرة على ضفة

النيل اليمنى . وسكن روع الأهالي في بيدن ، و كرى ، و موجى ، و لا بوريه بشأن المستقبل . ولما لم يستطع ان يسترجع ثقتهم به ذهب وأقام في خور أبو . ومن هذه الناحية أمر بتصدير الجيوب الى الأورطة المحتلة لادو وملحقاتها مؤملا بذلك تهدئة الخواطر والتمكن من سحب الحاميات الضاربة شمالا فيما يستقبل من الزمان . ولقد ارتكب أيضا أمين بك خرقا آخر في الرأى ذلك بأن منح زيادات في رواتب جنود الأورطة الثانية .

ارسال امين بك فرقة لاستطلاع أخبار حامية بور وابادة الدنكاوية لها

وكان امين بك قد وطد العزم وعقد النية على ان يذهب الى مناطق البحيرات ومع ذلك بعث بحملة بقصد التأكد من الخبر الذى كان قد أذيع عن قتل حامية بور ثم يواصل السير بعد ذلك صوب فاشودة لاستطلاع اخبار الثورة . وألفت فرقة لهذا الغرض من ١٨٠ جنديا ومشت في طريقها الى ان بلغت بحر الزراف . وهناك دبت عقارب الخلاف بين صفوفهم ففريق كان يرى اتمام الأمورية وفريق يرى عكس ذلك . وأخيرا استقر الرأى على النكوص على اعقابهم وبعد مسير ثمانية ايام وقعت الفرقة في كمين نصبه الدنكاوية وأيدت تقريبا . وأتى بهذا الخبر المخزن الجنود القلائل الذين نجوا منها .

سفر كازاتى الى موجى ومنها الى لا بوريه و دوفيليه

لما كان كازاتى لا يميل البتة الى التدخل فى اشغال المديرية حيث

كان يرى والأسى ملء جوانحه المسائل الشائكة والاعمال المعقدة تراكم
فقد نرح عن لادو في ٩ مايو من سنة ١٨٨٥ م ووصل الى موجى في ٢٣ منه
وعاش بها في مسكنه وحيدا فريدا .

وكان كازاتى يمتقد اعتقادا راسخا أنه ليس هناك سلامة ترجى
من وراء الذهاب الى الجنوب . ويرى ان نتيجة التجارب الاخيرة
ليست مرضية الا اقل من القليل فكتب الى امين بك يخبره انه نوى
مبارحة المديرية موليا وجهه شطر الشمال الشرقى فى اتجاه فادازى
Fadasi فرد عليه المدير بأنه لا يتسنى له ان يسمح باجابة طلبه نظرا
للمسئولية الكبرى التى تقع على كاهله إذا حدث له حادث . فكتب له كازاتى
جوابا أخلاه فيه من كل مسئولية غير أن أمينا بك ظل ثابتا على رأيه
رافضا السماح له بما طلب وكتب اليه يستقدمه لزيارته فى لا بوريه .
فامثل كازاتى وسافر الى هذه المحطة الاخيرة وقابل فيها امينا بك .
وعندما تناقشا معا فى الموقف عرض عليه كازاتى نقل قاعدة المديرية موقتا
الى كرى ريثما تتمكن جنود لادو و الرجاف و بيدن من التراجع
صوب الجنوب . فقبل امين بك ان يعمل بهذا الرأى وبعد ذلك يبضع
ساعات عدل عنه الى نقيضه وسافر الى دوفيليه ولحقه فيها كازاتى فى ٢٣ يونيه
من سنة ١٨٨٥ م .

وكانت دوفيليه عندئذ تموج بالجنود والأهالى فالأولون كانوا نازلين
بها بسبب ما نالته محطتها من الاهمية بقتة والآخرون كانوا قد قدموا
اليها ليستبدلوا بمحصولاتهم خزا ونحاسا .

واستقر الرأى بأمين بك على ان ينتقل الى وادلاى غير انه أبعد احمد

افندى محمود سكرتيره و عمان افندى لطيف وكيل المديرية وعهد بإدارة قلم الحسابات الى البكباشى حواش افندى .

سفر كازاتى الى وادلاى

وصلت الباخرة « الخديو » فى مساء ٢٦ يونيه من سنة ١٨٨٥ م من وادلاى وعلى ظهرها قائد هذه المحطة . وقتل فى الطريق رجل وهو يحاول تخليص الرفاس من الأعشاب المشتبكة به لأن الرفاس تحرك قبل ان ينتهى الرجل من عمله .

وزايل كازاتى فى ٢٨ منه دوفيليه قاصدا وادلاى ولحقه فيها أمين بك فى ١٠ يوليه . وابتدأت الأشغال فى المحطة واتسعت المحطة لدرجة نستطيع معها أن نقوم بما يطلب منها من الأعمال وأحيطت مخندق .

وكلمة « وادلاى » التى وضعت علما على المحطة هى اسم لرجل طويل القامة ضخم الجثة لدرجة صار معها شنيع الخلقه غير قادر على الحركة ولذا يعيش متمما فى أحضان عدد كبير من النساء ويكره الحروب ويرغب فى الحياة الهادئة هدوءا شاملا .

واللور رعايا وادلاى هم والشولى النازلون فى ضفة البحيرة الغربية من عنصر واحد إلا أن الأولين لا يشتركون مع الآخرين فى ميولهم الحربية بل بالعكس ينجحون للسلم ويميلون للسكينة وهم علاوة على ذلك من خيرة المزارعين ولهم باع طويل فى تربية الماشية . وعادت الثقة والطائفة الى نفوس اللور وأخذوا يميرون المحطة وكفل لهم وجود المدير بينهم وقوف الجنود عند خدمهم .

لإغارة الباريين على لادو وانتصار حاميتها عليهم

وفي أكتوبر ورد خبر اغارة قبائل الباريين هم وحلفائهم الدنكاويين على لادو و غندوكورو و الرجاف .

وقد حدا سوء استعمال السلطة المعطاة للقواد التي تخولهم مطلق التصرف في الأمور من جهة وموقف الحكومة الحرج من جهة اخرى الى تحزب الرؤساء بقصد محاولة ضربها ضربة قاضية .

وأرسلت الامداد والذخيرة على وجه السرعة واستمرت المعركة حامية الوطيس يذكي ناراها الحقد والضعينة .

وفي لادو انقضت جموع المغيرين الساحقة على الخنادق وازدروا بالمتل الزؤام وأذكت هميتهم اصوات الابواق والطبول . وكدسوا حزما من العشب والحطب لسهولة المرور الى داخل الحصن . وبينما كانت تشتد حميا وثوبهم لدرجة خيل معها ان النصر امسى ولا ريب حليفهم اذا برصاصة أصابت جبين كبير سحرتهم وألقته بأسفل المتراس . وكان هذا أول من وصل الى القمة . وشل صياحه المزعج الوثوب ووقفه وقفا تاما وأحال الخوف الذي حاق بهم رعبا لا مبرر له وبذا نجت لادو ووضعت الحرب أوزارها على ان الباريين وخدمهم دفعوا نفقات هذه المعامع ذلك ان الدنكاويين وقد شق عليهم موت كبير سحرتهم نهبوا البلد وسلبوا كل ما صادفهم في طريقهم من الماشية عند رجوعهم .

اما الحامية ، وقد سكرت بخمرة النصر ، نغالت أنها لا تغاب بعد ذلك

وعوضاً عن ان تتراجع الى كرى و موجى و لابيوريه عقدت النية على اعادة احتلال مكرامكا بنية الحصول على الجيوب اللازمة للمحطات القائمة على النهر وباشرت تنظيم المديرية من جديد بالكيفية التى سولها لها شيطانها من غير ان تنازل وتستشير المدير .

عودة المواصلات بين أونيوورو
وطلب كباريجا تعيين وكيل لديه من قبل الحكومة

وأنى رسل قبيل آخر اكتوبر يحملون مكاتيب من طرف العرب المقيمين فى بلاد اونيوورو وقد آبوا حاملين الرد فى أول نوفمبر وبذا انفتح باب المواصلات .

ووردت فى ٢٣ ديسمبر رسائل اخرى من قبل كباريجا ملك اونيوورو يخبر فيها امينا بك انه يرغب فى ان يرى لديه وكيلا من قبل الحكومة وانه يأذن بنقل المراسلات الى أوغندة عن طريق بلده وانه يوجد بهذه المنحة لأجل صديقه الدكتور امين ذلك الصديق القديم الذى مازال له عنده منزلة احترام عظيمة وصدافة ولكى يرضى امين بك الملك كلف جونكر و فيتا حسان بهذه المهمة .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٦ م

من

حكمدارية أمين باشا

تعيين فيتا حسان نائبا عن الحكومة في أونيوورو

في أول يناير من هذا العام رافق امين بك و كازاتى الى المرسى الدكتور جونكر وفيتا حسان . وكان ينتظر هذين فيها لتوديعهما كبار موظفى المحطة من ملاكيين وعسكريين . وبعد ان ودعها الجميع صعدا الى ظهر الباخرة « الخديو » التى لم تلبث الا قليلا حتى أطلقت صفارتها ايدانا بالسفر . واقتلعت المراسى وتحركت الآلات وأخذت الباخرة تتعد والمودعون يلوحون بمناديلهم البيضاء الى ان توارت عن الأبصار .

ولم يكن فى عزم الطبيب جونكر ان يقيم ردحا طويلا فى اونيوورو بل كان عاقدا النية على ان يعاود المسير شطر الساحل عند سنوح اول فرصة . اما فيتا حسان فخاله كانت كما يأتى :-

« لقد كان معيننا نائبا عن الحكومة المصرية لدى كبارىبجا ملك اونيوورو . وكان لديه أمر بالسفر الى تلك الديار والاقامة فيها والسهرة على حفظ الملائق الودية والسياسية بين البلدين وان يرافق الدكتور جونكر الى اونيوورو ويساعده على اجتياز اوغندة حتى يتمكن من الذهاب الى زنبار عند سنوح أول فرصة . وان يقوم بعمل اللازم لدى

الملك ليهيء طريقا في مملكته ينسحب منها موظفو المديرية المصريون عند الحاجة وان يياشر مشترى المنسوجات والاشياء الاخرى التي تلزم لمستخدى المديرية ويبادل عليها بالعاج الذي يرسل اليه من وادلاى . ويجب عليه كذلك ان يجتهد باقواله واعماله حتى يحصل على ثقة الملك وصداقته ويحافظ عليهما حتى ينال منه اجزل ما يمكن من الفوائد خلال قيامه بالمهمة التي عهد اليه اتمامها .

سفر فيتا حسان مع جونكر الى أونيوورو

سافر فيتا حسان ووجهته الاونيوورو مزودا بهذه التعليمات ومصحوبا بالطبيب جونكر و جنديين و مندوبى كباريجا الخمسة وأخذ معه ٣٠ نانا من انياب الفيالة هدية من امين بك الى كباريجا وكبار موظفى اونيوورو . وبمد مسير ست ساعات وصلت الباخرة « الخديو » الى مصب بحيرة البرت نيازا وكان من الحتم ان تقف عنده لتستوفى ما يلزمها من الوقود وتقضى ساعات الليل . وسافرا فى اليوم التالى وبلغا كيبورو القائمة على شاطئ البحيرة بعد الظهر . وعرض عليها كاجارو Kagaro رئيس الناحية الضيافة الى ان يتمكننا من جمع ما يلزمهما من الجمالين وبمث لهما بخروف ومقدار من الملح .

وكان كاجارو معيننا من قبل كباريجا مأمورا لانتاج الملح وبسبب هذه المادة التي تأتى بدخل كبير صار لكيبورو أهمية كبرى .

وأقاما فى كيبورو يومين جمع فى خلالهما الرئيس ٣٢٠ حمالا لنقل المتاع والعاج . وليس فى جسامه هذا المندد ما يوجب الاستغراب

متى علم ان الزوج لا يودون حمل الاشياء الثقيلة . فاقصى ما يحملة الواحد منهم يتراوح بين ٢٠ و ٢٥ كيلو جراما . وهذه المسألة جعلت السياحة في افريقية امرا صعبا .

وفي اليوم الثالث انطلقا في السير وبعد سفر ثلاثة ايام دخلا امبارا Mpara محل اقامة الملك ووجدا على بعد ربع ساعة من الناحية خمسة اكواخ جديدة أعدت لاقامتها بأمر كباريجا فنزلا فيها نزول صاحب الدار في داره . وامبارا هذه كرسى مملكة اونيورو . وقدم في المساء ماتونجولى ، أى وزير ، لزيارتها وليتمنى لهما نيابة عن الملك قدوما سعيدا . واستفهم عما اذا كانت كل الأمور قد جرت في مجراها الحسن في غضون سفرهما ، وعما اذا كانا قد قوبلا من رعايا الملك مقابلة طيبة . واحضر لهما علاوة على ما ذكر من قبله زادا مشتملا على ثور و مريسة و دقيق ذرة و تبغ و بن و بطاطة و فول احمر و موز و حطب وكل هذا بمقادير وافرة . وكان الملك يوصيها ايضا ان يأخذا الراحة التامة ليستريحا من وعشاء السفر فكلفا الماتونجولى ردا على ذلك ان يبلغ الملك تشكراتها القلبية .

وأتى في اليوم التالى ماتونجولى آخر وحياتها باسم الملك واحضر لهما مقدارا من الماريسة وخمسة عشر عذق موز على ان المؤونة التى قدمت لهما بالأمس كانت لم تزل على حالتها تقريبا غير انه من عادة السودانين ان لا يظهروا امام ضيوفهم وايديهم خاوية وذلك من باب اللياقة والمجاملة .

ولم يبارح فيتا حسان و جونكر سكنهما في الثلاثة الايام الاول

لانشغالها بترتيب واعداد متاعها وتأثيث منزلها . وكان القائم باذهانهما ان الملك سيستدغيها بين آونة وأخرى ولكن سكوته عن هذا الاستدعاء في هذه المدة بمث في نفوسهما بعض الدهش .

وزارا في اليوم الرابع المدينة بموجب الأذن الذي كان أعطى لهما بزيارتها . ولم تكن هذه سوى قرية بسيطة مثل باقى قرى الزوج لكنها كبيرة ومأهولة كثيرا بالسكان وهي تتألف من اكاداس من الاكواخ المصنوعة من الخيزران والقش موضوعة على الارض بلا نظام ولا ترتيب . واتخذوا الترجمان الذي عين لخدمتها عند قدومها مرشدا لهما أثناء هذه الزيارة .

ولم يبلغها الملك خبر استعداده لاستقبالها إلا في اليوم السابع . وكان في الامكان حصول هذا الاستقبال في اليوم الاول إلا ان الملك الذي كان من شيمه المكر والخداع فضلا عن الجهل رأى ان يومه عليهما بتكليفهما الانتظار . فدعاها ماتونجولى يقال له « كاتاجروا » Katagrua كان قبلا وزيرا لكمرازى والد كباريجا وكلفهما بان يرتديا احسن ملابسهما حتى يكونا في حالة تليق بمقابلة صاحب التاج إذ أنه لشدة كبريائه ينجح للتأثير على رعاياه بأبهة ملابسهما ونخامتها ويستطيع ان يفتخر بان لديه ضيوفا بلغوا هذا الشأو من علو المنزلة .

مقابلتهما لكباريجا ملك أونورو

حضر قبيل ظهر ذلك اليوم الماتونجولى امسيجي Msigi ليقدم فينا حسان وجونكر للملك . وقابلا على بعد خمس دقائق من محل اقامتهما ثلة صغيرة

من الجند وعند رؤيتها لهما اصطفت على جانبي الطريق ثم بعد ذلك بقليل قابلتهما ثلة اخرى وأدت لهما التعظيم بتقديم الأسلحة عند مرورهما وفي اثناء ذلك كان ينفخ في الابواق وتدق الطبول وهذه كل آلات العزف التي يمتلكونها .

ويسمى هؤلاء الجنود « الباناسورا » Banassuras ويتألف منهم جيش منظم مجموعه ١٥٠٠ نسمة يرتدى الملابس الحسنة ويحمل بنادق بشطف أو سريعة الطلقات .

ونظم هذه الهيئة عساكر من جنود الحكومة المصرية يبلغ عددهم زهاء الثلاثين كانوا قد فروا من محطتى كيزوجا Kisoga و كيروتو اللتين كان قد أنشأهما غوردون باشا في بلد اونيورو وذلك في خلال حصول مجاعة . وعند هروبهم أخذوا معهم اسلحتهم وآلاتهم الموسيقية ولم يحتفظ الباناسورا بشيء من تلك الآلات اللهم إلا بالأبواق والطبول وذلك لسهولة استعمالها . ولا يصرف للباناسورا راتب ولا جـراية ويتعين عليهم ان يعيشوا من الطلبات التي يأذن لهم بها الملك والتي تعمل ليتخذوها مبراً لنهب الأهالى نهبا منظما . وبما ان الملك وحده هو المتولى اقامة العدل واصدار الاحكام بدون بحث ولا مناقشة والباناسورا هم المتولون تنفيذ تلك الاحكام استباح هؤلاء اتخذ اسمهم ذريعة لسوء استعمال السلطة في احوال كثيرة وعزوا ذلك اليه تعسفا وظلما . ولقد ابد قلوب الأهالى عن هؤلاء الجنود وأحقتها عليهم وعلى سيدهم « أى الملك » ما يرتكبونه من السلب والنهب لدرجة صار معها وجود هؤلاء السلايين النهائيين ضروريا لأمن الملك الذى أصبح لايهابه شعبه إلا خوفا من هؤلاء الطغام المرتدين لباس الجندي .

ويتألف قصر الملك من سور كبير داخله مجموعة من الاكواخ تسكنها نساؤه الكثيرات العمد وخدمه . وأقيم حيال هذا السور كوخ على شكل دائرة له مدخلان وبه حاجز يقسمه قسمين . ويتألف هذا الحاجز من سدول مختلفة الانواع من سجاد و منسوجات حريرية وقطنية مزركشة بالذهب والفضة وغير مزركشة ملتصمة ببعضها فيتألف من مجموع هذه الألوان الزاهية النظرة منظر يأخذ بالألباب . ويجلس الملك كباريجا في الوسط خلف القسم الذي مدخله في الامام على مقعد كبير مكسو من نوع كساء الحاجز . ووراء هذا يقف ثمانية من الغلمان اعمارهم تتراوح بين اثني عشرة وست عشرة سنة . يحملون قرابينات وينشستر Winchester ويرفعون من وقت الى آخر طرف الستار للقيام بمستلزمات الحراسة أو ربما كانوا مدفوعين في ذلك بغيرية حب الاستطلاع ويلقون بنظرة في الكوخ الملكي . وهؤلاء يكونون الحرس الملكي الذي كان يتغير كل نصف يوم . وكان كبار اعيان الأنيوروجلسون صفا على الارض على يمين كباريجا ويساره وكانت الارض مفروشة باوراق البردى بزى السجاد . ويحيط بالكوخ في الخارج على بعد أربعة أمتار منه ثلة من الجند واقفة على شكل دائرة .

ورافق جونكر و فيتا حسان اتباعا لأوامر الملك الجنديان اللذان قدما معها وكانا يحملان مقعديهما . ولم يتحرك الملك عند دخولهما وعند وصولهما الى مسافة وجيزة من الملك حياه فيتا حسان باللغة العربية قائلا : « السلام عليكم أيها السلطان » اما جونكر فرفع قبعته . ووضع الجنديان مقعديهما على يمين الملك جلسا عليهما بين الوزراء « الماتونجولين » .

وكان الملك يلبس سروالا و سترة « استامبولينا » وطربوشا ولم يكن على جسمه قميص ولا في قدميه حذاء . وبعد ان جلسا التفت الملك الى جونكر وكان يعرفه تمام المعرفة لانه كان قد طلب ارساله وسأله بلهجة تم عن الكبرياء والعظمة عن الغرض من سياحته مع ان موظفى أمين بك عرفوه من زمن سابق السبب .

وترجم هذه الأسئلة الترجمان أمسيحي وهو ذلك الذى كان ترجمانا لأمين بك في رحلاته السابقة الى بلد أونيسورو في مدة غوردون باشا . وأجابه جونكر بأنه قدم ليجتاز أوغندة حيث يريد أن يجتمع باخوانه البيض المبشرين اذا كان ذلك في حيز الامكان .

أما فيتا حسان فقال ان لديه خطابات من أمين بك يرغب في ارسالها الى رؤسائه في القاهرة بواسطة الملك عن طريق أوغندة و زنبار . وما أتم كلامه حتى صاح ماتونجولى قائلا : « واذا لم يشأ الملك ارسال هذه الخطابات ؟ » . فأجاب فيتا حسان : « ان الملك هو صاحب الشأن وله وحده أن يأمر بأن ترسل أو لا ترسل وانه لا يطلب ذلك من باب الالزام بل يطلب بالنيابة عن أمين بك أن يفعل ذلك منه منه وكرما . وعلاوة على ما ذكر فانه لا يطلب من الملك ارسال هذا البريد بدون أن يجنى من وراء ذلك فائدة بل مقابل هدايا تقدم اليه . وانه اذا أراد سلاحا أو ذخيرة حتى اذا شاء مدفعا فهو يقدم له كل ذلك عربون صداقة رئيسه للملك » .

ولم يتكلم فيتا حسان بهذه الكيفية إلا عملا بوصايا أمين بك وطبقا لارادته لأنه قد رسم له أن يعمل دواما بما تقتضيه سلامة الذوق . ورأى

فيتا حسان من رضا الملك ما دله على انه قد أصاب منه عرقا حساسا .
فأجاب كباريجا انه يعتبر أمينا بك كأخ له وانه سيعمل كل ما يرضيه .
وبعد أن وجه جملة أسئلة غريبة في بابها لم يتمالكا عند سماعها من
الضحك إلا بشق الأتس فض الجلسة بقوله : « ان أكوأخكما الحالية
لم تكن إلا وقتية وذلك ربما تستريحان من وعشاء السفر وفي
استطاعتكما أن تختارا المكان الذي يوافقكما فأقيم لكما فيه مسكنا في
الحال » . وعلى هذا استأذنا جلالتهم ورجعا الى محل اقامتهما يصحبهما
ماتونجولى .

ووقع اختيارهما على ربوة صغيرة تشرف على كل نواحي المدينة .
وكانت أرضها مزروعة بطاطة فأمر الماتونجولى باقتلاعها فورا . وفي الغد
سلما رسم المسكن الى العمال وكان هؤلاء كثيرى العدد فأنجزوه في
عشرين يوما .

وفي خلال هذه المدة استدعاهما الملك ثلاث مرات وكان في كل
مرة يرتدى ملبسا يختلف عن ملبسه في المرة التي سبقها . وكان دواما يهتم
اهتماما خاصا بحالتهم الصحية ويستعلم منهما عن لوازمهما وعمما اذا كانت المؤونة
التي تقدم لهما تكفى حاجتهما .

ولم تستدع الجنود وتقام الاحتفالات التي سبق ذكرها إلا لدى المقابلة
الأولى . وطلب الملك عند الزيارة الثانية أن يرى الخطابات التي يرغبان
ارسالها الى مبشرى أوغندة . وكان أحدها مرسلا من أمين بك والثانى من
جونكر وكلاهما برسم الأب ماكاي Mackay فتناولهما كباريجا وقال :
« سيصل اليكما الرد في مدة تسعة عشر يوما » . وبر الملك في الواقع بوعده

وفي اليوم التاسع عشر وصلت اليها اجابة ما كاي ومعه خطاب باللغة الفرنسية مرسل من نوبار باشا الى أمين بك . وهذا الخطاب ظل لدى هذا المبشر زمنا طويلا بدون أن يتمكن من توصيله للمرسل اليه .

وبادر فيتا حسان بارسال خطابي نوبار باشا وما كاي الى أمين بك .

وبما وضعا أقدامهما في مسكنهما الجديد حتى تلقيا بطريقة سرية رسالتين إحداهما باللغة العربية والاخرى بالفرنسية من شخص يقال له محمد برى تاجر من أهالي طرابلس .

ورأى فيتا حسان في مساء يوم عند افول الشمس رجلا زنباريا يقال له حموده قادما ودخل عليهما مع ترجمانها ليقدم لهما تحيات شيخ الزنباريين في أوينورو . وتمكن حموده هذا من أن يلقي تحت المائدة خطابين بدون أن يلاحظ ذلك أحد وما كاد يخرج مع الترجمان حتى تناولهما فيتا حسان ودعش عندما رأى ان بهما توقيع محمد برى .

وكان المكتوب الفرنسي برسم جونكر والعربي لفيتا حسان . ويقول محمد برى في كتابه الثاني ان موطنه طرابلس وانه مقيم بين الزنباريين بصفة تاجر وانه يكون سعيدا اذا تمكن من مقابته وان الوسيلة لذلك هو أن يحصل فيتا حسان على اذن من الملك بالسماح له بزيارة حي الزنباريين وان في امكانه معرفته بسهولة بقامته الطويلة النحيفة وأوصاه أن لا يكلمه إلا بالفرنسية أو التركية اذا قابله وكان معه أحد .

ويقول في كتاب جونكر ان أحد الألمانين المدعو الدكتور

فيشر Dr. Fisher جاء الى أفريقية للبحث عنه وان الحكومة المصرية كتبت بصدد ذلك بعض الخطابات لمديرية خط الاستواء . ولم يذكر محل وجود هذه الخطابات ولكنه أظهر انه يريد أن يذكر ذلك شفويا عند أول فرصة .

ولقد كان من الفطنة واصالة الرأي أن يتصرف محمد برى هذا التصرف المستتر وأن يخشى انكشاف علاقته بفيتا حسان و جونكر لأن الملك كان بفطرته شديد الغضب . ويستوى في ذلك هو وجاره موانجا . وقد كان من طبع هذا الملك أن يراقب مراقبة مدهشة كل من يدخل بلده ويبحث عن الوسائل التي تمرقل اتصال الواحد بالآخر من الأجانب . فلم يكن ليعفيهما من أشد المراقبة وأدقها مع انهما أتيا بناء على طلبه وبصفة مرسلين من قبل أمين بك الذي كان يدعوه بصديقه وأخيه الأبيض .

وما كان الجنديان اللذان وضما تحت تصرفهما مكلفين بخدمتهما فحسب بل كانا في الوقت نفسه مراقبين بل سجانين لهما .

وكان الملك لا يمنع عنهما أى شيء تتطلع اليه أنفسهما إلا أنه كان يعرف الطريقة التي بها يبعدهما عن الأجانب الآخرين . وكان لا يقول لهما شيئا مطلقا غير ان ترجمانه ما كان يكتف عنهما نصائحهم الغالية وكان فيتا حسان و جونكر يقدران تلك النصائح حق قدرها وذلك باعتبارها كأوامر صادرة من ذات الملك . ولقد كابد أمين بك نفس هذه الريب والشكوك عند أسفاره في أونيوورو و أوغندة في عهد غوردون باشا ففى البلد الأول لم يستطع أن يتصل بنور بك محمد وفى أوغندة لم يتمكن من الاتصال بيمسون بك مع ان كليهما كان من موظفى الحكومة

المصرية كما ان أمين بك كان أيضا من موظفى نفس هذه الحكومة .
فهؤلاء الامراء الكثيرو الشكوك والظنون كانت لهم طريقة واحدة غاية
فى البساطة . ذلك أنهم حالما يعلمون بقرب قدوم أجنبي يصرفون من كان لديهم
من الأجانب الآخريين فى اتجاه آخر .

وكانت المصلحة وحب الوقوف على الحقيقة يدفعان فيتا حسان
و جونكر لمقابلة محمد برى فى أقرب وقت فطلبوا من كباريجان أن
يرخص لهما بزيارة حى الزرباريين فلم يأذن لهما بذلك إلا بعد
يومين .

وذهبا الى الحى المذكور وحالا عرف فيتا حسان محمد برى بأوصافه
التي ذكرها وخاطبه بالفرنسية وكان هذا الأخير يتكلمها بسهولة إذ
أنه كان موظفا بالشركة البلجيكية الافريقية وساح فى أغلب نواحي
القارة الأوربية .

وبعد أن سألما عليه قص عليهما ثورة عرابى واحتلال الانكاز
لديار مصر بسبب هذه الثورة واخلء الحكومة المصرية السودان وسقوط
الخرطوم وقتل غوردون . وكان لديه معلومات صحيحة فيما يختص
بأحوالهما وأكد لهما أنه يوجد لدى البشر ما كاي مراسلات برسمهما
من نوبار باشا رئيس مجلس الوزراء . وعرض برى عليهما وساطته فى
توصيل ما لديهما من المكاتبات وفى انجاز كل أمر يريدانه . وعند
مبارحتهما له أوصاهما أن يأخذا الحذر من بابادونجسو رئيس وزراء الملك
ومن رجل يقال له عبد الرحمن وهو شخص زربارى له نفوذ كبير
عند كباريجا ودعاهما لتناول الطعام عند رفيقه الشيخ مسعودى ووعدهما بأن

يستأذن من الملك في أن يتناول عندهما الطعام مرة .

وكان الزنباريون شبه محتكرين لتجارة أفريقية الوسطى فكانوا يوردون أنواعا متنوعة من السلع ويستبدلون العاج بها . وعلاوة على هذا النوع المباح تصديره كانوا يتجرون في الرقيق وما يحصلون عليه من داخل القارة يبعونه في الساحل . ولو لم يكن التجار عرضة لأذى الملوك لكان في استطاعتهم الحصول على ارباح طائلة . وكان أولئك عندما يضعون مكاسبهم في مكان مأمون يرجعون الى الساحل . وهذا ما كان يعمله أغلب تجار الخرطوم الذين يسافرون الى النواحي الواقعة الى الجنوب مخاطرين بأرواحهم ابتغاء كسب الدراهم التي ينفقونها فيما بعد في هذه المدينة .

وكان العربي عند سفره من الخرطوم أو زنبار يردد لسانه هذه العبارة « الذهب الأحمر أو الموت الأحمر » .

وكتب فيتا حسان في الحال بعد أن ترك محمد برى الى أمين بك تقريرا مفصلا بما دار بينها من الحديث وأضاف اليه جونكر بعض كلمات ذيلها باسمه ووضع مع التقرير صورة الخطاب الذي تلقاه من المبشر ما كاي بالاذن له من موانجا Mwanga ملك أوغندا بدخول مملكته وبعدم التمكن من الحصول منه على ترخيص كهذا لموظفي أمين بك .

وكان فيتا حسان لم يقدم الى كياريجا لغاية ذلك الوقت إلا هدايا صغيرة واحتفظ بالعاج لحين سنوح فرصة اكثر مناسبة فانتهاز فرصة قيامه باحضار البريد لهما من أوغندا وقدمه له دلالة على رضا الحكومة .

قضى اليوم التالى لوصول البريد قدم فيتا حسان ٢٠ نابا من انياب
القبيلة الى الملك وواحد لبابادونجو Babedongo ، وواحد لعبد الرحمن
الزبارى ، وواحد للوزير كاتاجروا ، وواحد للترجمان امسيجي ، وواحد
لقائد الشرطة « باناسورا » ، وثلاثة الى بعض الضباط واحتفظ بثلاثة لما يطرأ
في مستقبل الأيام .

وكان العاج ضالة الزباريين المنشودة وكان احدى الوسائل الهامة
في المبادلة في بلاد الاونيورو التى يندر فيها وجود هذا النوع لأن
القبيلة لا توجد إلا شمال بحيرة البرت نيازا . وكان الزباريون يشترون
الفرازيلا من العاج من الاونيورو بـ ٤٥٠٠ سيمي Simbis والفرازيلا Frasila
عبارة عن ٢٠ نابا . و ٢٥٠ سيمي تساوى ريبالا مجيديا . وقيمة هذا الريال سبعة
عشر قرشا ونصف قرش وعلى هذا يكون ثمن الفرازيلا ١٨ ريبالا أو
٣١٥ قرشا . ويبيعهونه في الساحل بثمان يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ريبال أى
من ١٤٠٠ الى ١٧٥٠ قرشا . إذ أنهم كانوا يتكبدون نفقات كثيرة
للوصول الى الساحل .

ويتخذون في الاونيورو « السيمي » أساسا للمعاملة في الصفقات
التجارية وهذه العملة ادخلها الزباريون في هذا البلد . وله قيمة
ثابتة لا تتغير . وكانت التجارة رائجة في الاونيورو بفضل
ما كان يديه الزباريون من الهمة والنشاط في الاسفار ذهابا
وايابا بين الساحل وأواسط افريقية بلا انقطاع . وكان ايضا في
الاونيورو تنتظم الدقة المعاملات التجارية لأن ثمن كل سلعة كان محددًا
بمعرفة الملك فلا يتغير ولا يتبدل مطلقا وكان لديه معلومات صحيحة عن

كل ما يحدث في ارض مملكته .

وروى فينا حسان انه ابتاع ذات يوم دجاجة ودفع ثمنها لها ٣٠ سيمي مع ان ثمنها المحدد كان ٢٥ فقط وبعد ذلك بقليل أتاه ترجمان الملك وأعطاه الفرق وقال له ان التاجر الذي عامله باجحاف سيوقع عليه الملك عقابا وأوصاه بان لا يدفع شيئا يزيد عن الثمن المحدد مراعاة لمصلحته واجتبابا لحدوث اضطراب في السوق .

واليك ائمان بعض الحاجات المهمة :-

أمة سواء اكانت عذراء أم امرأة من ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ سيمي « ٣٦٠ الى ٤٥٠ قرشا » . صبي رقيق من ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ سيمي « من ٢٤٠ الى ٣٠٠ قرش » . بقرة حلوب من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ سيمي « من ١٢٠ الى ١٥٠ قرشا » . عجل ذكر من ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ سيمي « من ٣٧ الى ٤٥ قرشا » . خروف من ٣٠٠ الى ٤٠٠ سيمي « من ٩ الى ١٢ قرشا » الخ .

ويجب على كل تاجر يقدم الى الاونيورو ان يقدم بادية بدء بمض السلم للملك فيختار منها ما يعجبه بدون مقابل وكان يدفع أوقاتا سنا مقابل ما يأخذه غير ان هذا يتعلق بمشيئة الملك على ان القاعدة هي ان يترك للملك ما يستحسنه من غير عوض .

وربما كانت الاونيورو أغنى البلاد في نوع البقر فقطعان الملك وحدها تمد بمئات الألوف . والسبب في هذه الكثرة التي لا يتصورها العقل يرجع الى تحريم ذبح الأبقار تحريما باتا اللهم إلا اذا ظهر عقبا ظهور الشمس في رابعة النهار وحتى عندئذ لا بد من الاستئذان من الملك .

أما إذا شذ أحدهم عن هذا القانون فتصادر أملاكه وتباع أسرته في سوق الرقيق .

وكان الوزراء « الماتونجوليون » المكلفون بحراسة القطعان ملزمين بعرضها أمام الملك من وقت لآخر حتى يمكنه الوقوف على حالتها لأن هذه القطعان ثروته الوحيدة فهو يفوض أمر رعيها لرعاياه ويسمح لهم بأخذ ألبانها . أما الماشية فتظل ملكا له .

نشوب الحرب بين أوغندة و أوينيورو واحتلال فيتا حسان جزيرة تونجورو

وفي ٢٥ فبراير أتى من وادلاي رجال فيتا حسان . وكان أمين بك يحسب ان مدة اقامته في أوينيورو ستطول ولم يكن قد طرأ على فكر فيتا حسان نفسه ان الحرب بين أوغندة و أوينيورو قد صارت قاب قوسين أو أدنى وانه سيرى نفسه قريبا مضطرا أن ينسحب . ومع أن الفريقين كانا يتأهبان للحرب ويمدان عدتها كان كباريجما قد أمر بملازمة الصمت وأن لا يسوح أى انسان بشيء ما ولم يأذن لرجال فيتا حسان بالتقدم إلا عندما يتقن أن العاصفة قد مرت وهذا الجو .

وأرسل أمين بك ٥٠ نابا من أنياب الفيالة الى فيتا حسان وأرسل اليه أيضا خطابا يأمره فيه بأن يسلمها الى جونكر بالايصال اللازم إذ ربما دعتة الحالة لأن يستعملها للمبادلة اثناء الطريق . ولم يشأ جونكر أن يقبل منها شيئا وقال انه متى بلغ أوغندة يسهل عليه كل أمر بواسطة البشر

ماكاى Makay .

وفى ٢ مارس سافر جونكر الى أوغندة وكان قد أخذ اجازة دخوله فيها وكان يرافقه فى رحلته هذه ٣٠٠ حمال أرسلها اليه الملك والجندى سرور . وكان هذا مكلفا بحمل ثلاثة خطابات من أمين بك الى سمو الخديو .

وحاول جونكر أن يقنع فيتا حسان بأن يرحل معه وأجل سفره لحين أن يأتي إذن له من أمين بك بذلك فأبى فيتا حسان لأنه كان يرى ان واجبه يحتم عليه البقاء بجانب زئيسه . وقد أشار عليه حتى نفس كباريجا بالسفر قائلا له ان الأجل به أن يرجع الى بلد البيض لا أن يستمر مقيا في بلد الزنوج السود .

وفى ٧ مارس وقت الظهر حضر الترجمان « واندو » بقتة الى محل اقامة فيتا حسان ومعه ٣٢ حمالا وأبلغه أمر الملك وهو يقضى برحيله عاجلا لأن الواجاند Wagandas « وهؤلاء هم سكان أوغندة » على بعد نصف ساعة من المدينة ويلزمه أن يحمل معه من المتاع ما يقدر على حمله وما يبقى يرسل اليه فيما بعد .

وكانت الحالة فى الحقيقة حرجة ولما كان فيتا حسان يعرف طريقة الحرب فى هذا البلد أدرك ان وقته أمسى ثمينا ولا ينبغي أن يضيع لحظة منه . وكان أول شيء يعمله الأهالى عندما يهاجمون هو حرق مساكنهم ثم ينسحبون . وما ادار عرض اكتافه للمدينة حتى أخذ اللهب يشتعل فى جميع نواحيها وكان كلما تلفت بين آونة واخرى رأى ذلك المنظر

الهائل الشنيع . وناهيك بمدينة كبيرة مكونة من القش تنلظى كأنها بحر زاخر بالنيران .

ولما كان لا مفر له من الابتعاد عن ميدان القتال بقدر ما يستطيع من السرعة سار هزيمة من الليل وحط رحاله بالقرب من قرية . ورأى وقت السحر ان حماليه تركوه وان القرية أصبحت خالية خاوية وما ذلك إلا لأن الهلع كان قد استولى على أهلها فهاشوا على وجوههم هارين ومهمهم أمتعهم وظل فيتا حسان على ذلك الحال وبقي معه جندياه وترجمانه وقرر قليل من شرطة أونيوورو « الباناسورا » . وأوعز الترجمان الى فيتا حسان بالانتظار لأن الأهالي أعلنوا بمرورهم وسيرجعون لمساعدتهم . وفعلا قبيل الظهر أتى خمسة رجال فهد اليهم بزوجه السيدة وابنه موسى وترك متاعه في القرية . وكان من مصلحة فيتا حسان أن يبلغ كيبورو في أقرب وقت لأن أمينا بك عندما اتصلت به أخبار الحرب أعطى أمرا للباخرة « الخديو » بأن تنتظره ثمانية أيام أمام هذه الناحية . وبما أن نصف هذه المدة كان قد انقضى اسرع الخطى ووصل بعد يومين الى كيبورو فوجد فيها الباخرة . وشاهد مع الدهشة والارتياح ان المتاع الذي كان تركه في الطريق قد وصل أيضا .

وفي ١٣ مارس زایل فيتا حسان كيبورو وبينما هو في طريقه رأى على ضفة بحيرة البرت نيازرا الشمالية جزيرة يفصلها عن الشاطئ ممر ضيق وهيئتها تدل على انها حديثة التكوين . وبما أنها واقعة قرب مخرج النيل وحاكمة على مدخل البحيرة بدا لفيتا حسان انها نقطة حربية خطيرة جدا لاسيما ان أمينا بك كان شارعا في توسيع مديريته من جهة الجنوب . ونزل

بها فلم يجد فيها سوى صياد واحد يسكن كوخا حقيرا وعلم منه ان الجزيرة تسمى تونجورو Tonguru وهي تابعة للرئيس سونجا Songa من رعايا كباريجا . وأقام فيتا حسان في الجزيرة هو و الجاويش عبد الرجال الذي معه و الجندى عبد الجبار و شرطى كباريجا « الباناسورا » . وأرجع الباخرة الى أمين بك مزودة بجبر احتلال الجزيرة وطلب منه أن يمدّه بالتعليمات اللازمة قائلا له انه اذا كان موافقا على ما عمله يرسل اليه ثلثة من الجند لتقيم فيها بصفة حامية والا فليرسل اليه تعليمات بما يراه .

تحصين فيتا حسان جزيرة تونجورو وسفره الى وادلاي

وبعد انتظار ١١ يوما وصلت الباخرة نيازرا وعلى ظهرها تجريدة من ١٠ جنود و ١٠ تراجمة بقيادة الملازم الأول محمد مسعود افندى ومعهم صندوقان من الذخيرة ومؤونة شهر . وكان بالباخرة أيضا الرد من أمين بك بالموافقة على احتلال الجزيرة وبوضع الباخرة تحت تصرف فيتا حسان حتى يذهب الى كيبورو ويتسقط أخبار الحرب . وبمقتضى هذا الأمر سافر فيتا حسان اليها ثلاث مرات . ففى الدفعتين الأولىين وجدها خالية خاوية كما كان تركها لكنه فى الدفعة الثالثة وجدها مأهولة كما كانت قبل الحرب وعلم ان الواجندا « أى سكان أوغندا » بعد أن غزوا أونوروا انسحبوا غائمين ١٢٠٠٠ رأس من الأنعام وعددا من الرقيق إلا أنه فى وقت انسحابهم انقض عليهم كباريجا وقتل قائدهم وحملهم خسائر فادحة وأبدى فى ذلك من البسالة وعلو الهمة ما دعا رعاياه ان يلقبوه « اتشوا » Tshua أى الأسد .

وأبلغ فيتا حسان أمينا بك هذه الأخبار طالبا امداه بالأوامر وكان فى

أثناء ذلك مستمرا على اقامة المباني والتحصينات في الجزيرة . وبعد ثمانية أيام أتاه أمر منه بالقدوم الى وادلاى .

وقبل أن يبارح الجزيرة أحضر له الترجمان أمسيجى مكتوبا من جونكر صادرا من حدود أوغندة يقول فيه انه مر عليه ٣٠ يوما وهو مقيم هناك بدون أن يحصل على اذن من موانجما بالترخيص له بدخول مملكته . وانه لو لم يسعفه كباريجا الذى يقر له بالشكر لهلك جوعا .

وكان أيضا لدى أمسيجى خطاب بالمرية من كباريجا برسم أمين بك يحيطه فيه علما بما ناله من النصر الباهر مع ان عاقبة الحرب ما كانت مرضية ويطلب منه عدا ذلك ارسال ذخيرة لاسيما رصاصا . وكان لدى أمسيجى أمر بأن يزور في وادلاى الثلاثة الشبان « الوانيورو » Wanyoros الذين أرسلهم اليها فيتا حسان بناء على طلب كباريجا لكي يتعلموا اللغة العربية قراءة وكتابة .

وسلم فيتا حسان قيادة النقطة الى الضابط محمد مسعود افندى بعد أن أعطاه الارشادات اللازمة ثم سافر الى وادلاى ووصل اليها في الخمسة عشر يوما الأخيرة من شهر أبريل . وقابله أمين بك بالبشاشة والبشر وقدم له تهانيه مع الشكر على ما بذله من النشاط في مأموريته لدى كباريجا وعلى ما أبداه من اصالة الرأى باحتلال جزيرة « تونجورو » Tonguru ورأى ان هذه الفكرة تبشر بطالع سعيد لأنه بذلك كسب مركزا بين وادلاى وكييرو يمكن الحصول منه على استيراد الاحطاب للبواخر والعلم سريما بما تصادفه هذه من العوارض وهي في البصيرة

ومن جهة اخرى فان امتلاك مركز في قلب مملكة كباريجا له أهمية كبرى من وجهة الفنون الحريية لاذ أن احتلال هذا المركز يجعل في قبضة الحكومة منع الأونيورو عن النزوع الى الشر والمبادأة بالمدوان .

وأبدى أمين بك ان من اغراضه توجيه فيتا حسان الى أوغندة وارسال موظف آخر الى أونيوورو حتى يتيسر سرعة ارسال جميع مستخدمي المديرية المصريين بالتدرج نحو الساحل . أما الزوج الذين ليس لديهم قط ميل للذهاب الى مصر فيمكن تركهم في خط الاستواء مسقط رؤوسهم . وأمر فيتا حسان بالتوجه لمقابلة سكرتيره راغب افندى وأن يكتب بالاتفاق معه كشفا بكل ما يمكن ان يحتاج اليه في رحلته الى أوغندة وان يرجع الى جزيرة تونجورو لينتظر فيها الحصول على اذن الدخول في البلد المذكور .

وذهب فيتا حسان عند راغب افندى حسب أمر امين بك وحرر معه كشفا بالاشياء التي تلزم لسفره . وبما ان الصنف المتوافر كثيرا بالمخازن هو العاج فقد أخذ منه ١٥٠ قطعة وهذه في استطاعته ان يحولها الى انواع منوعة من البضائع في اوغندة كما هو الحال في اونيوورو وأقلع ثمانية ميمما جزيرة تونجورو ليرتقب فيها ورود الاذن بالذهاب الى اوغندة .

الحوادث التي وقعت في المديرية أثناء غياب فيتا حسان. عنها

أما الحوادث التي وقعت في المديرية وقت غياب فيتا حسان فما هي :

وردت الأخبار لأمين بك في وادلاي في شهر يناير منبثة بأن
جموعا هائلة من الزنوج محتشدة خلف جبل لادو بقصد الهجوم على عطى لادو
و الرجاف .

وفي ١٤ فبراير أحضر رجال من قبل كباريجا خطابات لأمين
بك من فيتا حسان و جونسكر شرحا له فيها ما وقع لها من الحوادث
لنفاية الوقت الذي قابلها فيه حمودة الزنباري الذي أحضر لها خطابين من محمد
برى وذلك قبل ان يريا هذا الأخير .

وفي ١٨ منه أرسل اليها امين بك ردا على بخطاباتها كما بعث لها
بجاويش منع رجال كباريجا ليحضر له ما عسى ان يكون جلبه لها برى
من الأخبار . وكتب ايضا كتابا وديا لكباريجا يرجوه فيه أن لا يحجز
الجاويش وكذلك كتب مكتوبا خاصا الى جونسكر في البريد عينه يقول فيه ان
الباخرة التي أقلعت برسل كباريجا و الجاويش ستظل خمسة ايام ابتغاء ركوبه .
هذا فيما اذا أراد القدوم .

وفي ٢٦ منه رجع الجاويش يحمل بريدا ضخما من ضمنه مكتوب من نوبار
باشا هذا نصه :

القاهرة في ١٣ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ (٢٧ مايو ١٨٨٥ م) .

الى امين باشا قائد جنود خط الاستواء في غندوكورو .

ان حركة الثورة التي شبت في السودان اضطرت حكومة صاحب
السمو الى اخلاء تلك الأراضي . وبناء على ذلك لا نستطيع ان نبعث لكم
بأى امداد . ومن جهة اخرى نحن لا نعرف بالتدقيق موقفكم انتم
والجنود الآن . بل وليست متوافرة لدينا الوسائل لامدادكم بما يلزم
من الارشادات بصدد الخطة الواجب اتباعها . وعلاوة على هذا وذاك اذا
طلبنا منكم ارسال تقرير مفصل عن الموقف لنبنى عليه ما نرودكم به من
التعليقات فان ذلك يستغرق زمنا طويلا وقد يكون ضياع هذا الوقت في غير
مصلحتكم .

والفرض من هذا الجواب الذي سوف يصل اليكم عن طريق زنبار
بواسطة السير جون كيرك قنصل بريطانيا في هذا البلد الأخير
هو منحكم الحرية التامة في العمل . فاذا رأيتم ان الأضمن لكم ولجنودكم
الانسحاب والرجوع الى مصر فالسير جون كيرك وسلطان زنبار يكتبان
لمختلفى رؤساء قبائل الزنوج الضارين في الطريق ويندلان ما في وسعها لكي
يسهل لكم الانسحاب .

ومرخص لكم الحصول على ما يلزمكم من العملة وذلك بواسطة
سحب سفاتج على السير جون كيرك . واكرر لكم القول وأعيده بأن
لكم مطلق التصرف بما يناسب مصلحتكم ومصلحة الجنود . هذا وفي وسعنا
أن نفيدكم ان الطريق الوحيد الممكن عبوره فيما اذا لو أردتم مبارحة

غندوكورو هي طريق زنبار . ورجاؤنا هو انه عندما تستقرون على رأى أن
تشمرونا فى الحال بما تقرررونه .

وسيكتب لكم ايضا السير جون كيرك ليحيطكم بالوسائل التى سيحاول
اتخاذها ليسهل لكم الانسحاب عن طريق زنبار .

رئيس مجلس النظر

« نوبار »

* * *

ولم يرق فى عين أمين باشا هذا الخطاب الذى لم يرد فيه حتى كلمة واحدة
تشف عن الاعتراف له بالجميل عن خدمة الثلاث السنوات التى قضاهما فى
العزلة يكافح المهديين و الزوج ويقاسى ألم الجوع ويميش معيشة الزهاد
بل ليس فيه كلمة تشجيع تبت فى روعه الجسارة والاقدام فى مستقبل الأيام
للقيام بالمهمة الكبرى التى أمامه ألا وهى مهمة ارجاع جنوده . إلا أنه قال
فى نفسه انه قد اعتاد أن يعامل بمثل هذه المعاملة لأنه من عام ١٨٧٨ الى عام
١٨٨٠ م أى مدة الاثنتين والعشرين شهرا التى ظل النيل فيها مسدودا وظلت
مديريته فى عزلة برهن ان فى استطاعته ان يجعل المديرية تعتمد فى احتياجاتها
على نفسها دون التجاء الى الخراطوم ولم تقدر الحكومة عمله هذا
حق قدره .

ومع ذلك قال أيضا ان الناس فى مصر بل فى غيرها لا يقدررون المتاعب
والمصائب التى يصطدم بها غيرهم ويتصورون الذهاب الى زنبار تصورهم نزهة

يقومون بها في حى شبرا .

وكان من الواضح الجلى انه لا يمكنه الاعتماد على أحد من ضباطه
لإذ أن الأغلبية فيهم لا تميل قط الى الهجرة من البلد لعدة أسباب منها ان
لكل واحد منهم أسرة وخداما يتكون منها حاشية كثيرة العدد وكل واحد
منهم يمتلك قطيعا من الماعز والابقار . وكان يعرف الجميع ان الطريق
ممتد كثيرا وان في سلوكه تعباً ونصباً وان أيام جوع ترتقبهم في
ذلك الطريق .

أما الجنود فمعظمهم من أهالى البلد ولم يروا بأعينهم قط ديار مصر
فكانوا يؤثرون بالطبع البقاء في بلادهم ليعيشوا فيه . وأما الضباط أو الجنود
الزواج الذين قدموا أصلا من مصر أو من مكان آخر فقد تعودوا مناخ البلد
وألغوه في السنين الطويلة التى قضوها في خط الاستواء لدرجة ان صاروا يعزونه
معزة مسقط رؤوسهم .

وكان أمين باشا قد لفت مرارا فيما سلف من الأيام نظر حكومة
الخرطوم الى هذا المحذور وبين لها ضرورة تغيير الضباط و الجنود ولو
باستبدال عدد منهم كل عامين لكيلا تعترض حركات الجنود عوائق وعراقيل
عديدة عند قيامهم بعمل من الأعمال الحربية ولكنها أعارت طلباته اذنا صماء
ولم تجبه بكلمة . وكان أمين باشا قد كتب الى نوبار باشا من مدة انه
سيندل ما فى وسعه ولكنه لم يتوسع ويخض فى هذه المسألة بالتفصيل خوفا
من ان تفتح خطابه فى اونيورو أو اوغندة أو غيرها .

وفى ه مارس طلب أمين باشا من جونكر أن يتكرم بتعجيل سفره

الى أوغندة ويتفق مع ملكها موانجا على أن يسمح لرجاله بالمرور عندما يصلون الى حدود بلده فلقد كان بلغه ان المهديين في « أجاك » وصار في غير حيز الاستطاعة الانتظار . فان كان موانجا يمنح لأن يتقبلهم قبولا حسنا يكن ذلك منه منة وكرما وإلا فهو يبحث عن طريق آخر . ومن جهة ثانية فانه لم يعد من المحتمل الحصول على عاج من لادو لأنه لما كان رجالها يصعب عليهم تصديق ورود أمر من نوبار باشا أمسى أمر قدومهم بعيد الاحتمال وان أحسن خدمة يمكنه أن يقدمها لهم هو أن يمطف الملك عليهم حتى يمكنه أن يرسل إليهم رجالا . وانه اذا كان كباريجا قد هاجر عاصمة مملكته على أثر الحرب فانه يعتمد على الرحيل اليها والاقامة فيها ويتربص مجيء رجال موانجا .

وفي ٥ أبريل أعرب أمين باشا عن رأيه في الحرب بين أونيورو و أوغندة فقال انها اتخذت دورا اكثر اهمية مما كان يظن وان كباريجا خير جوناكر بين أمرين إما الانسحاب معه أو السفر الى أوغندة فاختار هذا الأمر الأخير وسافر في ٢ مارس الى هذا البلد ومن رأى أمين باشا انه يكون الآن قد وصل الى روابجا عاصمة اوغندة .

أما وكيله فيتا حسان فقد علم انه انسحب الى البحيرة ولبث ينتظر انسحاب الواجندا « سكان اوغندة » لينضم الى كباريجا وعلى ذلك أرسل اليه باخرة لتوصله الى كيبورو . وكان أمين باشا يود من صميم قلبه ان يحل بالواجندا كارثة تكون فيها عبرة وموعظة لهم حتى يخفصوا جناحهم لانه كان يبدو ان موانجا ركب هواه واستوى في ذلك هو والده متيسا .

أما الحالة لدى امين باشا فكانت مهمة غامضة والأغلبية من رجاله غير ميالين للسفر وكان يرتقب قبيل منتصف الشهر وصول جواب حاتم من لادو . وكان يقول انه لو تسر سفر المصريين فقط يتخذ العدة للبقاء في خط الاستواء .

وفي ٢٠ أبريل وصلت الباخرة من الجهات الشمالية وورد معها اخبار غير سارة . ولم يرد اى خبر من الضباط الذين أرسلهم امين باشا الى لادو تستفاد منه الحالة التى عليها الآراء فى هذه الناحية غير انه ورد خطاب خاص من اجد الموظفين المصريين ومن ضمن ما جاء به انه حدث هياج شديد على اثر اذاعة اشاعة فـواها ان عدة ضباط أخذوا طريقهم الى وادلاى لسرعة ترحيل الجنود صوب الجنوب وذلك لأن هؤلاء كانوا اتفقوا ان لا يسافروا فى هذا الاتجاه لأنهم يعتبرون ان الطريق الموصلة الى حكومتهم لا تتجه نحو الجنوب بل عن طريق لادو و الخرطوم وانهم يؤثرون الذهاب الى محال اقامتهم على الرحيل الى الجنوب .

وقدم رجال من قبل كباريجا وقالوا ان الهزيمة حلت بالواجندا فانسحبوا وان كباريجا يشتكى مر الشكوى من الزنباريين المقيمين بأوغندا لأنهم أتوا مع الواجندا ونهبوا بلده .

تمين كازاتى وكيلا عن الحكومة فى أونيوورو
بدلا من فيتا حسان

وقرر أمين باشا ارسال كازاتى الى كباريجا بصفة وكيل بعد زمن

قريب . أما السبب في تمييز اشخاص الوكلاء فيرجع الى أن فيتا حسان عند سفره من عاصمة أو نيورو خرق المتبع ودخل دار الملك عنوة فنشأ عن ذلك حدوث مشهد مكروه . فاشتكى كباريجما لأمين باشا وقص عليه الحادث وصرح له بأنه لن يقبل بهـد فيتا حسان بحال من الأحوال بصفة وكيل وطلب منه أن يبعث بوكيل آخر . ولهذا السبب وقع اختيار أمين باشا على كازاتى وكانت أخبار جونكر قد انقطعت عن أمين باشا ويجوز أن تكون الحرب هى السبب في ذلك . على انه كان يأمل أن يصل اليه بهـد زمن قريب رسل من قبل كباريجما يحملون له أخبارا عنه .

وكان مرض الجدري قد انتشر في وادلاى منذ ثلاثة أشهر ومع ان وطأته لم تكن فتاكة إلا ان الذين كانوا يصابون به كثيرون .

وكان يوجد في فاتيكو في بلوك من الأورطة الثانية التى كانت مرابطة فيها ٦٢ من الخطرية الدناقلة وهؤلاء لا يمكن أن يتفوقوا هم والمساكر السودانيون . وقد أضرمت أولئك الدناقلة نار فتنة فرأى أمين باشا أن الفرصة سانحة لأن يفصل ذينك الجنسين الواحد عن الآخر بأن يرسل الخطرية الى جزيرة تونجورو .

وبعد وصول فيتا حسان الى الجزيرة بوقت قليل قدم اليها ابراهيم افندى غطاس ومعه ٤٢ خطريا و ١١ ترجمانا ومعهم خطاب من أمين باشا يأمر فيه فيتا حسان بإرجاع العشرة الجنود النظاميين السودانيين وضابطهم الذين لديه ويؤلف الحامية من التراجمة العشرة الذين بها من قبل ومن الأحد عشر الذين قدموا حديثا والاثنين والاربعين خطريا بحيث يكون المجموع ٦٣ . أما

العشرون خطريا الباقون فكانوا صناعا بين نجار وخياط وصانع أحذية وحائك وغير ذلك ولذا حجزهم حواش افندى في دوفيليه .

سفر كازاتى لتسلم منصبه في أونيوورو

وفي ١٦ مايو سافر كازاتى من وادلای ليشغل مركزه وهو وكيل الحكومة المصرية في أونيوورو عند كباريجا ليسهل مرور البريد الذى سيرسل عن طريق أوغندة و زنبار أو البريد الذى يأتى عن طريقهما لأن الحرب بين أونيوورو و أوغندة كانت قد وضعت أوزارها .

وعلم فيتا حسان ان كازاتى سافر رأسا الى كيبورو بدون أن يأتى ليزوره فاستبج هذا الأمر ظنا منه انه يقصد الرجوع الى أوربا متخذا الطريق الذى سلكه جونكر مثلما أشار عليه أمين باشا مرارا غير أنه تلقى خطابا علم منه الحقيقة وانحسم بذلك الاشكال .

نتى بعض موظفى لادو الى تونجورو وما نجم عن ذلك

ونتى أمين باشا الى جزيرة تونجورو موظفين اشتهرا بالعريضة والطيش من وادلای وهما عبد الوهاب افندى طلعت و احمد افندى رائف . ولاحظ فيتا حسان عند رجوعه الى الجزيرة ان الاول التزم شيئا من الرزاة أما الثانى فلم يراع جانب الهدوء والسكينة إذ كانت الافكار تساوره بأن أمينا باشا ما أتى به الى هناك إلا لاعدامه وحدث بينه وبين فيتا حسان عدة اشكالات لا تسر فأخذ هذا يهدى روعه ويطمئنه ويفهمه خطأه وشططه في أفكاره . وبعد ان اقتنع شرع يدس الدسائس ويبذر بذور الفتن لدرجة ان فيتا حسان التمس من أمين باشا أن يخلصه

من هذين الرجلين فأجابه هذا بالتزام جانب الصبر . ولم يمض بعد ذلك إلا أيام حتى كلفه بالذهاب الى فاتيكو وعمل تفتيش فيها على الجنود . وما أن وصل اليها حتى أتاه مكاتبة من أمين باشا بان جنودا قدموا من تونجورو الى وادلاي ليثوا شكواهم من جور عبد الوهاب افندى طلعت وتسفه . وكان هذا قد أحله فيتا حسان محله مدة غيابه إذ أنه لم يكن ليجد أمامه من يفضله عليه . وقفل فيتا حسان راجعا في الحال الى تونجورو فوجد ان الحماية اشتبكت مع الاهالي في المخاصمات وان الزاد فرغ من الجزيرة .

ويؤخذ من تقرير ابراهيم افندى غطاس قائد الخطرية ان عدد الأهالي الذين شرعوا في الهجوم على النقطة يقدر بمدة الوف وعلى ذلك اتصل فيتا حسان برؤساء الناحية وسوى الخلاف وهذا الاحوال ولم تكن قد بلغت من الخطر المقدار الذي غالوا كثيرا في تقديره .

تفقد امين باشا نقطة تونجورو
واشاعة تمرد الاورطة الأولى

وقدم امين باشا بعد ذلك بايام ليتفقد النقطة فاعجب بها اعجابا لا مزيد عليه وفي غضون اليومين اللذين اقامها حضر اليه الرئيس سونجا Songa ودارت بينها محادثة وانحفه امين باشا بشيء من الهدايا . وبعد هذا انتقل امين باشا الى كيبيرو على ظهر الباخرة « الجديو » حيث أخذ يرتقب على غير جدوى ورود أخبار من كباريجا و كازاتي لغاية ٨ يونيه . وفي اثناء اقامته في كيبيرو توفي على افندى ربان الباخرة على أثر مرض طالة مدته . واقلع أمين باشا من هذه الناحية في ٩ منه وعند إيايه

أخذ معه فيتا حسان الى وادلاى .

وفي خلال هذه المدة أذيمت اشاعات متضاربة كل التضارب عن الأورطة الأولى . فزعموا انها تمردت وان تمردها بلغ أشده وان المديرية بقضها وقضيضها صارت من جراء ذلك في خطر ولقت أمين باشا فيتا حسان الى ضرورة الوقوف على حقيقة الأحوال فقدم هذا نفسه للذهاب اليها شخصيا ليتأكد صحة ما أذيع من الاشاعات . وبينما هو آخذ في التأهب للسفر إذ وردت على حين فجأة الأخبار بوفاة البكباشى ريجان افندى ابراهيم قومندان الأورطة المذكورة في ١٤ مايو بعد مرض مدته قصيرة وان اليوزباشى على افندى سيد احمد تسلم موقتا قيادة الأورطة . وبما ان سفر فيتا حسان أصبح لا فائدة منه في الحالة الراهنة فقد رجع الى تونجورو .

ووصل الى أمين باشا في نفس هذا البريد ، أى الذى حمل خبر وفاة ريجان افندى ابراهيم ، الرد على اقتراحه بمحشد الجيوش في خط دوفيايه و وادلاى تمهيدا للرجوع بالتدريب الى مصر . وهذا الرد موقع عليه من جميع ضباط الأورطة الأولى ويحتوى كما كان ذلك منتظرا جوابا سليا . فهو يؤكد رغبتهم التامة فى الخضوع لأمر الحكومة غير أنهم يذكرون انه لما كانت أغلبية الجنود من أهالى مديرية خط الاستواء فهم يتعلقون بأذيال الهرب اذا أمروا بالسير صوب الجنوب عوضا عن الشمال وعلى ذلك فانه يخشى أن ينقض الباريون على الجنود المنسحبة وفوق هذا وذاك قد بدأ فصل الأمطار . وفي الختام يطلبون من أمين باشا ان يكتب الى القاهرة لترسل الحكومة بأية وسيلة من الوسائل

فرقة من الجند بصفة امداد ويطلبون كذلك ذخيرة وحبوبا لأن مستودعاتهم أصبحت خالية خاوية .

وقال أمين باشا ان كل شرح وتفسير لهذا القرار الأحمق لا فائدة منه . وكان يتعذر عليه أن ينقل من دوفيليه من الجبوب ما يكفى ٧٠٠ رجل عدا النساء والأولاد لمدة سنة لاسيما أن البارين لم يزرعوا شيئا . غير انه كان يعتبر كل ذلك من باب التحايل . وكان يعلم حق العلم ان حزبا تألف في لادو من مصريين و سودانيين وقرر الذهاب الى الخرطوم مها كلفه ذلك ومها كانت العاقبة وسواء عنده أكانت مدينة الخرطوم في قبضة المهديين أم الحكومة . وكان هذا المشروع قد نضج ولم يبق إلا تنفيذه وعندما ورد أمر نوبار باشا استعيض عنه بالقيام بحملة الى مكراكا لاقامة محطات فيها .

وفي ١٧ يونيه وصلت الباخرة « نيازرا » الى دوفيليه وعلى ظهرها بريد لادو . ولدى الاطلاع على كشف موجودات تركة ريحان افندى وجد به ٢١ بندقيّة من بينها ست من نوع رمنجتون على ان الأمر الصادر للمذكور من أمين باشا يقضى بان جميع البنادق المشخنة التي من هذا النوع تعتبر قطعا ملكا للحكومة وتسلم في المستودعات لتوزع على الجنود . وردا على هذا الأمر أكد المرحوم ريحان افندى رسميا أنه لا يوجد عند أحد سلاح من هذا النوع . أما عدد أسرته وحاشيته فتبلغ ٩٥ نسمة وكان أمين باشا يتساءل كيف يستطيع « أي أمين باشا » اطعام كل هذا العدد ، ولم يكن ريحان افندى وحده واقعا في هذه الحالة بل جميع الموظفين والضباط الآخرين ، وكيف يرغبون والحالة هذه في ترك هذا البلد والرجوع

الى ديار مصر .

وورد لأمين باشا أيضا في خطاب خاص ان فرقة مؤلفة من ٢٥٠ جنديا بقيادة ٣ يوزباشية احدهم مصرى والاثنتان الآخرا سودانيان سافرت من سيدن الى مكراكا بدون أن تطلب منه إذنا بذلك وبدون ان تبلغه حتى خبر سفرها وكان الغرض من ذلك القيام بإنشاء محطات . هذا اذا لازم الزوج جانب السكينة وبعد اتمام ذلك يلحق بهم رفاقهم الذين بقوا على شاطئ النهر . أما اذا رأوا من الزوج مقاومة فيغزونها ويرجمون بما غنموه من الحبوب الى لادو . ويدل هذا العمل على ان النظام آخذ في التلاشى في المديرية وأن التفكك يدب في ادارتها . ويعزو أمين باشا هذه الأحوال الى دسائس احمد افندى محمود و عوض افندى ويقول انها يحضان على التمرد والعصيان . وقد يجوز أن يكون أمين باشا على حق فيما قاله غير ان السبب الرئيسى فى بث القوضى فى ادارته لا بسد من عزوه الى ضعفه وتجرده من الشجاعة واشتغاله بالمعلوم أكثر من اشتغاله بادارة مديريته مما دعاه الى ترك حبل الأمور على غاربها .

وفى ٢٧ يونيه وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وعليها بريد لادو . وورد فى هذا بلاغ هو ان الفرقة التى أرسلت الى مكراكا لم يكن لها مقصد آخر سوى القيام بنزوة فى قرية الشيخ كومبو Kombo للحصول على حبوب .

وكان أمين باشا قد أمر باستحضار ثلاثة ضباط من لادو الى وادلاى ليربهم رأى العين الصورة الأصلية للأوامر التى وردت من مصر

وقصده من ذلك ارجاعهم الى الصواب اذا كان ذلك في حيز الامكان .
فكان جوابه ان الضباط المطلوبين غائبون مع انه علم علم اليقين ان احدهم
في لادو والآخر في الرجاف .

وتلقى أمين باشا عدا ذلك خطابين أحدهما من علي افندى سيد احمد
والثاني من عوض افندى . واعتذر الأول وكان لم يكتب اليه من مدة
أربعة أشهر بالحجر الذي كان مضروبا عليه في زمن ريجان افندى
ويقول ان الذي يراه هو ان الضباط غير مكترئين بشيء ولا مستعدين
للانطلاق. صوب الجنوب وانه اذا حتم أمين باشا ذلك ينتقض النظام
ويختفى كلية في أقل من لمح البصر . وبناء عليه يكون من الصواب
امدادهم بالزاد والذخيرة حتى يهيء لهم الطريق لطاعته . واستخلص
أمين باشا من هذه القصة ان علي افندى أضاع كل ماله من تقوذ وأمسى
لعبة في يد ضباطه . وعلى هذا ينبغي اعتبار كل شيء يتعلق بالنظام خارجا عن
الموضوع .

أما جواب عوض افندى فكان أكثر صراحة وايضا . ولقد
كان هذا الرجل من أول الأمر من أكبر محركي الفتن والعاملين
ضد الانسحاب صوب الجنوب . وقال الأفندى المذكور في خطابه الى أمين
باشا انه وقما استدعى ريجان افندى الضباط ليتداول معهم في مسألة الذهاب
في اتجاه بحيرة البرت نيازنا عزا الى أمين باشا نهارا جهارا أمام المجتمعين
ترك الجنود يقتتلون مع المهديين والسفر الى وادلاي وانه قصر بالاتفاق
مع الباريين خلال الحرب في تموين الجنود بما فيه الكفاية وذلك في
الوقت الذي يحصر فيه كل التفاته الى الأورطة الثانية ويوجه اليها كل

ما أوتى من خيز لأن قائدها مصرى هو حواش افندى . ثم طفق
يتنصح أميناً باشا بالقدوم الى لادو وان يعامل الناس بالعدل
والانصاف وأن يرسل زادا وذخيرة وان يبذل بالاختصار جهده
فى اطعام الجنود لأنه بدون ذلك يجوز أن يأتى يوم يأخذون فيه
أسلحتهم ويذهبون الى حال سييلهم تاركين ضباطهم والموظفين فى
قبضة الزوج .

ثم أردف عوض افندى الى كلامه السابق ان الكل فى لادو
يعلمون من مصدر وثيق انه فى خلال تمرد الباريين صعدت ثلاث
بواخر النيل لغاية شمى تحمل لهم امدادا . غير انها لما علمت فى
هذه الناحية أن بور و لادو و المحطات الأخرى دمرها الزوج قفلت
راجعة الى الخرطوم وأن جميع الضباط من لادو الى فاتيكو من جهة
اخرى اتفقوا من زمن بعيد على السفر الى الخرطوم وانه لا ينبغي
لأمين باشا بناء على ذلك أن يعتمد على الأورطة الثانية ولا على
قدوم الضباط الثلاثة الذين كان قد أرسل فى طلبهم إذ أن هؤلاء
لن يأتوا .

وقد أثبت أمين باشا ان اتهامهم اياه بتركهم والذهاب فى اتجاه الجنوب
ما هو إلا زور وبهتان لأنه لم يأت ذلك إلا بناء على طلبهم وان لديه
مستندا بذلك مكتوبا وموقعا عليه من جميع الضباط وان هذا المستند تحت يده .
أما مسألة البواخر الثلاث فهى دليل قاطع على انحطاط طبقة الناس الذين يشتغل
معهم .

وفى ٢ يوليه تلقى أمين باشا بواسطة كباريجا و كازانى بريد أوغندة

وبه خطابات من جونكر و ماكاي تتضمن نبأ سفر: الأول الى الساحل بعد زمن قريب . وردا على ذلك كتب أمين باشا الى جونكر عن ارتياحه لهذا الخبر وقال له انه طرح من باله موقفا فكرة الانسحاب لجهة الجنوب حتى لا يعرض رجاله للتعيب والخطر بدون جدوى . وانه سيحاول على قدر الامكان اخلاء المحطات الشمالية ويحشد الجنود في دوفيليه و فاتيكو و فاديك و وادلاى وغيرها وانه سيلغ ذلك للحكومة في القاهرة وانه يرجو جونكر عندما يصل الى الديار المصرية ان يطلب من أولى الحبل والمقد نيابة عنه ارسال نداء مكتوب باللغة العربية موقفا عليه من الخديو اذا كان ذلك في حيز الامكان للمسكرين والملكيين في المديرية بأن يتبعوه ويطيعوا أوامره كما كان الحال فيما مضى . وينبى ان يكون هذا النداء به بعض كلمات مشجعة للجنود وان يطلب ايضا باسمه التصديق على الترقيات التي منحها .

لارسال فيتا حسان الى لادو لتلاوة خطاب نوبار باشا على الأورطة الأولى

وفي ٩ يولييه تناول فيتا حسان خطابا في تونجورو من امين باشا يأمره فيه أن يركب الباخرة « الخديو » عند ايابه من كيبورو ويأتى الى وادلاى . وصدع فيتا حسان بالامر وأحضر معه رئيسا من رؤساء الزوج يقال له كيسا Kissa لكي يقدمه الى امين باشا لأن هذا الرئيس يطلب ان تحتل حامية مصرية قريته .

وعندما وصل فيتا حسان الى وادلاى أحاطه امين باشا علما بأنه عين اليوزباشى احمد افندى حمد محل المرحوم ريجان افندى ليكون قائدا

للأورطة الأولى وانه لهذا السبب رقيه الى رتبة بكباشى وانه يرغب أن يرافقه فيتا حسان الى لادو لكي يقلده وظيفته الجديدة وليتلو على الأخص أمام الأورطة الأولى مكتوب نوبار باشا الأخير الذى وصل بواسطة « ماكاي » و كزاتى . وهذا الكتاب المسطور بالعربية جاء مصدقا لما سبق من القرارات وماحما أميننا باشا حق التصرف المطلق ويشير عليه بالانسحاب هو وكل من كان بميمته عن طريق زنبار لأنها الطريق الوحيد الممكن عبوره . ولم يخف عنه أمين باشا انه لم يجد شخصا يستطيع أن يعهد اليه بهذه الأمورية غيره .

وقبل فيتا حسان هذه الأمورية وسافر مع البكبباشى الجديد . وقوبلا عند وصولهما الى كرى وهي أول نقطة من نقط الأورطة الأولى بنجاية الحفاوة والاعزاز وتأدية التشريرات العسكرية فدهش فيتا حسان كل الدهشة بعد كل الذى ذاع وشاع عن هذه الأورطة وقدمت لهما السفن ليسافرا عليها مباشرة الى لادو وبدون أن يقفا اكثر من بضع ساعات فى نقطى الرجاف و بيدن . وأبدت الحاميات فى هاتين النقطتين ما أبدته كرى من الدقة فى النظام .

وفى وقت وصولهما الى لادو جمع قومندان هذه النقطة فى الحال رجال الحامية وقدمهم لرئيسهم الجديد احمد افندى حمد . وفى اليوم التالى تلا فيتا حسان أمام الجنود أمر نوبار باشا الذى يشير بالانسحاب عن طريق زنبار فصرح الجميع من ضباط و جنود أنهم موافقون ومستعدون للسير صوب الجنوب . وقدم له عندئذ بعض الضباط باسم رفاقهم التصريح الآتى :-

« نحن نعلم اننا معدودون في صف المتمردين ، وهذا خطأ . لأننا كما ترون أنتم أنفسكم ندين لمديرتنا بالاحترام والطاعة غير انه يبدو لنا انه هجرنا ونسينا بينما هو يوجه التفاتة للأورطة الثانية . فن البرهة التي تركنا فيها لينتقل الى وادلاى لم تقع أعيننا عليه قط . ولماذا . ألسنا جنوده أو لم يعد بعد هو مديرتنا وولى الأمر فينا . وما الذى رآه منا حتى استطاع أن يرمينا بالتمرد . نحن مستعدون للسفر الى الجنوب على شرط أن يرافقنا في سفرنا اخواننا الذين في مكرাকা إذ أننا لا يمكننا أن نتركهم » .

وفي اللحظة التي أرادوا أن يتخذوا فيها سيلهم الى الرجاف أراد على افندى سيد احمد مرافقتهم لكن الجنود منعه عن ذلك لظنهم أنهم يريدون أخذ رئيسهم منهم وتركهم كالغنم بلا راع . وبدأت المسألة بعد ذلك بشكل مختلف اختلافا كبيرا . نعم ان الجنود ما كانت تتحدث جهارا بالقيام بشورة إلا ان الحذر وسوء الظن كان قد تغلغل في اعماق نفوسهم وأمسى من التعتذر اجثائه . واذا لم يكن هناك شيء يخشى حدوثه منهم فانه يتعذر التعويل عليهم لأنه لا ينتظر منهم اطاعة أى أمر خوفا من العدر والحيانة .

وانتقل فينا حسان الى الرجاف ليقف على حالة أفكار الحامية وتلا للجنود مكتوب نوبار باشا وسألهم عما اذا كانوا يريدون الذهاب الى الجنوب . وبما أن الضباط والجنود السودانيين لا يعرفون القراءة فقد استشاروا ضابطا وكاتبنا مصريين . وبدا من كليهما محاولة تشكيك الحامية في صحة المكتوب فاعتقدت هذه ان فى الأمر سرا وهذا المكتوب ما هو الا حيلة يراد بها جرها الى الجنوب وربما كان الغرض بيعها لكباريجا بصفة رقيق .

وقال يوما دساس لفيثا حسان ان الجنود ينوون حجزه في الرجاف . ولما عرض هذا القول على الضباط أجابوا .

« لماذا نبغى حجزك . أيقينا تصدقون اننا متمرذون عصاة . ربما كانت هذه المخاوف هي الممانعة لأمين باشا من المجيء الينا ووجوده بيننا . أدعه للقدوم الى هنا وأكد له انه سيقابل بالتجلة والاحترام التام . نحن نرغب السفر الى الجنوب حسب مشيئته بدون ابداء أية مقاومة أو معارضة ولم يكن هنالك من حاجة لتبليغ أمر من الحكومة كهذا لأن رأينا هو ان حكومتنا في وادلاى . أما حكومة القاهرة فهذه لم نرها ولم نلقن معرفتها نخديوننا وأبونا هو أمين باشا فهو الذى جعل منا جنودا وأعطانا رتبا وهو وحده الذى نعرفه . ويكدرنا أمران . الأول اتهامنا بالتمرد والعصيان ولا أدل على هذه التهمة من الجواب الذى يهدد بالاعدام رميا بالرصاص جميع العصاة . والثانى شدة وقساوة حواش افندى الذى يخافه ويخشاه حتى اخوانه البيض . فيجب على امين باشا ان يقبل حواش افندى من وظيفته وان يعدنا بان لا نصاب بمكروه . واذا كان امين باشا يبقى على حواش افندى لاهتمامه باحتياجاته واحتياجات جميع المستخدمين فنحن مستعدون ان نعهد بان نأخذ هذا العبء على كاهلنا . نحن نريد ان نطرح سيوفنا جانبا ونحمل القاس والمعول لنشتغل بالفلاحة بحيث ان أميننا باشا يستطيع ان يعيش ناعم البال سعيدا بصفته ولى أمرنا .

وأشار فيثا حسان على أمين باشا بنقل حواش افندى لأنه سواء أكان ذلك بحق أم بغير حق . فانه غرس الرعب فى قلوب عساكر الأورطة الأولى .

وان يكون هذا النقل مؤقتا وذلك ابتغاء مرضاة الجنود ورجوعهم الى الطاعة وعلى كل حال قفى قدرته ارجاعه فيما بعد الى مركزه . ولكن مع الأسف لم يشأ أمين باشا أن يعمل بهذه المشورة .

وسافر فيتا حسان صوب الجنوب بعد أن أقام ستة أسابيع بين أولئك الجنود . والخلاصة انه عندما يستمع المرء أقوال عساكر الأورطة الأولى يحكم بجنوحهم للطاعة التامة وولائهم لأمين باشا ولكن عندما يدور الحديث عن السفر نحو الجنوب تتيقظ فيهم في الحال عوامل الحذر وسوء الظن ويحاولون اخفاء تمنهم وراء الف حجة وحجة .

ويعتقد فيتا حسان انه كان في اليد تبديد تحرزهم وسوء ظنهم بازالة أحد الشبهين اللذين يزعمانهم ليرجعوا لتأدية واجباتهم .

وكتب الى كازاتى أن يبحث من ناحيته عن وسيلة يفتح بها أمين باشا بضرورة ابعاد حواش افندى . وكان كازاتى على رأى فيتا حسان تماما فكتب هذا الى أمين باشا بهذا المعنى ولكن نداه ذهب صرخة في واد ولم يره أمين باشا أذنا مصغية .

وقد وفق فيتا حسان الى ابعاد الموظفين المصريين عن الأورطة الأولى وكان هؤلاء يزيدون في الاخلال بالأمن بواسطة الدس وبذر بذور الفتن وبخبتهم غير ان أمين باشا عوضا عن ان يحاكمهم ويوقع عليهم عقوبات رقاها الى مناصب أسمى من المناصب التي كانوا فيها .

وبعد أن أقام فيتا يومين في وادلاى سافر الى جزيرة تونجورو

حيث وصل اليه من كازاني بلاغ نشر في الجرائد فخواه ان الحكومة الألمانية أرسلت الطبيب لانز Lanz للبحث عن أمين باشا ولكنه لم يوفق الى العثور عليه . وانه يقال ان حملة انجاد اخرى ألفت في بلاد الانكليز برياسة استانلي . وعلاوة على ما ذكر فان الطبيب بيتر Peter المرسل أيضا من الحكومة الألمانية مقيم الآن في أفريقية ووجهة سيره مديرية خط الاستواء .

وما اتصل هذا النبأ بأمين باشا حتى أمر باعادة احتلال فناديك الواقعة شمال شرق أونيوورو والتي كانت أخليت قبلا وذلك لاستقاء خبر وصول الملتين بأقرب ما يمكن من الزمن . وعهد الى الصاغ ابراهيم افندي حلیم استنشاق أخبارهما .

وفي فترة غياب فيتا حسان عن تونجورو حصل الرئيس كيسا من « مسوه » Mswa على جنود لحماية أرض مملكته . وهذا الرئيس هو الذي كان فيتا حسان قد قدمه الى أمين باشا قبل سفره الى مأمورية لادو . ولدى اياب فيتا حسان من هذه الناحية فصل أمين باشا كل أراضي مركز Mahagi مع نقطتي تونجورو و مسوه عن قسم المديرية الجنوبي وألف منها مركزا قائما بذاته وفوض الى فيتا حسان القيام بادارته . وكان قد احتل « مسوه » ٤٢ خطريا وعند وصول فيتا حسان أرسل هؤلاء الى تونجورو ابتغاء زيادة تقوية هذه النقطة وبمثثة مؤلفة من ٤٢ جنديا نظاميا بصفة حامية في مسوه وعهد بقيادة هذه الحامية الى اليوزباشي شكري افندي .

واحتج كباريجا بواسطة كازاني على احتلال هاتين النقطتين الواقعتين في مملكته إلا ان هذا الاحتجاج لم يجاوز حد الكلام وظل حبرا على ورق .

وعلم أمين باشا بوصول محمد برى الى كيبيرو وذلك عندما أراد أن يباشر القيام بسياسة في البحيرة . وكان أمين باشا يرغب في هذه الريادة من زمن مديد . فانتقل الى هذه الجهة وبعد أن أقام بها ثمانية أيام انقلب راجعا الى وادلاى ومعه فيتا حسان و برى .

١ - ملحق سنة ١٨٨٦ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وفى ٢ يناير سافر جونكر و فيتا حسان ميممين بـ بلد الأونيورو
للاقامة فيه . وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى سبيل الاقتراب من
بلاد المدينة إذ أنهم بذلك يستطيعون الاتصال بالبعثات الانكليزية التى فى
أوغندة . ولسوء الحظ ذهبت هذه الآمال مع الرياح ولم يجنبا منها سوى
خيبة جديدة تضاف الى ما سبقها . وفى ٢٧ فبراير تلقى أمين باشا خطابا
من نوبار باشا رئيس مجلس النظر يدعو فيه الى إخلاء مديرية خط الاستواء
والرجوع الى الديار المصرية عن طريق زنبار ويصرح فيه بأن الحكومة
تخلت نهائيا عن ممتلكاتها فى السودان ابتداء من آخر مايو سنة ١٨٨٥ م .
وأطلعهم المستر ماكاي المبشر وكيل البعثة الانكليزية فى أوغندة من جهة
أخرى على سلسلة من المكاتبات فيها نعى غوردون باشا وكافة الحوادث الخطيرة
التي وقعت فى العالم دون أن تصل اليهم أخبارها .

وهذا البريد ورد لهم بواسطة محمد برى وهو رجل طرابلسى قام

بخدمات جليلة للشركة الدولية الأفريقية وأحضر لهم مكاتبات اخرى من السير جون كيرك قنصل إنجلترا في زنبار أرشدم فيها عن طرق ووسائل العودة .

أما أمين باشا فالحكومة المصرية فوضت اليه تفويضا تاما أن يتصرف حسبما يراه ويستحسنه .

ومع ذلك فهذا الباب الذى افتتح أمامهم ما كان منظورا أن يبقى مفتوحا هكذا زمنا طويلا إذ أن الحرب دارت رحاها بين أونورو و أوغندة والطريق الذى فتح أمامهم لم يلبث أن أوصد ثانية .

وسافر جونكر موليا وجهه شطر أوغندة وفي غضون ذلك كان فيتا حسان قد نزل في ضفة بحيرة البرت نيازرا الشرقية ومنها ذهب الى وادلاى .

ولما كان أمين باشا يميل كثيرا الى تجديد العلاقات مع كباريجا كلف كازاتى أن يذهب ليخطب وده . وكان أمين باشا يأمل أن يجنى من وراء هذا الود فوائد جمة . وتطوع كازاتى وقبل القيام بهذه المهمة التى ليس فيها شيء تشبيهه النفس أو يشرح الصدر . وفي ٢٠ مايو ولى وادلاى ظهره راكبا الباخرة « الخديو » التى أقلمت به الى كييرو القائمة على ضفة بحيرة البرت نيازرا الشرقية .

وقبيل آخر مايو بلغ كازاتى عاصمة أونورو . وفي ٢ يونيو سنة ١٨٨٦ م سمح له كباريجا بالمقابلة . وكان الملك يبدى نحوه في هذه المقابلة شيئا كثيرا من العطف فانهز كازاتى هذه الفرصة وعرض عليه الفرض من

زيارته وقدم له طلبات أمين باشا وهي تنحصر في حرية مبادلة المراسلات وحرية مرور البضائع الواردة عن طريق أوغندة و زنبار و الموظفين و الجنود المائدين الى الديار المصرية ثم اتت اداب وكييل له ليقم في وادلاى . وكانت الكراهة التي تولدت في قلب سكان أونيوورو من جهة مصر من يوم أن برز لهم سير صمويل بيكر شاهرا السلاح قد بثت في روع الملك الربية والحذر . وعبثا حاول كاتاجورا ذلك الوزير الذي قد بلغ من الكبر عتيا أن بين للملك أميال المدير السلمية وبالعكس كان الحزب المسكرى الذي كان يقوده رجل زنبارى يقال له عبد الرحمن يهتاج ويدس الدسائس السافلة سرا ضد الحكومة .

وقبل الملك في نهاية الأمر أن يسمح بمبادلة المراسلات ولكنه كان يحجز الخطابات الواردة من أوغندة وقبل أيضا مرور الجنود بشرط أن يكون ذلك في فترات متباعدة وعلى دفعات متعددة وفي كل دفعة عدد معين .

وبسط يده بالوعود فيما يختص بصديقه الطيب كما كان يسمى أمين باشا غير ان كازانى كانت تساوره الريب من جهة صداقة كباريجا هذه . وقد عقد صلات خفية مع تجار زنبار الذين في أونيوورو وبواسطة هؤلاء أمكنه مراسلة المبشرين الانكليز في أوغندة . ولم يمض إلا وقت قصير حتى وقف على مجرى الأمور . فلقد كان كباريجا أصدر أوامره بحجز محمد برى الطرابلسى في الحدود وكان عائدا بمنسوجات واقترح « أى كباريجا » على مواجها ملك أوغندة الذي جلس على عرش هذه المملكة بعد أيه أن يشترك معه في القبض على فصائل الجنود التي تسير منفردة في جوف

مملكتيها وتجريدها من الأسلحة .

واستقر الرأي بكازاتى على أن يذهب لمقابلة كباريجما ويبلغه أنه على بينة من
مجرى الأحوال فلا تخفى عنه منها خافية .

وفى ١٠ أكتوبر تقابل بالفعل معه وبعد محادثة طويلة ذكر له فيها
بعض الحقائق المرة حصل منه على توكيد بأن محمد برى سينال ترخيصا بالقدوم
ثم الذهاب الى كيبورو القائمة على الشاطئ الأيسر لبحيرة البرت نيازرا حيث
أمين باشا فى انتظاره .

وفى ١٢ منه ذهب محمد برى بالفعل الى كيبورو وسلم أمينا باشا
المنسوجات و السلع التى كان منتظرا اتيانها بها . وقد أحدث قدومه بهذه
البضائع أحسن تأثير فى نفوس أهالى وادلاى لأن الجنود الزوج رأوها
بأعينهم ولسوها بأيديهم . وكيف تبقى الريب بعد ذلك كامنة فى صدور
الجنود من جهة سهر الحكومة عليهم وها هى تدمم ليس بجواب فحسب بل
برجل يحمل أحمالا ثقيلة تحتوى على أنواع منوعة من السلع وبما أنه قدم
عن طريق أوغندة و أونبورو فهذا دليل ساطع على أن الطريق مفتوح .
وعدا ذلك فان جنديا يقال له سرور كان سافر مع جونكر قد عاد أيضا
مع برى .

وقد أحدثت كل هذه الأحوال أحسن أثر فى نفوس الجنود وفعلت
فيهم أيمى وأنفس تأثير لردم الى الطاعة التى كانوا طرحوها ظهريا
من زمن .

وكتب أمين باشا الى الملك خطاب شكر وكتب كذلك الى وزرائه

والى عبد الرحمن وهذا الأخير كان على حسب رأى كازاتى من ألد أعدائه وان لا فائدة منه ولا عائدة .

وفى ٢٤ نوفمبر مات الوزير كاتاجورا موة فجائية . ويقال انه مات مسموما . وكان كاتاجورا صديقا حميا للحكومة ولذلك جاءت وفاته ضربة أليمة فوق رأس قضيتها .

وفى ٥ ديسمبر سافر محمد برى الى أوغندة ثانية ومعه أعمال ثقيلة من العماج بقصد المبادلة عليها بأقمشة أما أولئك الذين ودعهم حين سفره فهؤلاء دبت فى قلوبهم الشجاعة وتفتحت أمامهم الآمال .

وكانت الأحوال فى خلال ذلك تستفحل وترداد سوءا على سوء فى أونيوورو . فالملك والاهالى رأوا انهم أخطئوا عندما قام بظهم ان فى استطاعتهم ان ينالوا مبتغاهم من جار يحسبونه ثقيل مرهقا . والمماج وكذلك الأسلحة التى تتوق اليها نفوسهم ويشتهونها كان دون الحصول عليها خرط القتاد بالنسبة لما عاينوه من المقاومة .

ومنع كباريجاييىع اى شىء للحكومة أو ربط علائق مع كازاتى ونفى الى الحدود رجلا يقال له أبو بكر كان ينقل الطرود الى الحكومة . واستحضر الى قاعة الملكة رئيسين وأمر باعدامهما جزاء توريدهما زادا لامين باشا . وحرك الملك سرا عوامل الثورة بين قبائل الشولى و اللور وعقد النية على ان يهاجم وادلاى اذا انتشرت الثورة وامتد لهيها .

وفي خلال قيام كباريجيا بهذه الأعمال التي كان قد أبلغها كزاتي
الى أمين باشا اجترأ هذا الملك ودعا المدير لزيارة أونيورو وأكد محض
صداقته ومودته غير أن أميناً باشا أذعن لنصائح كزاتي ولم يباشر القيام بهذه
الزيارة ولم يتحرك لها لأنه كان من مصلحة الجميع أن لا يبارح البلد .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها في الملحق الاول للعام القادم .

فهرس
صور الكتاب

قبل ص ٢٣	. . . اليوزباشى كازاتى
٢٥ » فيتا حسان
٥٩ »	. خريطة محطة دوفيليه المسكرية
١٠٣ »	. . . البكباشى عثمان افندى لطيف
٢٧٩ »	. البكباشى حواش افندى منتصر
آخر الكتاب	. . . خريطة مديرية خط الاستواء

فهرس

موضوعات الجزء الثانى

الصفحة	الموضوع
٣ - ٢٣	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٠ م :-
١٢ - ٢١	١ - ملحق سنة ١٨٨٠ م - القسم الثانى من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
٢٢ - ٢٣	٢ - ملحق سنة ١٨٨٠ م - القسم الأول من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
٢٤ - ٩٧	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨١ م :-
٨١ - ٩٥	١ - ملحق سنة ١٨٨١ م - القسم الثالث من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
٩٦ - ٩٧	٢ - ملحق سنة ١٨٨١ م - القسم الثانى من

الصفحة	الموضوع
٩٨ - ١٢٣	رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء حكمداريتة أمين باشا سنة ١٨٨٢ م :-
١١٦ - ١٢١	١ - ملحق سنة ١٨٨٢ م - القسم الرابع من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
١٢٢ - ١٢٣	٢ - ملحق سنة ١٨٨٢ م - القسم الثالث من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
١٢٤ - ١٥٠	حكمداريتة أمين باشا سنة ١٨٨٣ م :-
١٤٥ - ١٤٨	١ - ملحق سنة ١٨٨٣ م - القسم الخامس من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
١٤٩ - ١٥٠	٢ - ملحق سنة ١٨٨٣ م - القسم الرابع من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
١٥١ - ٢٤٢	حكمداريتة أمين باشا سنة ١٨٨٤ م :-
٢٠٠ - ٢٣٥	١ - ملحق سنة ١٨٨٤ م - القسم السادس من

الصفحة	الموضوع
٢٤٢ - ٢٣٦	رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء ٢ - ملحق سنة ١٨٨٤ م - القسم الخامس من رحلة اليوزباشى كزاتى فى مديرية خط الاستواء
٣٣٨ - ٢٤٣	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٥ م :-
٣٢٦ - ٣٠٣	١ - ملحق سنة ١٨٨٥ م - القسم السابع من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
٣٣٨ - ٣٢٧	٢ - ملحق سنة ١٨٨٥ م - القسم السادس من رحلة اليوزباشى كزاتى فى مديرية خط الاستواء
٣٨٥ - ٣٣٩	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٦ م :-
٣٨٥ - ٣٨٠	١ - ملحق سنة ١٨٨٦ م - القسم السابع من رحلة اليوزباشى كزاتى فى مديرية خط الاستواء

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	١٤	يسافر	يسافرا
٥٢	٤	وأقاموا	وأقاموا
٥٧ و ٥٦	١٧ و ٢	خور أيبو	خور أبو
٥٩	٥	الاقصاع	الاصقاع
٥	٨	أبو زيد	أبي زيد
٨٩	١٧	وخبير	وخبرا
١٠٣	٤	المستر مكي	المستر ما كاي
١٠٥	٦	وينير	وينار
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١٢٦	٢	علي افندي جبور	علي افندي جابور
١٥٥	٢١	فيجدون	فيجدوا
١٨٨	١٥	لاذو	لاذوا
٣٢٥	٢٠	الفضة	الضفة

الصفحة	الموضوع
٢٤٢ - ٢٣٦	رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء ٢ - ملحق سنة ١٨٨٤ م - القسم الخامس من رحلة اليوزباشى كازانى فى مديرية خط الاستواء
٣٣٨ - ٢٤٣	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٥ م :-
٣٢٦ - ٣٠٣	١ - ملحق سنة ١٨٨٥ م - القسم السابع من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
٣٣٨ - ٣٢٧	٢ - ملحق سنة ١٨٨٥ م - القسم السادس من رحلة اليوزباشى كازانى فى مديرية خط الاستواء
٣٨٥ - ٣٣٩	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٦ م :-
٣٨٥ - ٣٨٠	١ - ملحق سنة ١٨٨٦ م - القسم السابع من رحلة اليوزباشى كازانى فى مديرية خط الاستواء

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	١٤	يسافر	يسافرا
٥٢	٤	وأقاموا	وأقاموا
٥٧ و ٥٦	١٧ و ٢	خور أيبو	خور أبو
٥٩	٥	الاقصاع	الاصقاع
٥	٨	أبو زيد	أبي زيد
٨٩	١٧	وخبير	وخبرا
١٠٣	٤	المستر مكي	المستر ما كاي
١٠٥	٦	وينير	وينار
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١٢٦	٢	علي افندي جبور	علي افندي جابور
١٥٥	٢١	فيجدون	فيجدوا
١٨٨	١٥	لاذو	لاذوا
٣٢٥	٢٠	الفضة	الضفة

فهرس

صور الكتاب

قبل ص ١	. . . الخديو اسماعيل
١١ »	. . . السير صمويل بيكر باشا
١٩ »	. . . حرس سير صمويل بيكر الخاص.
٢١ »	قطار من الابل ينقل أجزاء السفن البخارية وغيرها في صحراء العطور بين كروسكو وأبي حمد . . .
٢٥ »	. الحملة وهي تنادر الخرطوم
٢٧ »	سحب وابورات الحملة في منطقة السدود
٣٧ »	الاحتفال في غندوكورو باعلان ضم مديرية خط الاستواء الى أملاك الحكومة المصرية

قبل ص ٤٧	هجرة ليلية من الباريين على معسكر الحملة بغندوكورو
» ٥١	هجوم جنود الحملة على قرية بلنيان
» ٧٧	مربع من الجنود المصرية والسودانية أمام مظاهرة عدائية من الأونيوريين .
» ٧٩	موقعة مازندى فى ٨ يونيه سنة ١٨٧٢ م
» ٨٥	واقعة الاونيوريين مع جنود الحملة .
» ٩٧	حصن فاتيكو
» ١٠٣	محطة غندوكورو
» ١٠٣	الباخرة « الخديو »
» ١٠٥	البكباشى عبد القادر افندى قائد حرس سير صمويل بيكر الخصوصى
» ١٠٧	رعوف باشا

١٠٩	قبل ص	غوردون باشا
١١٩	»	أوجست لينان دى بلقون
١٥١	»	محطة لادو المسكرية
١٥٧	»	أمير الألاى شاليه لونج بك
١٥٩	»	سعيد بقاره وعبد الرحمن الفوراوى
١٦٣	»	محطة فورا
١٦٧	»	قصر متيسا
١٧٥	»	واقعة مرولى
١٩٣	»	محطة كرى المسكرية
٢١٥	»	واقعة الينبارين
٢٢١	»	إرنست دى بلقون
٢٦٩	»	جيسى باشا
٣١٩	»	الدكتور جونكر
٣٢٣	»	أمير الألاى پراوت بك

قبل ص ۳۳۵	ابراهيم فوزى بك « باشا » . . .
» ۳۵۳	ميسون بك
» ۳۸۵	أمین باشا

فهرس

موضوعات الجزء الأول

الصفحة	الموضوع
١	كلمة شكر واجبة
٣	اهداء الكتاب
١٠ - ٥	المقدمة
١٠٥ - ١١	حكمدار يتسير صهويل بيكر باشا من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٧٣ م :-
١٤ - ١١	تمهيد
٢١ - ١٥	سنة ١٨٦٩ م
٣٢ - ٢٢	» ١٨٧٠ م
٦٢ - ٢٣	» ١٨٧١ م
٩٧ - ٦٣	» ١٨٧٢ م
١٠٥ - ٩٨	» ١٨٧٣ م

الصفحة	الموضوع
١٠٦	أمير الأيلى محمد رءوف بك من سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٨٧٤ :-
٣٣٢ - ١٠٧	حكمداريتة غوردون باشا من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٦ م :-
١٧٩ - ١٠٧	سنة ١٨٧٤ م
١٧٩ - ١٥٧	ملحق سنة ١٨٧٤ م : مأمورية القائمقام شاليه لونج بك فى أقاليم أوغندة
٢٤٤ - ١٨٠	سنة ١٨٧٥ م
٢٢٠ - ٢٠٣	١ - ملحق سنة ١٨٧٥ م : تجريدة مكرাকা « نيام نيام »
٢٤٤ - ٢٢١	٢ - ملحق سنة ١٨٧٥ م : مأمورية لارنست دى بلقون فى أوغندة
٣٣٢ - ٢٤٥	سنة ١٨٧٦ م
٣٠٨ - ٢٦٩	١ - ملحق سنة ١٨٧٦ م : رحلة جيسى « باشا » وارتياده لبحيرة البرت نيانزا

الصفحة	الموضوع
٣١٧ - ٣٠٩	٢ - ملحق سنة ١٨٧٦ م : مأمورية الطيب أمين افندى فى أوغندة
٣٢٣ - ٣١٨	٣ - ملحق سنة ١٨٧٦ م : رحلة الطيب جونكر الى محطة ناصر
٣٣٢ - ٣٢٤	٤ - ملحق سنة ١٨٧٦ م - القسم الاول من رحلة الطيب جونكر الى مديرية خط الاستواء
٣٣٣	حكمدارية أمير الألى پراوت من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٧٧ م :-
٣٣٣ - ٣٣٤	حكمدارية ابراهيم فوزى بك من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٧٨ م :-
٣٥١ - ٣٣٨	١ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - القسم الثانى من رحلة الطيب جونكر فى مديرية خط الاستواء
٣٧٢ - ٣٥٢	٢ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - تقرير ميسون بك فى استكشاف بحيرة البرت نيازرا
٣٧٨ - ٣٧٣	٣ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - مأمورية الطيب أمين افندى فى الاونيوورو

الصفحة	الموضوع
٣٧٩ - ٣٨٣	٤ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - القسم الاول من مأمورية الطيب أمين افندى فى أوغندة
٣٨٤	حکمداريتة أمين باشا (الطيب أمين افندى) من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٧٩ م :-
٣٨٤ - ٤٠٩	سنة ١٨٧٨ م
٣٨٩ - ٣٩٢	١ - ملحق سنة ١٨٧٨ م - القسم الثانى من مأمورية الطيب أمين افندى فى أوغندة
٣٩٣ - ٤٠٠	٢ - ملحق سنة ١٧٧٨ م - القسم الثالث من رحلة الطيب جونكر فى مديرية خط الاستواء
٤٠١ - ٤٠٦	٣ - ملحق سنة ١٨٧٨ م - القسم الاول من رحلة المبشر فلكن من لادو الى أوغندة
٤٠٧ - ٤٠٩	٤ - ملحق سنة ١٨٧٨ م - القسم الاول من رحلة المبشر ولسن من أوغندة الى كسونا
٤١٠ - ٤٣٩	سنة ١٨٧٩ م
٤١٤ - ٤١٥	١ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - القسم الثانى من رحلة المبشر ولسن من أوغندة الى كسونا

الصفحة	الموضوع
٤١٩ - ٤١٦	٢ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - القسم الثاني من رحلة البشر فلكن من لادو الى أوغندة
٤٣٤ - ٤٢٠	٣ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - رحلة البشر فلكن من أوغندة الى لادو
٤٣٧ - ٤٣٥	٤ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - رحلة البشر ولسن من أوغندة الى لادو
٤٣٩ - ٤٣٨	٥ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - القسم الاول من رحلة الطيب جونكر الثانية في مديرية خط الاستواء

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١٩	أمانتهم على	أمانتهم وحرصهم على
١٨ (الصورة)	١	بين فروسكو وأبي حمد	بين كروسكو وأبي حمد
٤٠	١٣	٢٩ يونيو	٢٩ مايو
٧٢	١	Kabb - Miro	Kabba - Miro
٧٨	١٤	كباريجا	كباريجا
٧٨ (الصورة)	٢	٨ يونيو سنة ١٨٧١	٨ يونيو سنة ١٨٧٢
٩٤	٦	رؤسائها	رؤسائهم
١٥٨	١	عبد الرحمن الغوراوى	عبد الرحمن الغوراوى
١٨٨	١٢	أعباء.	إعباء
٢٠٠	١٢	دوفيلية	دوفيليه
٢١٤	٨	عند	عن
٢٣١	١٤	« أرجو »	« وارجو »
٢٨٥ (هامش)		والآن أوردوجانى	والآن انتيبي
٣٥١	١٤	الملحق الأول	الملحق الثانى
٣٦٠	٢١	وعند (فى بعض النسخ)	وعندما
٣٦٨	١٧	أكثر امتداد	أكثر امتدادا
٣٨٥	١	ضعف عزيمته	